



# الإسلام والحضارة الانسانية

ومقالات أخرى

عباس محمود العقاد



**العنوان:** الإسلام والحضارة الإنسانية .

**المؤلف:** عباس محمود العقاد .

**إشراف عام:** داليا محمد إبراهيم .

**تاريخ النشر:** الطبعة الثانية يناير 2006م .

**رقم الإيداع:** 2005/ 21815

**الترقيم الدولي:** ISBN 977-14-3331-8

الإدارة العامة للنشر: 21 ش أحمد مرابي - المهندس - الجيزة  
ت: 3466434-02 / 3472864-02 / فاكس: 3462516-02 / ص.ب: 21 إمبابة  
البريد الإلكتروني للإدارة العامة للنشر: [publishing@nahdetuniser.com](mailto:publishing@nahdetuniser.com)

الطابع: 80 المنطقة الصناعية الرابعة - مدينة السادس من أكتوبر  
ت: 8330287-02 - 8330289-02 / فاكس: 8330286-02  
البريد الإلكتروني للطابع: [press@nahdetuniser.com](mailto:press@nahdetuniser.com)

مركز التوزيع الرئيس: 18 ش كامل صفاقى - القجالة -  
الغمامة - ج.ب: 96 القجالة - القاهرة.  
ت: 5909817-02 - 5902895-02 / فاكس: 5903385-02

مركز خدمة العملاء: الرقم المجاني: 0800222622  
البريد الإلكتروني لإدارة البيع: [sales@nahdetuniser.com](mailto:sales@nahdetuniser.com)

مركز التوزيع بالإكسبريس: 408 طريق المروة (برشدى)  
ت: 5462080-02

مركز التوزيع بالقاهرة: 47 شارع عبد السلام عارف  
ت: 2259475-000

[www.nahdetuniser.com](http://www.nahdetuniser.com)

موقع الشركة على الإنترنت

[www.enahda.com](http://www.enahda.com)

موقع البيع على الإنترنت



أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة 1998

احصل على أى من إصدارات شركة نهضة مصر (كتاب / CD)  
وتمتع بأفضل الخدمات عبر موقع البيع  
[www.enahda.com](http://www.enahda.com)

**جميع الحقوق محفوظة © لشركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع**

لا يجوز طبع أو نشر أو تصوير أو تخزين أى جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو خلاف ذلك إلا بإذن كتابى صريح من الناشر.

## مقدمة الكتاب

لئن كان الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده - رحمه الله - أكبر من حملوا لواء الدفاع عن الإسلام في عصره ، فإنَّ المرحوم الأستاذ عباس محمود العقاد يُعتبر بحق في طليعة المنافحين عن الإسلام في هذا الجيل .

ونظرة شاملة إلى إنتاجه الأدبي ، الواسع الأفق ، المتعدّد النواحي والأغراض ، تريك مدى اهتمامه بالشئون الإسلامية . فمن تحليل لنفسيات عباقرة الإسلام ، وتبيان لمآثرهم الخالدة ، إلى جلاء لوقائع التاريخ الإسلامي ، إلى تصحيح وتصويب ، وأحياناً تأييد وتثبيت لما كتبه الغربيون عامة ، والمستشرقون خاصة ، عن الإسلام ونبيّه ، وتناولوا فيه مختلف القضايا والمبادئ الإسلامية .

وهذا الكتاب ثمرة من ثمرات إنتاجه الأدبي الإسلامي ، يجمع بعض ما تناثر من مقالاته في بطون الصحف والمجلات . وفيه يبرز العقاد منافحاً مكافحاً في ثلاث جبهات :

جبهة الغرب حيث يقف بالمرصاد لكل ما تخرجه المطابع من كتب تتحدث عن الإسلام وتاريخه وحضارته ، فيردّ الشارد ، ويعرّي ذوى النوايا السيئة ، والأغراض الخفية ، غير مقصّر عن الثناء على إرياب النزاهة ورواد الحقيقة .

وجبهة الجندال والمنطق والبحث العلمي الدقيق حيث يرشد الضال ويهدي المتجافى عن الحق ، ويقوم غير المستقيم في نظره إلى الإسلام وحضارته .

وجبهة المترددين الشاكين ، والمنكرين لمزايا الروح حيث يقلب الشك إلى يقين ، والتردد إلى قرار .

ولنا ملء الثقة في أن يجد فيه القراء بعامة ، والمهتمون بالشئون الإسلامية بخاصة ما ترتاح إليه نفوسهم ، وتطمئن به ضمائرهم .



## مَوْلِدُ الفِلسَفَةِ الإِسْلامِيَّةِ (١)

«لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا فِي جَحْرٍ ضُيَّبَ لَا تَبْعَتُمُوهُمْ» . .

حديث شريف

صدق الرسول الكريم .

فإن تاريخ المذاهب والفرق في الإسلام قريب الشبه بتاريخها في المسيحية ، وقريب الشبه بتاريخها قبل ذلك في الإسرائيلية ، بل هو قريب الشبه بتاريخ كل عقيدة دينية انتقلت من دور الإيمان إلى دور الشرح والتفسير أو دور التوفيق بين النصوص وما يستلزمه العقل من معانى النصوص ، لا فرق في هذا التطور بين دين ودين إلا من حيث السرعة أو تراخى الزمن قبل ظهور الأطوار المتعاقبة ، فهي في الإسلام أسرع ، وهي في المسيحية أقل من ذلك سرعة ، وهي في اليهودية أبطأ من كلتا الديانتين الكتابيتين ، لأسباب معقولة تقتضى ذلك التفاوت في سرعة الانتقال من دور الإيمان إلى دور الشرح والتفسير .

فالتأويلات الفلسفية لم تظهر في الديانة اليهودية قبل «فيلو» الإسكندري المعاصر للمسيح ، أما الخلاف على نصوص التوراة بين السامريين وغيرهم فقد ظهر في أواخر القرن الخامس قبل الميلاد ، ثم انقضت تسعة قرون بعد الميلاد حتى اتسعت فجوة الخلاف بين القرائين والربانيين ، أى القائلين بالنزاهة بالحرف وهم القراءون ، والقائلين بجواز التفسير وهم الربانيون ، وكان الخلاف بينهم فى مسائل العقيدة الكبرى مناسباً لكل خلاف بين المتشددين والمتجاوزين فكان القراءون يقولون بالجبر ، والربانيون يقولون بالاختيار ، ويقاس على ذلك كل ما بين الفريقين من وجوه الخلاف .

ولم يكن «فيلو» من الفلاسفة المنقطعين للفلسفة أو المتفرغين للمنطق والعلوم العقلية ، بل كان يمزج بين الدين والفلسفة ، ويزعم أن الفلسفة كلها مأخوذة من

(١) مجلة الكتاب أكتوبر ١٩٤٦ .

نصوص التوراة ، ولكنه يجتهد فى تأويل تلك النصوص بحيث تتسع للمعاني الفلسفية التى تعلمها واطمأن إليها بعقله ، ويجعل الكلمات رموزاً وإشارات إلى القضايا المنطقية والمعاني المجردة ، فهو مؤمن بالتوراة ومؤمن بالمنطق الذى تستلزمه المدارك الإنسانية ، ولا محيص له بين الإيمانين من تحويل الكلمات إلى رموز وإشارات ، لئلا يكفر بالعقل أو يكفر بالدين .

وقد نظر «فيلو» إلى الأوصاف الحسية التى وصف بها الإله فى كتب التوراة فلم يقبلها على ظاهرها ولم يستطع أن يرفضها لاطمئنانه الموروث إلى دين آبائه وأجداده ، فقال : إنها رموز ومجازات تقرب المعانى إلى الذين يفهمون بالحس ولا يدركون المعانى المجردة بالرياضة والتفكير ، وانفتح له باب التأويل ، فذهب فى التجريد إلى أبعد مداه ، وأنكر الصفات الإلهية ؛ لأن الصفة حد والله منزّه عن الحدود ، بل نزه الله عن التأثير فى مادة الكون ، لأن المعنى الإلهى أشرف من جميع الأجساد المادية ، فاذا أثر فيها فإنما يكون هذا التأثير بالواسطة التى يودعها الله فى بعض القوى الإلهية ، واحتال على تأويل الصفات بأنها نفى للنقص الذى لا يتصوره العقل فى حق الخالق العظيم ، فهو قادر لأنه ليس بعاجز ، وعالم لأنه ليس بجاهل ، وغنى بنفسه ، لأنه ليس بمفتقر إلى أحد ، وهو فى قدرته وعلمه وغناه مقام فوق كل مقام يتخيله العقل من صفات الإنسان ، وكل ما يستطيعه العقل الإنسانى من القربى إلى الله أن يدركه بالرياضة ثم يدركه بالعلم ثم لا يغنيه كلاهما عن الإلهام الذى يختص به سبحانه وتعالى من يشاء من عباده الخالص المقربين .

\* \* \*

وكان أوريجين Origenes أكبر المجتهدين السابقين من أصحاب القول بالتفسير والتأويل فى الديانة المسيحية ، ولم تظهر دعوته مع ذلك قبل القرن الثالث للميلاد . شغل أوريجين كما شغل فيلو بمسألة النصوص والتوفيق بينهما وبين المعقولات ، ومن عجيب الأمر أن هذا المجتهد الجريء على النصوص قد بلغ من الإيمان بالنص الحرفى فى كلمة من الإنجيل مبلغاً لم يبلغه قبله ولا بعده أشد المؤمنين بالنصوص الحرفية فى دين من الأدبان ، فخصى نفسه لأنه قرأ فى إنجيل متى أنه «يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم ، ويوجد خصيان خصيان خصاهم الناس ، ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السماوات ، من استطاع أن يتبتل فليفعل» .

ومن ثم يرى أن أوريجين لم يكن من الفلاسفة المنقطعين للفلسفة ، بل كان من المؤمنين المتبتلين الفلاة في النسك والعبادة ، ولكنه تعلم الفلسفة وأدرك البداءة العقلية فاضطره فرط الإيمان إلى التوفيق بينها وبين نصوص الكتب الدينية ، ولا سيما النصوص التي تشير إلى بنوة السيد المسيح ودلالة الثالوث والتوحيد . فقال : إن البنوة كناية عن القربى ، وفهم معنى الكلمة التي كانت في البدء فهم الرجل الذي اطلع على مذهب هيرقليطس ومذهب أفلاطون ، لأن الأول يقول : إن الدنيا تتغير أبدا فليس لها وجود حقيقى وراء هذه الظواهر غير وجود الكلمة المجردة أو العقل المجرد الذى لا ينقطع عن تدبيرها ، ولأن أفلاطون يقول بسبق الصور المعقولة على الأجسام المحسوسة ، فجاء أوريجين بعدهما ليقول : إن السيد المسيح هو مظهر العقل الخالد تجسم بالناسوت ، وإن ظهوره في الدنيا حادث طبيعى من الحوادث التي يتجلى بها الإله في خلقه ، واجتهد في تأويل النصوص ، فجعل للكتب الدينية تفسيرين : أحدهما صوفى للخاصة ، والآخر حرفى لسائر الناس ، وبشر بخلاص خلق الله جميعاً في نهاية الأمر حتى الشياطين ، ولم يكن ينكر الشياطين أو ينكر قدرة السحرة على تسخيرها في الإضرار بالناس ، ولكنه - من عجب التناقض في الطبع الإنسانى - كان يرى أن الأسماء العبرية دون غيرها هي الأسماء التي تجدى في الاستدعاء والتسخير ، وينسى أنه جعل للأسماء والحروف هنا سلطاناً على الكون يقصر عنه سلطان المعانى والمسميات .

وخلف أوريجين تلميذان قويان ، هما أريوس في الإسكندرية ، ونسطور في سورية ، فمضيا في التأويل والتوفيق بين النصوص والمعانى ، ولكنهما اختلفا بينهما أشد الاختلاف يخلقه اللدد والشحناء ، وتراميا كما ترامى أتباعهما زمناً بتهمة الكفر والجحود ، لأن أريوس كان يقول بأن المسيح إنسان حادث ، ونسطور كان يؤمن بالطبيعة الإلهية في المسيح ويأبى التسوية بينه وبين الله في الدرجة والقدم ، ودخلت العوامل السياسية في هذا الخلاف فدفعت به إلى أقصى مداه .

وهذه كلها كما رأينا مذاهب في الدين تصطبغ بالصبغة الفكرية ، ويمتزج فيها الإيمان بالتفكير . أما مذاهب الفلسفة المسيحية التي تصدى لها المفكرون من غير رجال الدين فلم تظهر في العالم المسيحي قبل انقضاء عدة قرون ، وتأخر ظهورها إلى ما بعد ظهور الفلسفة الإسلامية في أوروبا الغربية .

\* \* \*

على أن الفرق والمذاهب لم يتراخ بها الزمن في الإسلام كما تراخى بها في اليهودية والمسيحية ، ولم ينقض جيل النبي نفسه حتى ظهرت مسألة النص والتفسير ولحقت بها المسائل التي اقترنت بها في كل عقيدة دينية ، كمسألة القضاء والقدر ، ومسألة الظاهر والباطن ، ومسألة الصفات الإلهية ، وما ينبغى للروح من الصفات بمعزل عن عالم المادة أو عالم الأجساد .

ويتوقف فهم الحقائق في هذه الحركة كلها على فهم البواعث التي أوجبت السرعة هنا وسمحت بالإبطاء والإرجاء هناك .

فاليهودية عند نشأتها لم تنهض لها ضرورة قاضية بالتعجل في التفسير والتأويل ، لأن اليهودية نفسها كانت بمثابة فلسفة تجريدية بالقياس إلى العقائد الوثنية والأديان المجسمة التي نشأت بينها ، إذ كانت تدعو إلى التوحيد وعبادة الإله المجرد في السماء بين أناس يعبدون الأوثان ويحسمون الأرباب .

وكان أنبياء اليهود يتلاحقون واحدا بعد واحد ، فيشغل النبي الأمة بأقواله عن تفسير أقوال الذين سبقوه إلى استنزال الوحي من الله .

وينبغي أن نذكر هنا أن الدينين الكتابيين العظميين اللذين ظهرا بعد اليهودية إنما كانا تعديلين في نصوص الدين اليهودي ومعانيه ، فهما خليقان أن يشغلا كل فراغ كان متسعا لتفسير النصوص ومحاولة التوفيق بين المنقول والمعقول .

وقد تلاحقت الهجرة والنشئيت على الأمة اليهودية منذ أيامها الأولى ، وأصابها المحن من ذوى قرباها ، ونزل بها الحيف من الدول القوية المسطرة عليها ، فاشتدت في نفوسها العصبية القوية ، ونفرت كل النفور من البدع الأجنبية ، وتحصنت دونها بحصن منيع من العزلة الروحية والفكرية ، فأحجمت عن الفلسفة التي تطرقت إليها من جانب الإغريق وجانب المشارقة الفارسيين والهنديين ، ولم تكن هذه الفلسفة على هذا قد تكاملت في بلاد الإغريق أو تفرقت منها بين الأقطار الشرقية ، لأنها لبثت في دور التكون والتكامل والتعليق والتذييل إلى ما بعد ميلاد المسيح .

أما المسيحية فقد تأخر تدوين كتبها إلى أواخر القرن الثاني للميلاد ، وكان معظم هذه الكتب مسطوراً باللغة الإغريقية ، فلا يطلع عليها سواد المسيحيين . وقد كانت جمهرة المسيحيين في أوائل الأمر من عامة الناس الذين يقنعون بالإيمان اليسير ، ولا



يتعمقون في النصوص ولا في التأويلات ، فلما آمن المتعلمون بالدين الجديد ، كان اختلافهم مقصوراً على بيئات الدرس والثقافة ، إلى أن قام في العالم المسيحي ملوك يجلسون على العروش ، فخرج الخلاف المدرسي إلى معترك السياسة الزبون ، ونجمت الفرق والمذاهب ، وهي في أحضان الدولة تعتمد على بأس الملوك والأمراء من أحد الطرفين أو من كلا الطرفين ، أو من جميع الأطراف في بعض الأحوال .

أما الإسلام فقد كان الاستعداد فيه لظهور الفرق والمذاهب على غير ما رأينا في اليهودية والمسيحية من جميع الوجوه . كانت الأسباب مهياة لظهورها منذ الجليل الأول سواء من جانب الفلسفة أو من جانب المشكلات اللاهوتية التي شغلت عقول الباحثين بين اليهود والمسيحيين .

كان الإسلام خلوا من الكهانة التي تستأثر بالدرس والتأويل ، وكان القرآن صريحاً في الأمر المتكرر بالنظر والتفكير ، وكان القرآن كتاباً محفوظاً في حياة النبي ﷺ ، فلم يطل العهد بالمسلمين في انتظار التدوين والاتفاق على نصوص الكتاب . وكان المسلمون يؤمنون بأن محمداً ﷺ خاتم النبيين ، فلا ينتظرون نبياً آخر يتم الرسالة أو يغنيهم عن الاجتهاد في معاني الكتاب أو معاني الأحاديث النبوية .

ولم يجهر محمد ﷺ بالدعوة الإسلامية حتى كانت مشكلات للمذاهب المتقدمة قد ملأت أفاق الشرق العربي ، وانعقدت عليها الأقوال من طوائف المختلفين هنا وهناك ، وتسرب الكثير منها إلى الجزيرة العربية قبل الدعوة الإسلامية ، سواء منها أقوال الفلاسفة وأقوال رجال الدين من جميع التحل والأجناس ، وأشار القرآن الكريم إلى الخلاف بين الأديان المتعددة ، فجاء فيه من سورة الحج : ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ، إن الله يفصل بينهم يوم القيامة ، إن الله على كل شيء شهيد﴾ . وأشار إلى الدهريين ، فجاء فيه من سورة الأنعام : ﴿وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين﴾ ، وجاء فيه من سورة الجاثية : ﴿وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ، وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون﴾ . بل أشار في سورة آل عمران إلى تأويل المتشابه من الكتاب ، فقال : ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله﴾ .

وكان بعض المسلمين يسمعون بالتوراة ، ولم يطلعوا عليها ، ولكنهم سمعوا أنها أنبأت بظهور النبي وبغير ذلك من أحداث آخر الزمان ، وأن الأحبار يخفون هذه النبوءات إمعاناً منهم في الكفر والضلالة وحب الرئاسة في الدنيا ، وقال لهم كعب الأحبار : «ما من الأرض شبر إلا مكتوب في التوراة التي أنزل الله على موسى ما يكون عليه وما يخرج منه إلى يوم القيامة» .

وفهم المسلمون أن هذه الأسرار لا يعقل أن تودع في التوراة ، ولا تودع في القرآن ، لأن الله لم يفرض في الكتاب من شيء ، وإنما تبذل هذه الأسرار لأهلها ، وإنما سبيلهم في معرفتنا أن يتوسلوا بالتقوى ، ويستعينوا بمن سبقهم من أحبار الأمم الأولى ، ويستدرجهم بالمحاسنة والنصيحة إلى الكشف عنها ، فلم يكن لطلاب المعرفة بد من الدخول في معترك الفرق الدينية بين من يزعم أنه على الحق ومن يقال إنه على الضلال .

ولما انتشر الإسلام كان انتشاره في الرقعة التي جمعت كل هذه الفرق والمذاهب وشهدت بينها مجالس المناظرة ومصارع النزاع والقتال ، وكانت الفلسفة الإغريقية قد بلغت أوجها في آسيا الغربية ، ومدرسة الإسكندرية ، وترددت أقاويلها ومناقضاتها ما بين مصر وسورية والعراق وأطراف البلاد الفارسية ، حيث يتصدى للتعليم أطباء النساطرة ومعهم كتب الإغريق في الحكمة والتصوف والمنطق والجدل وأشباه هذه الموضوعات ، فلم يبق سبب من الأسباب التي تنشئ الفرق والمذاهب إلا وقد تهيأ للظهور من جميع نواحيه عند قيام الإسلام .

على أن السبب الذي طوى كل هذه الأسباب جميعاً هو قيام الدولة مع قيام الدين الإسلامي في وقت واحد ، وهو ما لم يحدث في بني إسرائيل ولا في عالم المسيحية ، وعليه تدور الخلافات بين الفرق جميعاً من قريب أو بعيد .

فالنزاع على الدولة بين على ومعاوية مرتبط بنشوء الخوارج ونشوء الشيعة ، ومرتب كذلك بنشوء القدرية والمرجئة ، والقائلين بالرجعة وتناسخ الأرواح ، ومذهب أهل الحقيقة أهل الشريعة ، وما استتبعه من فرق الباطنية وأصحاب الرموز والأسرار ، على تفاوت نصيبهم من الحكمة الدينية ، أو الحكمة الفلسفية .

ويستطاع رد الخلاف هنا إلى محور واحد ، وهو الخلاف بين أنصار الواقع وأنصار التغيير ، أو بين أنصار المحافظة وأنصار التجديد حيث كان .

روى عن يزيد بن معاوية وقد حمل إليه رأس الحسين أنه سأل من حوله وهو يشير إلى الرأس الشريف «أتدرون من أين أتى هذا؟» إنه قال «أبى علي حير من أبيه ، وأمى فاطمة حير من أمه ، وحذى رسول الله حير من جده ، وأنا حير منه وأحق بهذا الأمر» أما أبوه فقد تحاح أبى وأبوه إلى الله وعلم الناس أيهما حكم له ، وأما أمه فلعمرى فاطمة بنت رسول الله حير من أمى ، وأما حده فلعمرى ما أحد يؤمن بالله واليوم الآخر يرى لرسول الله فينا عا لا ولا ندأ ، ولكنه أتى من قبل فقهه ولم يقرأ «قل اللهم مالك الملك ، تؤتي الملك من تشاء وترفع الملك من تشاء»

فمن حدمه الواقع هذه الخدمة الخلى لا حرم يؤمن بأن «الواقع» هو قدر الله وقصده الذى يدان به العباد

ومن خالفه فى ذلك لا حرم يعتصم بالرأى وبتفسير ليفهم القدر الإلهى على لوجه الذى ينهض به دليله ويسقط به دليل خصمه

ومن ثم تنفرح الطريق بين طلاب الواقع وطلاب التعبير فى كل محال

فطلاب الواقع يقولون بطاعة السطون القائم ، وطلاب التعبير يقولون بطاعة الإمام المستتر ، ويقولون بعلم الظاهر وعلم الباطن ، أو نعم الحقيقة وعلم الشريعة ، أو بالعرف بين الكلام الواضح الذى يفهمه الدهماء والكلام الخفى الذى يفطر له دور البصر والاطلاع .

يروى عن الإمام الباقر أنه قال «إن اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً يعرف منها سليمان حرفاً واحداً تكلم به فأبى إليه بعرش مملكة . ويحزن عبداً منها ثمان وسبعون حرفاً ، وحرف عبد الله استأثر به فى عالم الغيب وحده» .

ويدور على هذا المحور من جانب آخر خلاف القائلين بإسلام بنى أمية والقائلين بتكفيرهم والقائلين بإرجاء حكمهم عليهم إلى يوم القيامة ، وهم أصحاب الصفة التى اشتهرت باسم المرجئة من أوائل فرق الإسلام .

وينتسب من هذا فريق كما خورج فيكفرون علياً ومن ولاة ، ومن هذا فريق كالسائية فيؤثرون علياً وينكرون انقول بموته ، وإما شبه للناس مقتل ابن مسمع شيطناً تصور بصورته وصعد على إلى السحاب ، فالرعد صوته ، والبرق سوطه ، وموعده يوم يرجع فيه إلى لأرض فيملؤها عدلاً ويهضى على الظالمين أو يقولون كما يقول السابية أتباع بنان بن سمعان - إن روح الله حلت فى علي

ثم في سنة محمد بن الحنفية ثم في ابنه أنس هاضم ثم في سال ، أو يقوون  
تناسخ الأرواح من آدم إلى إني على وأولاده الثلاثة ، أو يقوون كما قالت الررامية  
أن الله قد حل في ، مام بعد إمام إلى أنس مسلم الحراساسي صاحب الدعوة  
العباسية ، وأنه لم يقتل ولا يحور عليه الموت وفيه روح الله

ويكثر الكلام بين هذه المروص والظنون على ماهية الروح وماهية الحقيقة الإلهية  
وما ينبغي لله حل وعلا من التنزيه وما يمنع في حقه من التحميم والتشبيه ، وتتمزج  
الوارج الذهبية سوازع المصلحة والسياسة والعواطف المكتوبة ، فيستمد كل منها عوفاً  
من الآخر على الإفصاح واستحلاب لأبصار والأشباع

ومن السديه أد دعاة التعبير يتفون جهدهم سلطان الواقع حيث هو قائم عرير  
لحائب مشرث العيوب ، يستعدوا من دمشق الشام وتحدوا لهم ملاذاً مأموماً عند  
أطراف الدولة الشرقية فيما وراء النهر خاصة ، كما كانت تسمى في تلك الأيام

هناك لم يكن أحد من المتعلمين يشتغل بالأمور العامة دون أن يعرض له البحث  
في الشريعة والحقيقة ، والطاهر والباطن ، وأقول المحصلين على القصاء والقدر وعلى  
صفات الله وحرية الإنسان وماهية النفوس والأرواح ، وما يصح أن يعرض عليها من  
العقاب أو تجرى به من الثواب ، وكل أولئك هو موضوع الفلسفة الأصل ، وقد تسرب  
إلى حراسان من مراكز الدولة الإسلامية ومن تراث الأمم الحالية ، ثم أعانه جوار الهدم  
بمورد آخر من موارد الحكمة والعلم التي لا تزال مشغولة بأشياء هذه البحوث

وما ذهبت الدولة الأموية وقامت للدولة العباسية لم تبدل الحال في تلك الأرحاء ،  
لأن العلويين والعباسيين على السوء خمرء بالذهب والتفسيرات وكلهم من أبصار  
الطر والاستدلال ، وقد قامت الدعوة في الشرق باسم آل النسي ، قبل أن تقوم صريحة  
باسم بني العباس ، ثم ريد على الأطراف التي تتطلع إلى التعبير طرف آخر في أفريقيا  
الغربية بعد قيام الدولة العباسية فقامت هناك دعوة الفاطميين ، وعرفت مسيلها إلى  
أقصى المشرق حيث كان الناس يؤثرون العلويين على العباسيين ، ولا سيما بعد تشريد  
أناء على وحرمانهم واصططهاهم في أنام بني العباس

فأصاحت الأطراف الشرقية وكراً يسمع فيه كل صوت من أصوات البحث  
والطر والاستدلال .

\*\*\*

## المسلمون والمؤتمر الإسلامي<sup>(١)</sup>

أمام الإسلام اليوم مطلبان ضروريان لا يحتملان التسوية والتهاون ، وهما «حماية الذات» أمام المطامع الأجنبية ، والتعاون على تحصيل وسائل التقدم والارتقاء .

وربما كان المطلب الشامي فرعاً من مطلب الأول ؛ لأن الأمة التي تهمل وسائل التقدم ولا ترتقاء في العصر الحاضر تحتاج إلى حماية ذاتها ولا تجد وسيلة لحماية ما المطامع الأجنبية التي تواجه الشعوب الإسلامية فهي درجاب في القوة وهي الخطر .

فمنها ما هو مقصور على السيادة السياسية وما يتصل بها من السيطرة على مورد البلاد ومرافقها الزراعية والصناعية والتجارية ، وسائر هذه المرافق الاقتصادية على الإحمال

ومنها ما يتجاوز السيادة السياسية ويوصلها إلى السيطرة على العقائد والأخلاق والعادات والنظم الاجتماعية وهو ضروري الاستعمار كافة

ومنها ما يصيب جنسية أو حالات متعلقة إلى بلاد أخرى ، ولا تتعرض له لأمة برمتها في داخل بلادها

وكل هذه الأخطار تحتاج إلى التعاون بين الأمم الإسلامية ، وقد يكون التعاون فيها لازماً مع شعوب غير إسلامية ولكنها معرضة لمطامع الدول الواقعة في طريق استعماريين السياسيين وغير السياسيين .

والأم الإسلامية فيها «شبه حصانة» أمام السيطرة الأجنبية بأنواعها ، سواء منها ما كان مقصوراً على السيادة السياسية أو ما كان عاماً شاملاً للعقائد والأخلاق والعادات والنظم الاجتماعية .

---

(١) الهلال

كتب جون غنثر John Gunther كتاباً عن «داحل أفريقية» على مثال كتبه عن داخل أوربة وداحل آسيا وداحل أمريكا اللاتينية وداحل الولايات المتحدة، ونكلم عن أفريقية الاستوائية التابعة لفرنس فقال إن شعوبها لا تطلب لأن على الأقل أن تنفص من فرنس بل لعلها تتطلب زيادة الاتصال بها لأنها معدودة من الفرنسيين ولها حقوق نتحاية تحوبها أن ترسل المندوبين عنها إلى برلمان باريس، ثم قال : إن هذه الشعوب تحالف الشعوب الأفريقية هي الشمال لأن هذه تطلب الانعصال ولا ترصى بالاندماج في سبة الشعب الفرنسي، ولا بالسياسة التي سماها تدريب الأفريقيين على أن «يصبحوا فرنسيين».

ما الفارق بين الشعوب الاستوائية والشعوب الأفريقية التي تقيم على شواطئ البحر الأبيض المتوسط أو على مقربة منها؟

الفارق هو الحضرة الإسلامية العريقة . فهذه الحضرة قد حفظت لكن أمة تحصرت بها «كيان» قوياً لا يسهل هضمه وإدماجه في كيان آخر أحسى صبه، وهذا الكيان القوي هو الذي وقف في وجه الاستعمار حيث كان واستفاد منه المسموم وغير المسلمين، لأن الاستعمار خطر على الأمم الشرقية جميعاً من كل سلة وبغير فارق بين الأديان والأجناس.

وهذه المقاومة القوية هي التي يسميها المستعمرون حموداً من المسلمين في وجه التقدم والارتقاء، ولست هي في الواقع حموداً من هذا القبيل، ولكنها محافظة على «الكيان القومي» يحميه أن يقع فريسة سهلة بين براثن المستعمرين، ويستفيد منه ضحايا الاستعمار في مختلف الأقوام والأديان.

ولكن الاستعمار السياسي على خطره لا يصيب الأمم في مقاتلتها كما يصيبها الاستعمار الذي يشمل العقائد والأحلاق والعادات والنظم الاجتماعية، فإن هذا الاستعمار يصيب الأمة في كيانها الصميم ولا يبقى بها بعد ذلك «شخصية» تدود بها خطراً يهددها في حاضرها أو مستقبلها.

\* \* \*

والأم الإسلامية أشد لأم تعرضت لعداوة هذا الاستعمار الذي يعادي جميع الأديان في الواقع ولكنه يعادي الدين الإسلامي بصفة خاصة لأنه نظام اجتماعي وأداب معيشية في وقت واحد، وبه مبادئ فكرية كالمبادئ التي يسمونها

في العصر الحاضر بالأيديولوجي Ideology تقوم عليها الآداب والعلاقات كما تقوم عليها عقائد الدين ووجهات النظر إلى أصول الحية.

لهذا كنت كراهة لاستعمار الشيوعي للأمم الإسلامية كراهة مصاعفة ، لأنه يجد فيها عظمات في وجه السيادة الأحسية وعقبت أخرى في وجه العقائد والآداب التي يفرضها عليها محالمة للدين ، ويحاول أن يلغى مبادئها الفكرية والخلقية مبادئ أخرى تناقضها وتهدمها ولا تبقى بقية منها صالحة لمقاومة أو متشئة مكيان .

وهناك ضرور من الاصطهاد بلفاها المسلمون جاليات متفرقة في اسلاد الأخرى ، كالجالية الآسيوية الإسلامية التي يريد عددها على سبعين ألفاً في أفريقية الحسوبة ، وتحرم حقوق الانتحاب باسم الفوارق العصرية التي لا تلاحظ في معاملة اليهود ، وهم أصل الفوارق العصرية التي ابتدعت من أحلها كلمة Anti-semitism «عدوة الساميين» .

وصف روبرت جون هذه الجالية في كتابه «حلال أفريقية مالان» يعنى «مالان» رئيس لوزراء السابق . فقال : بهم على فمرهم عاية هي الأمانة وأنه رار مسجداً من مساجدهم فسقطت منه ورقة وهو يلس حداءه ، ومضى في طريقة مسافة غير قصيرة ، وإذا ببنت صغيرة تعدو وراءه لتعيد إليه الورقة أنتى لم يلتفت إليها .

وعلى هذا الفارق في الأحلاق تحسب على القوم فوارق النون أو العقيدة ولا يسمح لهم بحق واحد من الحقوق السياسية التي يشاركون بها بعض المشاركة في حكومة البلاد ، وربما كان أبأؤهم فيها فل أن يعرفها أحد من النوير أجداد «مالان» فالعالم الإسلامى في العصر الحاضر أمام أخطر مشتركة تتطلب منه أن يشترك في مقاومتها وتحاد الخططة منها ، وهذه الأخطار هي

«أولاً» خطر الاستعمار لدى يهدد كيان الأمة في سيادتها وعقيدتها وأحلاقها وآدابها

و«ثانياً» خطر الاستعمار الذى يهدد سيادة الأمة السياسية ويسيطر من ثم على موارده ومراقفها .

و«ثالثاً» خطر الاستعمار الذي ليس به سيادة فعلية على البلاد ولكنه يرمى إلى توحيه سياسياً بالوسائل الاقتصادية أو وسائل النفوذ الدولي على اختلافها .

و«رابعاً» خطر التفرقة العنصرية بين الخاليات الإسلامية وغيرها من الخاليات في البلاد الأخرى .

واشتراك الأمم الإسلامية في هذه الأخطار يوجب عليها الاشتراك والتعاون في دراستها والاتفاق على الوسائل المستطاعة لاحتسابها والتغلب عليها



ولهذا يحىء المؤتمر الإسلامى فى أوامه ، وربما صح أن يقال إن المؤتمر لإسلامى يتجدد لأن فى الوقت الملائم لأن الإسلام قد فرص على المسلمين فى موسم الحج مؤتمراً عاماً تشترك فيه جميع الأمم ، وقد أفاد هذا المؤتمر فوائده التى لا تنكر ، ولكنه لم يأت بجميع فوائد فى بعض العصور لأن السيطرة « المستبدة » كانت تصيب للأمم الإسلامية أحياناً من ساداتها المسلمين ، وكان الإمام الإسلامى « عبد الرحمن الكواكبي » بتحليل هذا المؤتمر تحليلاً فى موسم الحج لأن تحقيقه فى الواقع لم يكن من المستطاع ، وليس كتابه « أم القرى » ، لا مؤتمراً من هذا المييل .

ثم سعى المسلم الروسى الكبير « إسماعيل غصبر نسكى » فى عقد المؤتمر الإسلامى العام عند أوائل هذا القرن وساعده السادة انعثمايرون لأنه يحارب البوالة الروسية ، ولم يتنكر له المستعمرون لإنجليز لأن محاربة النفوذ الروسى فى آسيا توفق سياستهم ، ولبثت الفكرة مسية أو مهمة حتى حددتها قضية فلسطين فاجتمع المؤتمر الإسلامى للدفع عن فلسطين عدة مرات

أما المؤتمر لإسلامى القادم فشأنه غير شئون المؤتمرات السابقة ، إذ هو المؤتمر العام الأول الذى تشترك فيه الأمم الإسلامية بمحضر اختيارها بعد استقلال الكثير منها وثبتت المكانة السياسية لها فى محيط السياسة العالمية على اتساعها ، ومهمته فى مكافحة الاستعمار بأنواعه لا تقل عن مهمته فى مكافحة الضعف والجمود ولأحد بوسائل التقدم والارتقاء ، فليس فى العصر الحاضر من يحمى نفسه وهو متحلف فى ميدان المعرفة والقوة .





## براهين الإيمان عن طريق براهين الشكوك<sup>(١)</sup>

ترد إلى على الدوام رسائل صريحة من الشباب المثقف الحائر في شئون العقيدة . وموضع الصراحة في هذه الرسائل أن أصحابها يعربون في غير موارد عن شكوكهم في مسائل الدين ، من الإيمان بالله إلى صلاح بعض الفرائض والعبادات . ولست أنشاءم بهذه الصراحة ، لأنها دالة على أمور كثيرة تدعو إلى التفاؤل وحسن الأمل في الصمائر المتفتحة للمعرفة وسلامة الإدراك .

تلك صراحته تدل على نعل شمس لعصائدهم الروحية ، وعسى استعدادهم للانتقل فيها من حالة التقليد إلى حالة التبصر والاحتهااد

وتدل مع هذا - على امتعاص نفوسهم من حالة الشك والخيرة ، بدلاً من التدرج بها إلى الهجوم على «الإناحية الأخلاقية» واستحلال ما لا يحل في الدين ولا في عرف التدين الذي تقوم عليه أسس لأداب الإنسانية .

وتدل ، بعد هذا وذاك ، على أدب في الطبع يعصمه من داء الغرور ، ويلهمه أن يطلب المرید من العلم حيثما تطلع إليه ، ويندر في المصابين بداء الغرور من يحسب أنه بحاجة إلى علم في مسائل أخياة الكبرى غير الذي يهجن بحاطره ويقع منه موقع القبول ، بغير بحث ولا محاولة للمزيد من الفهم والإيضاح

وبين الرسائل التي وردتني أخيراً من هذا لقسيل رسالتان أحدهما بتوقيع «م . ا . زيدان» والأخرى يرجو صاحبها أن أمر إليه بحرفي «س . ع» إذا استجبت لرجائه وكتبت لي مجلة «الأزهر» عن موضوع سؤاله

يقول صاحب الرسالة الأولى : «تقدمت للالانحاق بكلية الطيران لأحقق أمنيته في أن أكون أحد أفراد القوات المسلحة ونجحت في الكشف الطلى مع القلائل الدين ينجون منه في قومسيون القوات الجوية ، ثم رسبت أخيراً في كشف الهيئة التي لم يرسب فيها أحد إلا أنا أتدري لماذا؟ لأن قلبي على اليمين ! »

(١) مجلة لأزهر ديسمبر ١٩٦٣

ويحتتم صاحب الرسالة كلامه متسائلاً «ألمت معي أن الله يتسبب في عذاب المشر؟ . أستحلمكم بالله أن تقنعوني بالآية التي تقول . «عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم . . .»

أما صاحب الرسالة الثانية (س . ع) فسؤاله عن «معرفة المؤمنين بالله لم لا يركونها ظهور لله لهم علانية بدلاً من هذا التحبط من قديم الزمن في طلعات لجهل ومنازعات الغضب والتعصب بين المكرين والمؤمنين ، وبين المؤمنين أنفسهم من أنصار كل دين ، بل من أنصار الدين الواحد على اختلاف المذاهب والتفاسير . . .»

ولقد كشفت لي تجاربي في دراسة الشكوك الدينية عن طريق قريب إلى أن الإيمان لا يطول النظر فيه كما يطول النظر في البراهين الفلسفية التي يقوم عليها العلم بوجود الله .

كشفت لي هذه التحارب عن يقين لا أرتاب فيه ، وهو اليقين بسهولة الخلاص من براهين الشكوك الدينية أو براهين الإلحاد ، لأن ظهور السطال في هذه البراهين أسير من البحث في براهين الفلاسفة على تحقيق وجود الله . وهي براهين المطلق التي لا تنصير عليها جميع العقول

فمن اليسير أن نفهم - بعد قليل من البحث - أن إنكار وجود الخالق لشيوع النقص والعذاب في عالم المخلوقات هو إنكار ضعيف السند ، غير قابل للتصور الصحيح عند إمعان النظر فيه .

وأيسر من ذلك إظهار الصلا في تحقيق معرفة الله برؤية العيان ، أو ما هو من قبيل رؤية العيان

فإدراك وجود الخلق يستلزم حلول الخلق من النقص والعذاب فلنجتهد في تصور العالم على هذه الصورة فلا نست أن نفهم أنها هي المستحيل بعينه على كل فرض من الفروض :

أولاً كيف يمكن أن يكون المحق كاملاً كمال الخالق الذي لا يعوره شيء من الأشياء؟

ذلك هو المستحيل الذي لا تتعلق به إرادة الله ، ولا يحور ما أن تنطلمه من قدرة الله ؛ لأن قسرة لله التي لا نهاية لها هي التي توجب أن يكون المحق المحمود برمانه ومكانه

دون ذلك ، ونتمتع أن يوجد في الصور إله كامل مخلوق إلى جانب إله الكامل الخالق لجميع الأشياء .

ولنتعسف التصور إن استطعنا - فنقدر أن المخلوقات يمكن أن توجد ناقصة وأن تكون مع نقصها سعيدة لا ترجو شيئاً ولا يموتها رجاء ترجوه بد جار هذا في حق الكائن السعيد الظاهر بكل ما يريد .

فهل توجد هذه المخلوقات السعيدة دعة واحدة بلا ولادة ولا نمو ولا وقوف بالنمو عند حد محدود؟

وإد، وحدث هذه المخلوقات السعيدة فهل تكون سعادتها من نوع واحد لا فرق فيه بين هذا المخلوق وذلك المخلوق ، كأنها نسخة مكررة في جميع الصفات والأحوال؟ وهل تتم لها سعادتها بغير مجهود منها وبغير سبب من نواحيث يموسها وبغير فرق بين من ولد بالأمس ومن يتبعه في الميلاد؟

وهل يتبعه ذلك التابع في الميلاد صغيراً يشعر بالنقص أو لا يشعر به ولا يشعر بما عده؟

أما إذا تفرقت هذه المخلوقات في أنواع السعادة فكيف تتفرق دون أن يكون هذا المخلوق مستمتعاً بمرية ليست للأخرين من المخلوقات؟

وهل تكون المخلوقات جيلاً واحداً ، ثم يكون هذا الأمر بالخلق إنصافاً للأحياء التي تظهر بعد انعدام على سنة التتابع بين الرالدين وأبولودين؟

إن خطأ الشك الذي يقوم على آخر من العالم على صورة من هذه الصور هو أظهر لأخطاء بعد النظر اليسير .

فكمال المخلوقات لا يدل على وجود المنفرد بالكمال المطلق الذي لا يتكرر ولا يقل التكرار

بل نقص المخلوقات هو الذي يدل على ذلك الكمال على كل وجه قابل للصور والتقدير .

وإد، تصوريا الخلق بهذه الصورة التي لا صورة غيرها في الإمكان فمن اليسير أن نفهم كيف نرجو شيئاً لا يتحقق ، وكيف نخجل ما نرجوه ولا سرى بكل ما يضمه العيب لنا من عراقب هذا الرجاء .

ويستعملني السيد «م. ١٠. ريدان» أن أقنعه بالآية التي تقول : «وعسى أن  
تكروها شيئاً وهو خير لكم . »

فلا أراى بحاجة إلى مثل بعيد عنى ولا عن الواقعة التي رواها صاحب الرسالة  
عن نفسه وكانت سبباً لشكواه من المفادير .

لقد أردت في مطلع شبلى كما أراد السيد ريدان أن أبحج في امتحان كإمتحانه  
لإتمام الدراسة بالديار الأوربية ، وكانت الجامعة المصرية في نشأتها الأولى هي التي  
نطمت ذلك الامتحان على يد رئيسها سعد رعلول لتحرير الأساتذة المرشحين  
للتدريس فيها بعد عودتهم من أخامعت المرسية والإنجليزية ، وقد فانى النجاح  
في الامتحان لسبب من الأسباب الشكلية كما فات السيد ريدان ، فأطمت الدنيا  
في عيني يوم ذاك ونعيت على الدنيا كلها حيلة الرحاء ، وطست أنه هو الرحاء  
الأول والأخير في الحياة ، ولكسى اليوم بحمد الله غير بادم عنى ما فات وغير عاتب  
على المقادير بل قد علمت بعد قليل أنسى لم أعتب على سعد رعلول ولم أحمله  
جريرة الخيبة فيما رحوت ، وكنت في مقدمة المدافعين عن عمله بالجامعة المصرية  
يوم أنكره عليه المنكرون غير مصنفين ولا متخرجين .

أما الشك في وجود الله لأنه لا يظهر لما عيانا ، فهو أضعف الشكوك التي تساور  
العقول في أمر الأديان السماوية وهي أمر كل دين يؤمن فيه المعتقد برب معبود .

هل تريدنا معرفة إسمائية أو تريدنا معرفة من طبيعة غير طبيعة الإنسان فيما  
يعرفه ويتعرف عليه من الأشياء؟

إننا لا نعرف أوضح شيء في عالم المحسوس لأنه يرينا نفسه حلياً وصحاً للعيان  
وهذه الشمس لا ترى العين شيئاً أوضح منها ولا يرل التعرف عليها حتى اليوم  
مدتي من أوله كأننا برها لأول مرة في عصر العلوم والكشوف

وليس بالمعقول - إنسانياً - أن تكون حقيقة الحقائق الكبرى أقل أسراراً أمام  
العارفين والمتعرفين من أقرب المحسوسات إلى الوصوح بغير أسرار ولا بقية للتعرف  
عليها بعد نظر العيان

ولكننا نحسب التصور مرة أخرى ونحاول أن نتصور كيف تتأتى المعرفة بالله  
عياناً لجميع المخلوقات في جميع الأوقات .

فهل يسجل الله لعباده مرة في القدم ثم ينتقل هذه السجلى بالرواية والحكاية إلى  
الخماء والأعقاب؟

وهل ينقله من رأى الله عياناً إلى خلعتهم وأعقابهم نقلاً يتساوى فيه الحر  
ويتساوى فيه اليقين بالرواية عسى مثال لا يتطرق إليه الشك والخلاف؟ ودا حدث  
هذه ومن أين لب أن الخلفاء والأعقاب تقبل هذه المعرفة على صورتها لمثلثي ولا  
تشك فيها كما يشك المكرون للأنبياء والمرسلين؟

فإن لم يستقم هذا الصور في العقول فهل يستقيم فيها أن يتجلى الله لكل جيل  
في زمان بعد زمان! وهل يعنى التجلى في الحيل بعد الحيل عن التحلى مرة بعد  
مرة ، بعد ألف مرة ، لكل مولود جديد في كل حيل جديد؟

وإذا تكرر هذا التحلى خاص لكل موبود ، فهل تتساوى المحوقات في كنه الإيمان  
وصى درجة الإيمان ، بل في كنه العيان ودرجة العيان؟

وإذا أمكن أن يتكرر العم بحقيقة الحقائق على السواء وعلى هذا المثال فماد  
بقى للتموس والصمائر من المارق يسها وبين الآلات الصماء في تعليق الصور  
وأدراك المعرفة واجتهاد الصمائر والعقول؟

إن يماناً كهذا لا تحتلف حصائمه عن حصائص الأحسام انادبة التى لا معنى  
فيها لعقيدة من العقائد ولا لاتفاق أو اختلاف على هذا الدين أو ذاك

ويكتفى بما تقدم لتقرير العكرة التى أردنا أن نقرر بهذا المقال ، ومحمل الرأى  
فيها أن الشك في مراهين الإلحاد أيسر أمام العقل من برهين الشك في الإيمان

فهانان حجتان من أشيع الحجج التى سمعها من انتشككين عتراضاً على  
الدين حجة الألم في الدنيا وحجة الاستدلال على وجود الله برؤية العيان بوارى  
بيهما وبين ما يقبلهما فلا يطلب من المعترضين أن يذهبوا بعيداً في التفكير إذا  
وقصوا عند القول بأن العالم كما يريده المعترضون أصعب تصوراً وأشد ظمناً  
للمخلوقات من العالم كما تتصوره المتدبون ، المؤمنون بوجود الله على عادة ما ستهى  
إليه تصور العقل البشرى من الحكمة والقدرة .

وحس أوثق ما نكون نفساً بأن سائر البراهين التى تحظر للمعترضين تجرى هذه  
المجرى وتنتهى عند الفياس إلى مثل هذه النهاية ، وكلها كافية للاقناع بأن برهين  
الشك والإلحاد أظهر خطأ من برهين النفس والإيمان

\* \* \*

## هذه هي الأغلال (١)

المسلمون في حاجة إلى جرعات قوية من قنب هذه الجرعات التي ناولهم إياها صاحب المصينة الأستاذ عبد الله عني القصيمي في كتابه «هذه هي الأغلال»

لأن الذين يحجمون عن مساعي الحياة اعتقاداً منهم بتحريمها إنما يحرّحهم في هذا الوهم عاملان صروريات وهم عظة اخوادث وعظة لمرشدين ، وأحق الناس بإسداء هذه العظة اليهم من يصححون لهم الوهم بإسداء الكتاب والسنة النبوية ، ومن يرشموهم لأنهم مندينون يقهمنون الدين على وجهه المستقيم ، لا لأنهم ينكرون الأديان فلا يلتقون بهم في أصل من أصولهم التي يتقبون منها الحجة والدليل

والكتاب بحق كما وصفه مؤلفه انفاصل «ثورة في فهم العقل والدين والحياة» لأنه يهجم على سلطان عشوم هو سلطان الجهل ، ومعقل حصين هو معقل العادة ، وححمل مجر هو جحص العوء وأمشاء العوءاء ، ويرفع السيف والمعول بغير رهة ولا هراة ، ويعتمد سيفاً واحداً ومعولاً واحداً في هذه الثورة الجريئة ، وهما سيف اليقين ومعول الرهان

فهو يشل العارة الشعواء على من يقدسون السلافة ويوجنون على الناس الكسل باسم الاتكال على الله ويحرمون تعليم المرأة وتدريبها على فرائض الأمومة والرعية الاجتماعية ، ويوهنون ثقة الإنسان بنفسه ، ويكروون لحكمة الفديمة والعلم الحديث ، ويرغمون أن الزمن يتأحر ولا يرحى فيه من أجناء اليوم والغد رجاء يضيفونه إلى تراث السلف ومآثر المتقدمين

وقد استند في كثير من معارض النقد على آيات من الكتاب وأمثلة من سير الأنبياء ، وأمانيد من المطلق السليم ، ولم يبال بالسمعة الموروثة ولا بالأصوات المرفوعة ولا بالأكاديب المتواترة ، فهاجم أباساً يحسبون من الأئمة المقدسين عند العامة وأئبى العامة ، وذب عن فلاسفه غير مسلمين لم يشهدوا عهد الأديان الكتابية مثل أرسطو وأفلاطون .

فلما روى هذه الأبيات :

من أتى يا رسطو ومن	أفلاط قبلك «يا ميلد» <sup>(١)</sup>
ما أنتمو ولا المرا	ش رأى السراح وقد توفد
فدنا فأحرق نفسه	ولو اهتدى رشداً لأبعد

مهد لها قائلاً : «إيهم» «أقلوها في مدمعة أولئك الرجال الذين حاولوا في عصور  
سحيقة أن يضعروا اللغات الأولى في سبيل هذه الحصار» «وعقب عليها  
مستكراً أن يكون هؤلاء الرجال السائحون «حكيمهم حينما أرادوا الدنو من لمعرفة  
ومن العلم حكم الفراش الذي يرى النور الموقد فيشب عليه»

ثم استطرد بعد صفحات فقال : «ومن السلاء حقاً أنهم لم يقصروا عند منافع  
الجهالة بل قدموا - سلاهة كثيفة - يمتدحون بجمون والبله والبله والمجدين  
وهالك قسم كبير من الأولياء كتيبو هي الطبقات يسمون بالمجاذيب أو بالأولياء  
المخاذيب ، وقد أورد الشعرا في كتابه طبقات الأولياء الكبرى أسماء طوائف كثيرة  
من هؤلاء المجدوبين ، وكذلك صنع غيره» .

أما الفصل الذي تناول فيه موضوع امرأة يعسوب : «نساء هي أم سلعة - فقد  
قبل به بين أقران المتطرفين في الحجر عليها راقوس المتطرفين في تخويلها حقوق  
العمل والحرية ، ووقف بين الطرفين وسطاً يعدل بين هؤلاء وهؤلاء ، ولكي أحسنه  
لو خير نسهما لأثر الإطلاق على التكميل بقيود الحجر والحمود

وبحق يرفق الأستاذ القصيمي على الهدف الذي يرمى إليه ، وعلى الآفة التي يشكو  
مها ، ولكنا نخالفه في بعض الآراء كما نخالفه في بعض العبارات ، ولا نحسن منها  
بلذكرها إلا جانباً واحداً يلتبس فيه الرأي ويسود فيه الطاهر على وجه غير وجهه  
الساطر ، أو وجهه الذي طبع عليه بعد المراجعة والمؤارنة بين الحقائق المتقابلة . فرب  
حقيقة تقابلها حقيقة أكرسها ، ورب ناحية برها وحدها فإذا هي مستكرة ، وبرها في  
مكائنها من مجموعة السوحي المختلفة ، فإذا هي لازمة لا عدا عنها .

هذا الجانب الذي نحسنه بالذكر في هذا المقام هو كلام الأستاذ على فلسفة  
الصفوف إذ يقول : «إن وجه الخطأ في هذه الفلسفة أنهم اعتقدوا أن الروح وحيد  
عاملان مستقلان متعاديان ، وأن كلا منهما حرب للأخر ، وأن كلا منهما أيضاً إما

(١) وقد رواها لأستاذ «قد مجدده»

بمؤ ويركو على حسب الآخر، فإذا أهين أحدهما وعذب فما الآخر وترعرع، وقم بوظيفته خير قيام، وإذا أكرم وأربح وأحم أصاب الآخر بالعكس . . . وهذه فلسفة عقيمة لا تعف أمام الحقائق فإن الروح مهما اختلفت في حقيقتها وفي تفسيرها تركو وقوى وتقدر على أداء وظيفتها إذا صح الجسم وقوى واستراح، وتضعف ويحمر ويحمر عن القيام بعملها إذا مرض الجسم أو عجز . . . وهذه حقيقة هي اليوم فوق مذهب الشك، وفي استطاعة الرجل العادى أن يعدهم صدق هذا بالملاحظة والاستقراء» .

ونحن نقول : إن هذه حقيقة لا شك فيها

ولكننا نقول : إنها ليست كل الحقيقة، أو ليست بالحقيقة التى نستغنى عن الرجوع به إلى حمة الحقائق فى الملكات الروحية والجسدية .

ولعلنا ستعجل العاية التى نرمى إليها بالإشارة إلى حقيقة أخرى مجسمة لا شك فيها . فما القول مثلاً فى الإنسان الذى يقبل على الحسد وحده فيحمره أصعب من القولا وأقدر على حمل الأثقال وحرها من الحرص والبعير؟ أيقال أن هذا الإنسان قد راد قوة الروح بزيادة قوة الحسد؟ أيقال أنه مثل يحتديه كل إنسان ولا يصيب الأمة بنفس فى الملكات إذ اقتدى به كل فرد من أبنائها؟

لا يقال ذلك، ولا يقال مع ذلك أنه مثل صار وحييم العاقبة على بناء الأمة، بل يقال أنه لازم ومطلوب ومعقول، وإن «القصد الحيوى» فى تربية الإنسانية يسمح للرياضة البدنية أن تصطفى بها أفراداً من هذه الطور، ويسمح للرياضة الروحية أن تصطفى بها أفراداً من طور آخر، ولا يسمح لهذه ولا لتلك بتعميم حكمها على جميع الأفراد .

هذا «القصد الحيوى» هو الحقيقة الكبرى التى تقابل تلك الحقيقة المبسطة فى كتاب الأستاذ

فالمملكات الإنسانية أكثر وأكبر من أن ينالها إنسان واحد .

ولكنها ينغى أن تنال . فكيف يمكن أن تنال؟

إنها لا تنال إلا بالتخصص والتوزيع، ولا يتأتى هذا التخصص أو هذا التوزيع إذا سوينا بينها جميعاً فى التحصيل، وألزمنا كل واحد أن تكون له أقساط منها جميعاً على حد سواء .



ولا تقتصر المول هنا على الملكات العقبية أو الروحية التي لا يسهر ، حصاؤها  
ولا تحصيلها ، ولكن نعم به هذه الملكات ومعها ملكات الحسن والجسد ، وهي  
محدودة مثقارية في جميع الناس

فهذه الملكات الحسدية - فصلاً عن الملكات العقبية والروحية - قاسية لدمو  
والمصاعفة إلى الحد الذي لا يحظر لنا على نال ولا تصدقه إلا إذا شهدناه

وعد رأيت ورأى معنا ألوف من أبناء هذا البلد رحلاً أكتع يستخدم أصابع قدمه  
في أشياء يعجز الكثيرون عن صنعها بأصابع اليدين يكتب بها ويشعل عيدان  
نقاب ويصنع القهوة ويصنعها في لأقدح ويشربها ويديرها على الحاصرين ، ويسلك  
الخيوط في سم الابرة ويخيط الثوب المرق ، ويوشك أن يصنع بالقدم كل ما يصنع  
باليدين أو باليسار

ورأينا ورأى معنا ألوف من هذا البلد لاعبي الديارد في المسابقات العامة  
يسلمون العصا ثم لا يتركونها إلا بعد مائة وخمسين إصابة أو تزيد ، ولعلمهم لا  
يسركونها إلا من تعب أو محاملة للاعبي الآخرين ، وهم يوجهون بها الأكر إلى  
حيث يريدون ، ويسلونها بين خطوط مرسومة لا تدخل الأكر في بعضها ، ولا  
تخسب اللعبة إذا لم تدخل في بعضها الآخر ، بحيث لو قال لك فتل إن هؤلاء  
اللاعبي يحرون الأكر سلك حفي لحر لك أن تصاق ما يقول

ورأينا من يقذف بالحربة على مسافات تتقح حيث شاء ، ورأينا من ينظر في آثار  
الأقدم فيحرج منها أثراً واحداً بين عشرات ولو تعدد وضعه بين لمحات رأينا من يرمى  
بالأشوة في لحس الطويل فيطوق بها عرق الإنسان أو حيوان عنى مسافة أمتار

هذه هي الملكات الحسدية المحدودة ، وهذه هي أماد الكمال الذي تبلغ إليه  
بالتخصص والمراثة والتوريع .

فما القول إذا حكمنا على الناس جميعاً أن يكسبوا أعضاءهم ملكة من هذه الملكات؟  
إنا نحطئ بهذا أيما خطأ وبمظلمهم به عن العمل لميد

ولكنا نحطئ كذلك كل الخطأ إذ عاقبنا إنساناً لأنه أتقن ملكة من هذه  
الملكات الحسدية ، ولو جار في نفسه عنى ملكات أخرى يتقنها الآخرون

فيذا كب حاورنا بالقوى الحسدية حدودها المعهودة بالمراة والتحصيص فما الظن  
بالقوى الروحية أو العقبية وهي لا تتقارب في الناس ولا تعرف الحدود

وإذا كان طالب القوة الروحية يجور على جسده فمماذا يلومه وسبحى عليه ونحن لا نعاقب اللاعب إذا جار على روحه أو عقله في سبيل إتقان لعبة أو تدريب عضو أو تزجية فراع؟

إذا لمنا من يجور على جسده لأنه يصر الناس إذا اقتدوا به أجمعين فمن واحسا أن يلوم كل ذي ملكة وكل ذي عمل وكل ذي فن وكل ذي رأى من الآراء، فما من واحد بين هؤلاء إلا وهو يصر للناس إذا اقتدوا به أجمعين وما لا حداث فيه أن موارد الجسد تحجب الفكر عن بعض الحقائق الاجتماعية فصلاً عن الحقائق الكونية المصفاة .

وما لا جدال فيه أن شواغل العيش وهموم الأسرة عائق عن بعض مطالب الإصلاح في الحياة اليومية ، فصلاً عن الحياة الإنسانية الباقية على مر الدهور . وما لا جدال فيه أن طالب القوة الروحية كطالب القوة البدنية له حق كحق المصارع ، والملاكم ، وحامل الأثقال في ستركمال ما يشاء من ملكات الإنسان ، وليس على حق إذا أخطأ عليه أنه جار على جسده أو لذات عيشه ، لأننا لا يلوم المصارع إذا نقصت فيه ملكة الفن أو ملكة العلم أو ملكة الروح ولو أصبح كل الناس مصارعين لفسد كل الناس .

ولكن لابد من بلصاعة مع هذا ، ولابد من المتصرعين بها إذا أردنا لها البقاء . ولو أصبح الناس كلهم منصوفين معرضين عن شواغل الديق لفسدت الدنيا بطل معنى الحياة ومعنى الرهد في حياة

ولكن لابد من هذه السرعة في بعض النفوس ، وإلا قصرنا عن الشأ الأعلى في مطالب الروح ، وفقدنا ثمرة «التحصص» أو ثمرة «القصص الحيوي» الذي ينظم لنا ثروة الأرواح وثروة العقول وثروة الأبدان .

فنحن لا نصد الحقيقة التي بسطها الأستاذ القصيمي في كتابه الخرىء على الساطن . ولكننا نقابل حقيقته بالحقيقة التي توازنها وتتم لها مورسها ونقول إن الإفراط في العناية الروحية كإفراط في العناية الحسدية بلاء إذا عم جميع الناس ، ولكن البلاء الذي هو أعظم منه وأفسى على الناس حميقاً أن يبطل فيهم «لاحتصاص» ولو كان الإفراط من مستلزماته ، لأن «الإنسانية» كلها تستفيد من ريدة مكانها ، وهي لا تريد إلا بمصر في بعض الأحاد المعدودين

\* \* \*

## دور من أدوار التاريخ في الكتابة عن الأندلس الإسلامية<sup>(١)</sup>

أعجب من زوال دولة الإسلام في الأندلس بقاء آثارها سارية حتى اليوم في كل ناحية من نواحي الحصار الأوربية ، ويكفى أن نذكر من آثارها قيام دعوة الإسمايين منذ القرن الثاني عشر للميلاد ، ثم قيام دعوة النهضة ودعوة الإصلاح الديني وما يليها من الثورات الاجتماعية والسياسية ، لتعلم بعد هذا الإحمال السريع أن أثر الإسلام في الأندلس قد أحاطت بأصول كل حركة من حركات الثقافة العربية الحديثة

وقد كان للمؤرخين الأوربيين مواقف مختلفة ، متناقضة ، في تقدير تلك الآثار بين الإنكار والاعتراف ، وبين التهوين والإكبار .

كان موقف العداء والمخاربة أسبق تلك المواقف في عصر «التعصب الديني» من بقايا القرون الوسطى فكان القائلون على ثقافة العرب يتبعون خطة «إغفاء وانطمس» لمصادرة العصور الإسلامية ، ويتمسكون مطاردتها ويعادها ، وإن شهدوا بمصلحتها وعترفوا بحاسنها ، لأنها مصدر قوة للإسلام وآية من آيات «سحره» الذي يجتذب إليه قلوب المتعلمين من غير المسلمين .

ومضت القرون الوسطى سقاناها فجاء بعدها عصر الكشف والتقيب عن مجهولات في كل باب من أبواب المعرفة الإسلامية فاكشفت في هذا العصر معاصر الحصار الإسلامية في الشرق والغرب ، وكان للحصار الأندلسية نصيبها الأوفر من عانة القوم لاتصالها بوطنهم في صميم القارة الأوربية ، وهب تفرقت مواقف المؤرخين والبقاد من الغربيين مع تفرق المقاصد والمصالح أو عرق الطوائف والآراء

فمنهم من كان ينظر إلى موضوعه من خلال الصراع بين الكنيسة والمشيقين عليها فينتصر لمن حرمته الكنيسة و صطهدتهم ، وفي مقدمتهم أحرار الفكر المتأثرون

(١) الأهرام مارس ١٩٥٩

بالشفافة الإسلامية ، ولابد مع الدفاع عن هؤلاء - من الدفاع عن فلاسفة الإسلام وعلمائه وقادة الفكر والمعرفة في بلاده

ومهم من كان ينظر إلى هذا الموضوع التاريخي من خلال الصراع على حقوق السلطة القائمة فينحذ من المواقف ما يناسب هواه : إن كان من أعراف السلطة فهو من محافظين الحامدين ، وإن كان من أعراف الحرية فهو من الحاسب ، مقابل للمحافظة والحمود

ومهم من كان يعمن حساب الاستعمار السياسي فهو ينكر قصائص لإسلام أو يشهد لها الشهادة التي تقف عند حدود المأصبي ولا تتعداها إلى المحاصر الذي علت فيه سيادة للمستعمرين . فلا حرج عنده من الشهادة للإسلام بالعظمة التي صلحت في زمانها لتعظيم قومها ، ولكنها ذهبت مع زمانها فهي الآن في خبر كان .

منذ الحرب العالمية الثانية تعبرت هذه المواقف جميعاً وحلّمتها مواقف أخرى أقرب إلى الإنصاف والاستقلال النظري ، لأنها تصدر من بواعث «عامة» يقل فيها التوجيه والإملاء ويستتم أصحابها مطالب البشر ورغبات القراء ويحرون مع العصر في مجراه العالِب عليه ، وهو «السرعة العالمية» التي تؤثر الاطلاع على شئون العالم قديمها وحديثها وتتوسع في طلب الأخبار والمعلومات من جميع المصادر والجهات

والذين يكتبون اليوم عن الأسس الإسلامية يجمعون بين السرعة العالمية و«سرعة» الهواة «الشخصية» ، ولا يسون مطالب البشر التي تتحرى ميول القراء ولا تقوم على التوجيه والإملاء من جانب الدول ، أو جانب الهيئات التي تشبهها في اصطاع الدعاية .

\*\*\*

من أحدث المؤلفات التي ظهرت في هذا الدور سنة ١٩٥٨م كتاب «الاندلس» أو أسبانيا في ظل لمسلمين» مؤلفه الأستاذ أدوين هول Edwin Hole المستشرق المعروف .

عمل هذا المؤلف بمصر وسوريا وتركيا والبلقان ثم اعتم فرصة العمل في وكالة «ملقة» القنصلية معكف على دراسة الحصار الأندلسية من قريب وقضى في هذه الدراسة رهاء خمس سنوات ، حرج منها بهذا الكتاب الموجز الذي يقع في نحو مائتي صفحة ويشتمل على أحدث لأقوال وآراء في تاريخ هذه الحصار . وجملة ما يقال عن أقواله وآرائه أن لرجل أنصف حصار الأندلس لإسلامية فيما فهمه

وتأتى له أن يحكم عليه ، ولكنه جهل منها بعض جوابها - ولا سيما جانب الشعر والأدب - فأحال فيه التبعة على غيره وبيع بذلك عاية ما يستطيعه جاهل الشئ من نصافه وتقديره .

يكاد المؤلف أن يقول عن جانب الثقافة من حصاره الإسلام في الأندلس أن الدولة الإسلامية قد صنعت الخوارق في ترقية العقول والأذواق ، وأن ولاية الأمر فيها كانوا يعدون عدو الحيد حيث سار اللاحقون بهم في خطوهم الهزيل ، فيتعثرون وهم يدرحون .

ففى كلمة «الكتاب» تتلخص المعجزة التى صنعتها الدول الإسلامية فى القارة الأوربية . قال المؤلف عن مكتبة الخليفة «الحكم» : إن عند كتبها ومجاميعها قُدِّرَ نحو أربعمئة ألف كتاب ومجموعة وقد حاول الملك العريسى شارل الملقب بالحكيم بعد الحكم بأربعة قرون أن يشيئ مكتبته فلم يستطع أن يجمع فيها أكثر من تسعمائة كتاب ، ستمائة منها تبحث فى اللاهوت .

وقد تحاوت أفاق القارة الأوربية من مشرقها إلى مغربها بسمعة العلماء المسلمين فى طب العلم والتحصيل والحرص على اقتناء الكتب النفيسة والمطبوعات النادرة ، فكان «الكتاب» أعز الهدايا التى يخطب بها ود الخليفة بين ملوك القدره وأمرائها ، وكانت السفاره الناححة فى بلاط قرطبة سمارة الملك الذى يرود رسوله بنحفة من تحف العلم والحكمة ويقول المؤلف فى سياق كلامه عن الكتب : «إن الرعية فى المعرفة كانت مستمبصة لا حدود لها . وقد حدث أن لإمبراطور البيرطلى أرسل إلى عبد الرحمن الثالث كتب «ديو سفيريدس» ، فى العقاقير» ، فعهد إلى جامعة الطب بترحمته وحل رموره ، وكان الحكم بن عبد الرحمن نفسه من كبار العلماء يشترك فى البحث بالوفود إلى أطراف البلاد لشراء المخطوطات ودعوة العلماء إلى بلاطه حيث يعملون معاملة السجاء والحقارة فأصحت أسباباً قطباً قوياً يجذب أساطين العلم من كل مكان»

وظل الكتاب فى المغرب الإسلامى ذخيرة مصونة بها على الصياع حتى فى أيام الإديار والأمول بعد زوال الدولة فى شبه الجزيرة الأندلسية فلم استوى الإفرنج على سفينة محملة بالكتب ولا متعة لمولاي زيدان المركشى فى القرن السابع عشر ، أرسل الأمير بطلب الكتب ولم يجعل بما عدها من حمولة السفينة . ويقول المؤلف : إن المسألة أحييت على محكمة التفتيش وأردت هذه المحكمة أن تئدى بعض

السماحة في جوابها على الأمير لمعري ، فقررت أن ترد إليه كتب العم والحراوية وما إليها ، وأن تحجز الكتب الديسية التي قد تعزز سطوة الإسلام ، ورفع الأمر إلى مجلس الوزراء فرفض أكثر أعضائه اقتراح محكمة التفتيش ، وأشاروا بإحراق الكتب العلمية والديسية على السواء ، وتوسط النبل المستير الرميز دي فيلادا De Velada عند الملك لإيقاد هذه الدحيرة ، فأمر الملك بحسها وعلاق الأبواب عليها في مكان حصين

ويبيض المؤلف في استقصاء أخبار المكتبة الأسلسيه من مصدرها ، ولكنه يعنى في شرحه لآثارها وتعاليمها بحاب يقل المعيون به من المؤرخين العربيين ، فلا يدع القارئ يفهم من الإفاصة في ذكر الكتب والمطالعين عليها أن المدرسة الأسلسيه مدرسة معقولات ومحفوظات ، قصارها أن تخرج الفقهاء والحكماء وتحشو أذهابهم بمسائل العم والأدب أو بمسائل الطب والهندسة وصناعات المرافق النافعة ، ولا يدع الفرائى يفهم أن انقيل على المطالعة في إبان الدولة كانوا من تلك الزمرة التي يطلق عيها الأوريون اسم «ديدان لأورق» بل المهور من نواذر الكتب وطرائفه أن الاطلاع على تلك لأورق قد كان راداً من أرواد المعيشة الصالحة ، والحياة الإسسية حياة الحسن والعاطفة وحباه السلوك المهذب والكمياسة العلمية وما بوحيه من آداب المعاشرة الطيبة في البيئة الإسلامية وغيرها من البنات الأوربية ، ولعل السياسة التي اشعل بها المؤلف في مهام القصاص والرسائل المحكمين الذين يولون أعمالهم بين الأعداء والأصدقاء في أيام لحروب والقلاقل التي اتجهت به إلى البحث عن نصيب «لأسلسي المثقف» من مهام «الدبلوماسية» في تلك العصور المحموفة بالظلمات والأخطار

نقل المؤلف عن مخطوطة وجدت بمدينة فاس بما اطلع عليه المستشرق ليفي بروفسال أخبار أول سمارة تبودلت بين الإمبراطور البيريطى تيوفيلوس ولخيفة عدد الرحمن الثاني فقال في فصل العلاقات اخارجية :

«أراد تيوفيلوس أن يثير حفيظه عند الرحمن الثاني فدكره بدمج العباسيين لآبائه وأحب أن يرصيه بالررية من حلفاء بغداد فلم يسمهم بالأسماء التي اشبهوا بها كالأمايون والمعصم بل سسمهم إلى أمهاتهم من حواري القصور ، ولكن الرنادم بقدرح لأن أماء عند الرحمن نفسه لم يكونوا ممن يسكرون التسرى بالأماء ، فأحابه حوائاً ممرعاً في قالب الجممة مع التخصف ولاحتجار ، ووكل أمر السمارة إلى الشاعر البند يحيى بن الحكم البكرى الذي كان لرشفته وجماله يصب بالعرال »

قال المؤلف : « فويل الورد في القسطنطينية بالحفاوة السكية ، ولكن الإمبراطور أصغر في نيته أن يضطر العرزال إلى الانحاء بين يديه على الرغم مما هو معلوم من تعذر ذلك . فأمر بفتح باب صغير في عرفة العرش لا يدخله القادم قائماً . فلما أقبل العرزال جلس عند الباب وتقدم راحقاً حتى بلغ ساحة العرش فبهض على قدميه ، وكان الإمبراطور قد أحاط نفسه بعرض حافس بالأسلحة والفائس يريد أن يروع الصغير ويهوله ، ولكنه لم يروع ولم يستهول ما رآه بل مضى على أثر وقوفه في إلقاء رسالته وسلم الإمبراطور خطاب مولاه وودائع التحف والهدايا من المصنوعات ولأنية الفاخرة . فكان لها أحمل الوقع في نفس الإمبراطور وكفت للوفد لأندلسي طبيب لمقام وحسن الخدمة ، واهتم الصغير اهتمامه الخاص بأهل البلد فحير علماءهم بالمشكلات الفكرية والمناقشات الدكية ، وكان الصربيت ابوقة لقادتهم وهرسبهم ، وشع حبره حتى انتهى إلى مسامع الملكة فأرسلت تستدعيه إلى حصرتها ومثل أمامها فسلم منحنياً وأمره النظر إليها كالمشوه ، فأمرت الترحمان أن يسأله : أترأه يمعن النظر إليها لجمالها أو لعرايه مرأها؟ فكان جوابه الحاصر أنه قد رأى الحسن حفات بليكه فلم ير منهن من يصارعها في جمالها ، ودار حديث بعد ذلك على هذه النعمة المحبوبة ، واستجابت الملكة لرجاء العرزال أن تسمح له برؤية الحسان من حواتين الملكة ، فحفل ينظر إليهن من الصروع إلى الأقدام ، ثم قال ليلقى بحكمه لمنظر إنهن في الحق لحييلات ، ولكن لا رحة للمقارنة بين وبين الملكة التي تنزه محاسنها وشمائلها عن الضيرات ولا يحسن وصفها غير المجيدين من الشعراء ، وعرض عليها أن ينظم هذا الوصف في قصيد من شعره يتعنى به لأندلسيون ، فوثقت الملكة فرحاً ومنحته هدية نفيسة من حلالها ، فأبى أن يأخذها وقال : إنه على نفاستها وعلى اعتزازه بما تمنحه الملكة من هدية كائنه ما كنت ، يحسب أنها قد وفته فوق حقه من النعمة ، ومنحته غنية ما في الوسع أن تمنحه بسماحها له أن يتملى النظر إلى طلعتها ، وأنها شاعت أن تصاعف له العطاء فحسبها أن تريده خطأ من النظر إليها . ولم تكن الملكة تنتظر ما هو أحب إليها من ذلك ، فلم تزل تدعوه إلى مجلسها كل يوم لتسأله عن مشاهداته ورحلاته وما وعاه من التواريخ والقصص ، ثم تبعث إليه بعد انصرافه بالتحف الثمينة من الأسجة والعطور . »



وليس في كتب « الأندلس في ظل الإسلام » غير القليل مما لم يرد في المطولات من أحسن الشرف والندح وظواهر الرعد والرحاء التي « شتهر بها ذلك العردوس

المعقود ، ولكن هذا الكتاب ، الحديث يورد أساء المدخ والتrof ، ويتحللها هنا وهناك  
بإدارة أو عبارة تسم على إدراك لمعنى الحياة ، موكل بالصمو الرفيع من لدات الروح  
وأشواق العاطفة الإنسانية ، يتفقد الأندلسى ، لشقف وبو حصت له متعة الحماه  
والشراء ، ومسرة الملك والسطوة فكان عبد الرحمن الناصر يقيم نفسه مقام الحكم  
لطاع بين ملوك المسيحية ، ويستقل فى عرته وعلياته وفودهم المتنازعة ، كما يستقبل  
الملوك أنفسهم أحياناً وقد حو أعاقهم العصية لمراسم الاستقبال فى بلاط الخلافة .  
وبكهم وجدو بين أورقه بعد وفاته أنه لا يذكر من أيام حكمه الطويل نحو  
خمسين سنة - غير أربعة عشر يوماً بعدها من أيام الصمو التى لا تشوبها سحابة .

\* \* \*

كانت حضارة متاع وجمعة ، وكنت حضارة عمل وفهم وعاطفة  
كانت حضارة «إسبانية» كاملة ، تلك الحضارة التى وصفها صاحب كتاب  
«الأندلس فى ظل الإسلام» مسوخياً لها الإنصاف عاية ما يستطيعه الكاتب  
الأوروبى لمعر بحضارته العصرية فى القرن العشرين .

أما الذى فته أن ينصفه من تلك الحضارة فهو الذى فته أن يفهمه من حيرة  
المأثورات عها ، وهو ملاعتها الشعرية الشائقة بلاغة الموشحات والألحان .

يقول صاحب الكتاب فى الفصل الذى خصصه للكلام على الشعر لانسسى .  
«إن أكثر هذه سطومات بما لا يطيقه العقل العربى ، وهو رأى يصرح به الخراء نثلث  
السطومات ولا يعرف من هو أحق بالحكم عليها من حارسيا جومير Garcia Gomez  
الذى يجمع بين الأستاذية فى العدم والنوق عقده للكلام على اس فرمان أحد الشعراء  
المأحرين . إن الصاعقة اللفظة هو موضع العناية الكبرى فى الأدب العربى ، بين شر  
مقيد بالأسحاح وبين ألوان من المجازاب والأشياء والطلاوب واللوازم ، تعورها الحرارة  
والشعور ، وكأنه هى كلها عرص من العروص المقنعة بالمراقع ، حيث البسمات لألئ  
والعيون أزهر بمصحيات والرياحين حواهر و لجداول سيوف وأن القارئ ليجتهد  
اجتهاده بين ترجمات بير Peres أو شك Schack فينوء ذهبه بما يطبق عليه من  
السق المتفق المتوتر خصور كالأعصاب تستش من أكام الرمال ، أو شاعر يشبه نفسه  
بالطير الذى أثقل بدى الممدوح حناجبه فأعباه أن يطير ، أو برق يومض بين العمم  
كأنه صرام العشق فى قلب الشاعر يتوهج من حبل دموعه ، ونصفها أو أكثر من  
نصفها فوالب منقولة يحكيها البطامون من وحى الذاكرة »



وهذا الخطأ الدريع في الحكم على الشعر العربي شائع غالب على أقوال المستشرقين فهمه ولا يرى صعوبة في فهمه إذا ذكرنا أن الغالب على هؤلاء المستشرقين أنهم من زمرة الحماط يشعلون بحايات «الحماط» من الأدب ولا يشتعلون بلباب الأدب في لغاتهم ولا في لغات غيرهم من المشاركة أو المعارضة فهم لا يحسنون الحكم على شاعر من أبناء جلدتهم وأحرى بهم ألا يحسنوا الحكم على الشعراء من أساء اللغات التي تحالف لغاتهم في تراكيبها ومصطلحاتها ، ومن أبناء الأم التي تخالف أمهم في أمرجتها وعاداتها ، وقد ينظر الكثيرون منهم إلى القصيدة لرأعة فيقفرون عند مجازاتها ويشعرون «بالربكة» التي يشعر بها عندنا من يقول مثلاً : هات الأسطوانة ! فيحضر له السامع قرصاً من أقراص الغناء المسجل ، فيحتفظ عليه لأمرين م توقعه من لفظ الكلمة وما رآه بعد ذلك من حقيقة المسمى .

وكذلك يشعر المستشرق بالربكة حين يتوقف بدهمه عند مجازات التشبيه فيحسها مقصودة لداتها ويتقيد بقشورها اللفظية دون ثمراتها وبنورها ، فلا يدري كيف بطرب العربي لهذا الشعر ولا يحاول أن يرجع بالعجب إلى نفسه قس أن يتهم أمة كاملة بصلال الحس وسوء التعبير ، وهي - فيما نعم من الأم التي تصخر بلسانها وتكرر العجمة من ألفاظها ومعانيها .

ولقد كن من أقرب التفسيرات إليما أن يرجع بأحطاء المستشرقين في فهم الشعر العربي إلى الفارق الأبدى «المرعوم» بين أدواق الشعراء في لغاتنا وأدواق الشعراء في لغاتهم على تباينها ، وكنا نستقر ذلك التفسير لولا أننا نعلم أن قراءنا بتدوقون شعرهم كما بتدوقون شعور ، وأن الفوارق الكلامية لا تحول دون ظهور المعنى الإنسية لمن يلمسها في موطنها ويتجرى أن يربها بموريسها وأن يبعد إلى بواطنها . فليس بين لأدواق الإنسانية من فاصل في تمير فنون البلاغة الخالدة ، وإنما هو الفاصل بين «الحماط» والدوق يحول دون الفهم الصحيح في اللغة الواحدة فصلاً عن اللغات المتعددة ، وهذا هو الفاصل بين المستشرقين «الحماط» وبين محاسن الشعر العربي في ظواهره وخفاياه .

على أن العذر محمد لمن لا يستحسن ، لأنه يحهل ولا يدعى أنه يعلم ، وإنما النوم عبي من بسىء البية قبل أن يسىء الفهم ، فلا يرحى منه إصناف

\* \* \*

## الاختراعات بين العلم والدين

الإسان يحب الحديد ، لأنه إراءه بين فرحة تشرح الصدر وتسرح الحاطر ولكنه هى أحوال كثيرة يصر من الحديد ، بل يلع من نعوره أن يرتاح منه ويرتاب نظواهره وحوافيه ، ويصر إليه كأنه طامع مقتحم يريد أن يتزع منه دحية يحرض عليها . هل فى ذلك تناقص ؟ نعم فيه تناقص ، ولكن فى الطاهر حون الحقيقة ، وما أكثر ما تغيب الإسان فى شعوره وهواه ، ولكنه فى موقعه أمام الحديد يحبه لأسباب ويصر منه لأسباب أخرى سواها ، فهو فى الحقيقة بين حبه وصره لأن أسباب الحب غير أسباب الصور

بنا دا رجعا إلى أنفسنا وحدنا أنا نحب الحديد ونقل عليه فى معظم أحوالنا ، فإذا نمرنا منه وحذرنا فلا بد أن يكون فيه شىء يحس ذات المعيشة أو يحس المصانع والأوراق ، أو يحس العقائد الدينية والأوهام ، حتى يدخلها بعض الناس فى عداد المعتقدات ، فإذا كان فى الحديد أساس لعذابنا فى المعيشة ألقنا وطرد النوم من عيوننا ، ونقول إنه بطرد النوم من عيوننا حقاً ومعللاً ، ولا نقوله من جانب التعبير بالمجاز ، فإن الكثيرين منا إذا عبروا مكنهم نمر النوم من أعينهم وإن كان المسكن الحديد أدعى إلى الراحة من مسكنهم الذى ألفوه ، وربما حالت العادات بين الإسان وبين مفعته عند لصدمة الأولى من صدمات التعبير .

ومن الأمثلة الكثيرة على ذلك أنا فى مصر تعودنا أن نزرع القطن ونقصه فى مناطق على محاصيل لحبوب ، وتفق فى أيام الحرب العنيلة أن كسدت سوق القطن ، وبارت تجارته ، وقلت محاصيله ، وأن زراعة القمح أصبحت من الضرورات وردت منافعها على منافع الزراعة القطنية ، وأصبح شراءه مضموناً بالشمس المطلوب لأن الدولة تشتريه وتشجع زراعته . ولكن الرراع الذين طل عهدهم بزراعة القطن ترددوا كثيراً قبل أن يقتنعوا بتغيير م ألفوه ، وفصل أناس منهم أن يحازقوا بزراعة القطن لأنهم ألفوه وتعودوا أن يستعدوا به فى موسمه على أن يزرعوا القمح المضمون لأنه يكلفهم تغيير العادات المألوفة

أما الحديد الذى يهدد الناس فى مصالحهم وأرزاقهم فلا عربة فى تصورهم منه قبل اطمئنانهم إليه . ونحن اليوم نحيل إليها أن نتم العالم وقعت فى التاريخ بدق الطبول

مركزاً واستبشاراً باحتراع البحار ، ولكن الوقع أن ،ملاحين حطموا أول سميئة سارت  
بالبحار ، ولد ساد البحار وكثرت الآلات التي تدرب به لم يعد فيه جديد ، ودخل في  
عداد الماكينات ، وتبين يومئذ أن البخار لا يعرقل الأيدي العاملة كما حصر  
بلمستحوفين منه عند ظهوره ، وأن الأيدي التي تعمل فيه أصعاف الأيدي التي  
كنت تعمل في السفن والمركبات

إلا أن المخترعات الجديدة قد تمس هذا ، البصر فتكون ثورتهم عليها أشد من  
ثورتهم على تغيير عادات المعيشة وتهديد المصالح والأوراق ، والمشاهد بالتكرار أن  
لمخترعات الجديدة ليست كلها مما يثير لأوهام أو يرى فيه الجهلاء مساساً بالعقائد  
ومناقضة لأحكام الدين ، لكن الغالب على العقول أنها تهاب كل ما يتعلق  
بتكوين الإنسان ، أو يتعلق بنظام الأفلاك ، أو بنظام السماء لأن خلق الإنسان  
وتفسير العنك من أمر الله

في القرون الوسطى كان الموت عقناً عاجلاً لكل من يحاول أن يشرح جسم  
الإنسان لأنهم اعتقدوا في تلك العصور أن لمشرحس يحتلسون سر الحياة ويأزعون  
الله حل وعلا في أمر الروح وفي العصور الحديثة فرغ الجهلاء من سماع صوت  
لإنسان خارجاً من آلات الحديد والخشب ، وحدث في بعض قرى الريف عند  
ظهور الحراموفون أن دعاً من أدعياء الدين حطم الحراموفون وأوشك أن يبطش  
سامعيه لأنهم يستمعون إلى الشيطان

وفي بعض البلدان ذهب فريق من المفصوليين إلى دار الإداعة ، وحاولوا إعراء  
المديع ليطلعهم على المكان الذي يحيى فيه الشياطين ويقل منه أصواتهم من  
 وراء الستار ، وكان ولي الأمر حكماً عاقلاً فأراد أن يقصى على هذا الوهم بدليل  
محسوس لا يمتري فيه السامعون ، فن «هل يقرأ الشيطان آيات الله؟»

قالوا : «كلا» فسمعهم من المديع القرآن الكريم ومحا بذلك طوبهم في  
حديثه الإداعة لأثرية فهي على التحقيق ليست من عمل الشياطين

ومسألة النفس وتمشيط الصدر باستنشاق الهواء وتسيه القلب بالنبص بعد  
فتوره ، وفتح الدماغ بتصحيح عبريه وأمرصه ، كل أولئك كان في عصر الجهلاء  
افتراء على قدرة الله أو ادعاء للقدرة الإلهية ، ثم تعلموا بالخبرة وفهموا حقيقة هذه  
السجارب العلمية ، ففهموا أنها من علم الله وأن الله هو الذي علم الإنسان ما لم  
يعلم ، فلا يكون علم الإنسان إلا دليلاً على قدرة الله .

وفي الأيام الأخيرة يحدث الناس بالاقمار الصناعية ، فكان من الممكن أن تسمى بغير هذا الاسم ، فيقال عنها كما يقال في لعبة القلک ، بها تواع صناعية للأرض ، وتنتهى المشكلة باختلاف الأسماء ، ولكن تسمية الجسم الطائر في الفضاء باسم القمر ، أوهمت فئة من الجهلاء أن هذا الاختراع ادعاء لقدرة الله ومشاركة له سبحانه وتعالى هي ملك السماء .

ويسرون أن يقول : إن هؤلاء المتوهمين قليلون ، بل جند قليلين ، فلا تظن أنهم يلعبون عشر أمثالهم قبل مائة سنة أو قبل مائتين ، أو أن هذا الجسم المسمى بالقمر ظهر في تلك الأيام ، وهذه علامة من علامات التقدم في مدى جيلين أو ثلاثة أجيال

\*\*\*

سألت نائعا في ذلكا بدال ، هل رأيت القمر الذي تحدثوا عنه في الصحف؟

قال في غضب : «لم أراه ، ولن أراه ، ولا أريد أن أراه .»

قلت : ولم يا صاح؟

قال : «يشاركون الله في سمائه ثم أنظر بعيني إلى فعلتهم .»

قلت : هل يستطيع أحد أن يشارك الله في سمائه؟

فصاح : «كلا كلا!»

وبدا عليه كأنه تسه من غفوة أو عفة ثم قال : «ولكن ما لهم ولسماء يتطلعون

إليها ، ألا يكفهم ما في الأرض حتى يتطلعوا إلى سماء الله؟!»

قلت : مهلاً يا صاح . فإن الأرض لله والسماء لله ، وليس الفضاء الذي وصل

إليه القمر الصناعي إلا قيراطاً من ألوف القيراط ، فهو من الأرض وإليها ، وقد

وسعت الأرض مخترعات الإنسان ، فماذا يضيق بها الفضاء؟ وأين يأمن الإنسان

من قدرة الله ، وهو أقرب إليه من جبل الوريد

فهدأت عضة الرحمن وقال : جزاك الله خيراً ، فقد أرحمتني وما كنت أضن إلا أن

القيامة قائمة بين يوم وليلة وأن الصواعق ستنقض عيبا من كل مكان فالحمد لله

ولا حول ولا قوة إلا بالله .

إن هذا الرجل السرىء ومن على شاكلته معذورون فيما يتوهمون لأنهم يجهلون

معنى السماء ولا يدرون معنى مشاركة الله في سمائه . ولكن اللوم حق اللوم على

من يعرف طرق من العلم ثم يتوهم أن الاقمار والصواريخ تهدم عقيدة من عقائد

الدين ، أو تكشف عن رأى جديد يزعم الإلحاد ويلقى الشك على قواعد الأدیان

والأقمار الصناعية وما إليها حديثة في الصناعة وليست جديدة في النظريات العلمية ، وما من نظرية علمية يقوم عليها هذا الاختراع كانت مجهولة عند أحد من العارفين بقوانين الحركة وعوامل الطاقة المادية ، ولو كانت الشركات أو المصانع التجارية تشتغل بأمثال هذه المخترعات لأقمار الصناعية قبل هذه السنين بسنوات كثيرة ، ولكن الشركات والمصانع التجارية تنفق أموال حملة الأسهم فيما يعود بالكسب المالى ، وإنما تنصدي لهذه المخترعات غير التجارية أم كبيرة تستطيع أن تنفق مئآت الملايين في التحارب والمحاولات ، ولا تنصدي جميع الدول لذلك ، ولو كان لديها أقدر العلماء وأبرع المخترعين ، ولهذا كانت هذه التجارب والمحاولات محصورة فى دولتين اثنتين ، ولم تكن عامة حيث وجد العلماء ومخترعون .

ولقد شهدت أم العالم فى القرن الأخير مئآت من المخترعات بعضها أعرب فى نظرياته وتطبيقاته من الصواريخ والأقمار الصناعية ولم يقل أحد أنها سعة فى الدين ، أو أنها ترعى ركنًا من أركان العقيدة فى دين من الأديان

هذه المستحدثات لا اعتراض عليها من جانب الإيمان ، وإنما يأتى الاعتراض عليها وعلى النوسع فيها من جانب المفكرين فى الحرب والسلام ، وكل من أصحاب الآراء يبيحها ويرحب بها ، أو يحشدها ويتشاءم منها على حسب ما يراه ، فمنهم من يرحب بها لأنها معرفة جديدة ، ولا يحور للإنسان أن يعلق أبواب المعرفة بها ومنهم من يحشى أن يستخدمها المحاربون فى القتال فلا تسقى ولا ندر ، ولا ينتهى القتال بها إلا بنهاية الحصار الإنسانية وانتكاس نبي آدم إلى عهود الهمجية والجهالة العمياء

والدين يتشاءلون ويتشاءمون يعتقدون بحق أن خطر لأسلحة الميكروبية أعظم حذا من أخطار الصواريخ والأقمار الصناعية ، لأن سلاح الميكروبات مستطاع لأكثر دون الأرض ، لا يتوقف على صحامة المعامل ولا على وفرة الأموال ، إنها أطلقت القذائف الميكروبية بحرائيم الطوعين والأرضة فشتت فى الأرض وسكنت بالمحاربين والمسلمين ولم تمنعها الحواجز والحدود ، فهي موفورة لكل أمة داب صناعة أو غير دت صناعة ، وهى خطر أعظم من خطر القذائف الذرية فمن دواعى التفاؤل بل من دواعى الأمن أن يكون الإنسان قادراً على تقييدها ونفقاء دورها فى الحرب الدصبة ، فهو فى المستقبل أحرى أن يقييد الأسلحة الذرية ، وأن يستخدم الطاقة الذرية سلاحًا مكافحة الفقر والفحط ونقص المواد العذائية ، وربما كانت هذه الأقمار مفيدة فى يوم قريب فى تنظيم المد والحرر أو تنظيم دربان الجليد فى المناطق القطبية أو تنظيم السحب والأمطار ووسائل الرى فى الصحارى المهجورة والسهول القاحلة

\* \* \*

## المُؤَفَّقُ الْمُؤَفَّقُ<sup>(١)</sup>

### الإمام المصنف الشيخ محمود شلتوب

فى كتابات الإمام العقيد - الشيخ محمود شلتوب - كلمات لها طابعها الذى تتميز به بين أمثالها من الكلمات فى كتابات غيره ، من يهضون بأمانة الدراسة الدينية .

ولعل أبرز هذه الكلمات فى كتاباته وفى أحاديثه «كلمة الشخصية» .

ينحها بوصف العقيدة ، ووصف المرائض المقدسة ، بل يجعل العقيدة - كما يجعل الفريضة - معدماً من معالم شخصية لأمة ، وشخصية لإسان فى حياته الباطنة وحياته الظاهرة .

قال رحمه الله فى مفتتح مقاله عن رسالة لأرهر - «إن للإسان فى هذه الحياة فرداً كان أم جماعة - شخصيتين ، حسية ومعنوية ، ولا يحظى بالوجود الكامل إلا إذا دل حظه من الشخصيتين . وشخصية الفرد الحسية يكونها اللون والطوب والعرض ، وشخصيته المعنوية يكونها إيمانه ومدؤه وهدفه فى الحياة ، وماله من عقل وتدمير وثبات ومثابرة فى سبيل عبده وهدفه» .

ثم قال عن شخصية الأمة الحسية - «إنه ترجع إلى إقامتها فى الإقليم الذى نشأت فيه وإلى الأصل الذى تنسب إليه» . «أما شخصيتها المعنوية فهى ترجع إلى روابطها القدسية والعقلية والشعورية ، وعلى قدر ما يكون لها من التأثير بتلك الروابط المتفاعلة والحرص عليها وعلى معارفها التى تكونها ، وعلى الإيمان بمصدر تلك المعارف ، يكون لها بين الأمم من أثر الوجود المعنوى» .

وكتب عن الصلاة فى فصل من فصول «لإسلام عقيدة وشرعة» ، فقال عنها «إنها العنصر الثانى من عناصر الشخصية الإيمانية» .

وعلى هذه التوتيرة كانت كلمة «الشخصية» تتردد فى أحاديثه لبدلالة على قوام كل «وجود» حى يتميز به عقل الإنسان وضميره فى حياته الروحية ، وهى نحة من لحات التعبير الباطنى تدل على معانيها وتدل مع هذه المعنى على مقدار شعوره

(١) لأرهر يناير ١٩٦٤

مكرامة الشخصية واقتراحها نحو الإنسان وواحده وبالتسعة التي تناط بها الحقوق والواجبات ، وتقرر له موقفه من انشخصيات إنسانيه الأخرى في إبداء الرأي والاصطلاح بأعناء الدعوة والإقناع .

هذه واحدة من خصال العقل المجتهد ، من هي أولى تلك الخصال في كل ترتيب لكفايات مجتهد من كان له رأى وعلم ولم يكن له نصيبه الأولى من هذه الخصلة فلا سبيل له إلى الاجتهاد ، لأنه ينقى العائق الأول عن أدء وطمة الاجتهاد من فسر نفسه ، ويحجم عن العمل في سبيله قبل أن يصدده غيره عن تلك السبيل .

وتلك هي الخصلة التي توافرت للأئمة لأسبقين من أصحاب الرأي والقياس في الشريعة ، وبفضل الثقة التي كانت تملأ نفوسهم من هذه الخصلة كانوا يقولون لمن يستكثر عندهم التعقيب على أهل العلم من الصحابة والتابعين : إنهم رجال ونحن رجال .

وإذا اجتمع لاجتهاد في كلمات معدودات صح أن يقال إنه هو القدرة على الرجوع إلى روح القرآن الكريم ، أو إنه عبارة أخرى تفسير المذهب بمعانى القرآن الكريم ، وليس هو تفسير القرآن الكريم بمعانى المذاهب أو تنصيصها أو بأقوال الرواة فيها

ولقد كان هذا هو إيمان الإمام الفقيه بالكتاب المبين ، وكان هذا هو منهجه في الاحتكام بالمذاهب إلى آياته وأحكامه ، مستفيدة عما يضاف إليها من شروح ، مختلفين وتأويلات أصحاب الرأي وأصحاب اللغة من المفسرين .

وقد لخص العالم الماضى الدكتور محمد السهى هذا المنهج في تقديمه لتفسير الإمام الفقيه . فقال «التفسير الذى تقدمه اليوم للمسلمين هو تفسير للمسلمين أجمعين ، لا لمذهب معين من المذاهب الفقهية ، ولا للون من ألوان العقيدة الكلامية ، ولا لاتجاه خاص من اتجاهات أهل الصاهر أو أهل الباطن» .

ثم تعرض للمنهج الذى اختاره الأستاذ المفسر واقتدى فيه بالمعلم المصلح العظيم محمد عبده فقال إنه منهج «جعل السورة وحدة واحدة ، يوضح مرادها وأهدافها وما فيها من عمر ومبادئ إنسانية عامة» ، وإنه لا يقحم فيه على القرآن من رأى خارج عنه ، أو مصطلح استرع من مصدر آخر ، فجعل كلمات القرآن يفسر بعضها بعضاً ، كما أظن ، الحرية للقرآن هي أن يدللى بما يريد دون أن يحمل على ما يرد .

وبهذه المثابة يصح تفسير القرآن للمسلمين جميعاً ، وعليه يقام أساس التوفيق بين المسلمين أجمعين ، وهي أمانة لا يصططلع بها غير أهلها من القادرين على

الاستقلال بالفهم وعلى مواجهة اختلاف بما ينبغي للمجهد من الشجاعة الصادقة  
ووسائل الإقناع بإحسان ، وما ينبغي للمجهد المعلم خاصة من الصمود إلى عاية  
التعليم ، وغاية المعهد العلمى الذى يتولاه .

وصف الإمام الفقيه رسالة الجامع الأزهر معهد العلم الإسلامى الأكبر فقال فى  
نصع كلمات . «إبه معهد الدين وحسن اللغة المكين» .

ومن أراد هذه الرسالة للجامع الأزهر فقد عرف من قبل رساله القرآن الكريم ، بل  
عرف المعجزة الكبرى لهذا الكتاب فى ناحية إعجازه التى لا مرء فيها ، وهى  
معجزة الأثر الخالد التى تستطيع بحسن أبداء هذا العصر - أن يدركها وأن يكون  
إدراكها لها أقوى وأوضح من سبقونا إلى العلم بمعجزة الكتاب المبين .

معجزة الأثر فى ألف وأربعمئة سنة أقوى وأوضح من معجزة التى شهدها أبناء القرن  
الأول ثم شهدها أبناء القرون الأولى بعد عصر الدعوة . فبما اليوم نستطيع أن ندرك تلك  
المعجزة التى لا نظير لها والتى تقاصرت عنها الهمم ووقفت دونهما دعوات الأفراد والأمم .  
وتم بها ما يتم بعمل إله وقول إله . وهيبات أن يتم بجهد الإنسان بعير معونة الله :

- أربعمئة مليون من سبي آدم سرقهم لأحسان واللغات والسقاع والأرمان ،  
وجمعهم كلمات انقرآن

- وكلمات حفظت الدعة التى برلت بها وليست هذه الدعة هى التى حفظتها ، ولم  
ينفق قط للغة من الدعاب أن عاشب بكتاب واحد مدى هذه السنين ، فلم نعيش لغة  
اليونان خمسمئة سنة بكتاب هوميروس ، ولم نعيش لغة اللاتين بعض هذه السنين  
بلغة مريحيل وهو . س ، وذهبت لغة مدرس ولغة الهند . وفيها من الكتب ما لا يقرأه اليوم  
غير كهان المحارب ، وماتت لغات أخرى كانت تعيش قبل الإسلام ، ونسيت لغة  
القرآن حية فى عالم الديانة وفى عالم الكتابة وفى عالم الشفاعة ، وستحيا عداً كما  
حييت بالأمس إلى ما شاء الله ، وصح فيها قلوب الأستاذ الفقيه \* «بها ليست فى هذا  
المقدم عربة الإقليم والحو ولا عربية السبب إلى أصل ينتسب إليه الحسن .  
وصارت عربية الشخصية المعنوية المكونة من عنصرى العروة والإسلام . . . » .

ولما تكلم عن غايته من التعليم فى المعهد الأكبر الذى تولاه قل «نريد تحريج  
تسريز لأئمة فى اللغة وفروعها وأئمة فى الفقه وأصوله ، نريد تحريجاً أسامه النظر  
العميق والاحتهاد العلمى الذى يكون الشخصية الفقهية والشخصية اللعوية  
العربية ، لا نريد تحريجاً يلتزم فيه محلفات الماصى من آراء ومداهب ، بل بحب



أن يجتهد وأن يؤمن بأن حاجة اليوم هي الفقه واللغة وعقائد الدين غيرها بالأمس ،  
وأن يؤمن بأن فصل الله في كل ذلك لم يكن وقفاً على الأولين .

وستعير من أسبوت العقيد فنقول إن الاجتهاد كما أراده هو الاجتهاد بعصر  
«شخصيته» على غامها كما يسعى أن يصطليح به المجتهد في جميع العصور ، وهو أنم  
من ذلك بالنسبة إلى عصرنا هـ الذي نعيش فيه ، وبالنسبة إلى العصر المقبل  
الذي يواجهه المجتهدون عما قريب .

فما من عصر من عاصر الاجتهاد إلا قد ظهر له في هـ العصر باعث  
يستدعيه لم يكن طاهراً بهذا الحلاء وهذه الصرورة هي عصر من عصوره لماصية

فيها هنا عنصر النظرة الموحدة إلى الكتاب الذي رتفعت فيه  
حواجز الاستعمار لأحسب ووجب أن تحل في مكانها روابط القرى بين أمم  
لإسلام على تعاقد الدبر وتعاقد الشيع والمذاهب التي لا يفاء لها مع توحيد النظرة  
إلى كتاب المسلمين أجمعين .

وهـ هـ عصر اللغة في عصر النهضة العربية ، وقوامها كله نهضة الثقافة العربية  
التي تتحد بها ثقافة الإسلام في جميع اللغات .

وهـ هـ عصر «الاستقلال» في عصر الحرية الفكرية أو عصر «الإنسان» الحر في  
الجماعة الحرة ، وقد مصت الجماعات في طريقها إلى الخلاص من طبعين  
الاستبداد وطعنان الاستقلال .

وها هـ العصر الذي أصبح فيه معهد الإسلام الأكبر كما قال الشيخ رحمه الله  
«بصم السوداني ، والمعربي ، والحبيشي ، والبشمي ، والشامي ، والفلسطيني ،  
والأندلسي ، والتركتاني ، والسعودي ، والأفغاني ، والتركي ، والروسي ، واليوناني ،  
واليوغسلافي ، والكردي ، والعراقي ، والتركي ، والإيراني ، والسامي ، والتكستاني ،  
والعربي ، والملاوي ، والرومي ، والأردني ، والسامي ، والرخماني ، ولأوغندي ، والديبي ،  
والنوبي ، والحزائري ، والمراكشي ، والإريتري ، والسفغلي ، والصومالي ، واليمني ،  
إلى غير هؤلاء ممن وعدوا إليه أو يتوحدون مع الأيام بلا مقطع . لا حرم كان من بشائر  
الأمم - كما أسلمنا في غير هذا الموضع - أن يهضم الشيخ شلتوت مشيخة الأزهر في  
الرمس الذي تفتحت فيه الطرق بين البلاد الإسلامية بعد أن تحررت من الطعنان  
الأحسب عيها وبين هذا المعهد الذي لا معهد في العالم الإسلامي أولى منه بصم  
الشمل وتقريب مسافة الخلف بين المسلم والمسلم حثم كان في أقاصي البلدان

ومن عرف الإمام الفقيه عرف أنه قد تروود لهذه الرسالة براد غير عممه العرير  
وشجاعه الصادقة ، وهو راد القلب الطيب والسجينة الكريمة تجمع الخصوم على  
الألفة والثقة كما تجمع الأصحاب والأصهار

ولقد عرفنا الشيخ الأكبر سوات في مجمع اللغة العربية فتعود أن يعرفه  
«هراًنيا» في دراسته لأسرار اللغة ، قبل أن يعرفه «العويأ» في دراسته لأسرار القرآن ،  
وكما سمعه يقول : إن القرآن معجز بما هو به قرآن ، ويعنى بذلك سقه الذي ينظم  
الفاظه ويوحى من معانيها بما ليس في مفردات الكلم ولا في آخرته التي يقنصها  
لإعراب في كل عبارة فليست الكلمة الواحدة هي محل الإعجاز ، وليس محض  
الإعجاز هو الكتمين أو الكلمات الثلاث التي تنم بها حملة الفعل والفاعل أو  
المبدأ والخبر وجر وجرور أو المضاد وانصاف إليه ، ولكنه نسق دقيق يتخطى لورم  
العلاقة بين الألفاظ في النحو والصرف إلى نوارم العلاقة بين المعنى والوحدان ،  
وبين الوحي والبصيرة ، مما لا تدركه ولا تبلغ إليه بلاغة الإنسان وبهذه البصيرة  
المنفتحة سسى له أن يفهم القرآن كتناً للمسمين جميعاً يرجعون إليه ويرجعون إلى  
مصدر واحد يظل فيه الخلاف ، أو يختلف فيه اختلفون ولكن كما يحذف العقل  
الواحد بينه وبين نفسه في وجهات نظره بين حين وحين ، وبين اعتبار واعتبار

وبهذه البطرة «القرآنية» عمل الشيخ الأكبر في تنطيمه للدروس معاهد التعليم ، كما  
عمل على هذه الهداية في علاقته بالأئمة الإسلامية وعلاقته ببلاد العرب أجمعين  
والحديث في حطته على هذه الحادة القديمة أنه فهم أن اللغة العربية ، أو اللغة القرآنية ،  
شيء يتعلمه العربي المسلم كما يتعلمه المسلم غير العربي ، فهم يكن عبي المسلمين  
عصاصة في هذه المساواة الشاملة ، ولم يكن للعربي إيثار على غيره ، لأن عرويته في هذا  
المهح هي عروية القرآن الذي يتسوى فيه المسلم والمسلم من كل جنس ، ويكن لسان

ولش مصى الإمام اجتهد ولم يعقب برنامج المفضل لتطبيق الشامل «العملى»  
في المستقبل الذي سيواجهها عما قرب لقد عمل وعلم وأعقب المثال الذي  
يهتدى به من عمل معه ومن تعلم على يديه ، ومن يقدر على مجاراته في اجتهدده  
والريادة عليه بما يتهيا لهم من وسائلهم ولم يتهيا له في حياته ، وإلهم لكثيرون يعون  
الله يجزيهم الله ورياه

\* \* \*

## المادية تنهديم (١)

مثل رهط من علماء العرب عن مصير الإنسان ، فقال العالم المشهور «سير حوليان هكسلى» ما فحوه . إن أدوار التطور الكبرى قد انتهت بالنسبة إلى النوع الإنسانى ، إلا ما يكون منها خاصاً بالدماغ والفكر ، فإن النوع الإنسانى لا يزال قابلاً فى هذه الوجهة للمزيد من التقدم والنماء ، وليس المنظور أن يكون هذا التطور «عضوياً حيوانياً» فى سبب الدماغ ، فإن حجم الدماغ من حيث النماء الحسى كحكم سائر الوظائف الحيوية . ولكن الأفكار التى تتولد من مساحت العلم ولهن على الأحبال المتعاقبة تريد محصول الإنسان من المعرفة فتزداد قدرته على التفكير الصحيح تبعاً لذلك ، ويحدث التحاوب من العارفين فى البيئة الواحدة فيصحح بعضهم تفكير بعض ويأتى من تجمع الأفكار وتصحيحها ما هو منظر للنوع الإنسانى فى مجموعه من تطور العقل وصحة التفكير

والذين خالفوا السير حوليان هكسلى فى تطور الدماغ من السبب الحسدى لم يحالفوه فى اعتقاده أن التقدم سأتى من معالجة التفكير ، وأن مرآة الدهن على التفكير فى مصاعب الحياة هى التى يرتبط بها النماء فى حجم الدماغ وفى قدرته على الفهم والإدراك ، ثم فى تعوده أن يعمل بدهاء وارتجالاً ما يعمل اليوم بعد التنبه والاحتياط

وقرر هكسلى وموافقوه من العلماء والمفكرين الذين سئلوا عن مصير الإنسان أن هذه الآراء جميعاً أبعاد ما تكون عن «لماديه» أو عن تلك المفسدة التى تربط مصير الإنسان بجسده ، وبالمعيشة المادية التى تعيشها الجماعة وتعرضها على عقول أفرادها

ولا عمل للمادية فى توحيه مستقبل الإنسان . وإنما هى لأفكار والعلوم ماضى التقدم كله ، وماضى الاتجاه - من ثم - إلى أطوار من الرقى والنماء تعلو على أطواره اليوم .

وعقب المفكرون الدينيون على هذه الآراء فوافقها الكثيرون منهم ، ولكنهم قالوا إن نجاة النوع الإنسانى مما يهدده عداء لن يكون معلقاً بأفكاره العلمية ولا بمساحته فى شئون الفلسفة الطبيعية ، لأن هذا النوع الإنسانى إنما يأتبه خطر النقاء من جانبيه اثنين أحدهما كوارث الكون الكسرى ولا حيلة له فى دفعها بعلومه وفلسفته .

(١) الأهر فىبرير ١٩٦٣

واحساب الآخر كآثره الحرب الذرية ، وهى بعض آثار التقدم العلمى ولن يكون خلاص النوع ، الأساسى منها على يد العلم المتقدم ، لأنه هو مصدر الخطر ووسيلة الكارثة المروية ، وسلاح الحرب الشعواء التى تودى بحياة هذا النوع أو بقى ما بقى منه فى حالة كحالات الهمجية الأولى وقد سئل أينشتين مره . ماذا يكون سلاح الحرب العالمية الرابعة إذا كانت الذرة هى سلاح الثالثة ؟ فقال حاداً : غاية الجحود وساحراً : غاية السحرية . نكون سلاحها الحارقة ! يشير بذلك إلى رجعة إلى أسان كرة أخرى إلى العصر الذى سبق عصر القوس والسيف ، فضلاً عن عصر الطيارة والمصروخ

قال أولئك المفكرون . إن الخطر إذا كان من نفس الإنسان فلا حاجة له بعلوم العقل ومخترعات الصنعة ، وإنما تكون حياته تعلم من عالم الروح يستفيع به الصمائر والعقول إنما تكون بحده بالدين ، وبالإيمان الدينى والعقيدة الإلهية ، ولا حاجة به فى غير هذا الطريق .

وكل هذه الآراء من أقوال كبار المفكرين إنما يهدم المادة باسم الفكر والمعرفة وتعتمد على المعارف بين حساب الإنسان العقلى وحاسبه الحسدى لترجيح القول باعتداده فى تقدمه بعد اليوم على الساحبه الفكرية منه ، أو على الساحبه التى تأتى من تجمع المعلومات ولا انتفاع بها فى حياته العلمية .

ولكن الفلسفة المادية هيم يرى - من تهديم من ناحية التفكير وحده ، ولا من ناحية الدماغ لمفكر دون النظر إلى مادة بدنه ومادة الكائنات الطبيعية من حوله ، بل تهديم الفلسفة المادية لا محاله من كل نظره واقعية ننظرها إلى حقيقة تركيبها مستفيدة عن الفكر ، بل عن الدماغ وهو محمول على مادة من بعض نواحيه .

إن لمادة نفسها ليس بها قوام أصيل تقاس بغير مقاييس الفكر المحض ، كما تقاس الفكرة عن الروح وعن عالم التحريد والمجردات .

فقد كان العلماء وغير العلماء ، يقيسون المادة بالشر أو بالشعرة وبالقصة أو الفيوط وبالمتر أو جزء من ألف من متر ، وكان هذا كله مما يوصف بالامتداد ويدخل فى العقل الإنسانى بقياس الامتداد فى الفضاء أو الامتداد فى الزمان ولكن هذا الامتداد من ناحيته لرمية أو المكابية يروى اليوم أمام المقاييس التى تقاس بها ذرات المادة وحللايا الخلية فى تركيبها الحسدية ، ويوشك أن يعود العلم بالمقاييس حميمًا إلى شىء لا امتداد له كالنقطة الهندسية التى يعرفها الرياضيون بأنها شىء

لا طول له ولا عرض ولا عمق ولا اتساع ولا امتداد على الإجمال وإيه مع ذلك أساس جميع الأبعاد .

لقد وصل اليوم إلى القياس بوحدة الأنجستروم Angstrom وهو قياس واحد على عشرة آلاف من الميكرون Micron .

وما الميكرون بالنسبة إلى المقاييس التي تمهيم بالامتداد؟  
الميكرون هو جزء واحد من ألف ألف جزء من المتر الواحد .

فهناك إذن أشياء يبلغ من دقتها أن نقس أو نحسب بحساب جزء من عشرة آلاف مليون من أجزاء المتر الواحد . .

فما الفرق في التصور بين هذا الجزء وبين المعنى الذهبية التي تدرك بالتقدير الرياضي أو التقدير الفلسفي المجرد من كل مادة محسوسة؟ إن هذا لفرق ينتهي به سميته «المادة» إلى نهاية لا ندرك بحير التقدير والتمكبير ، بل يسهل تقدير الروح والتمكبير فيها بقياس المعنى الذهبية ويظل إدراك لوحدة الأنجستروم صعباً عسيراً لاختلاطه اللاحق به من عالم المحسوسات .

ويقال أصلاً في الكلام عن تفجر الذرة : إن هذه الشرارة تنفجح في جزء من عدة آلاف جزء من الدقيقة ، وإيها تصل بالإشعاع إلى جزء من عدة آلاف جزء من السنتيمتر بسرعة الشعاع .

فكيف يدرك هذا الجزء بحساب الامتداد الزمني أو حساب الامتداد في الفضاء؟ إن دقة واحدة تستند الثانية ، ونحن نقسم الثواني إلى ثوانث فلا نتصور كيف تكون الدقة بعد انقسامها إلى سنين ثلاثة فكيف نتصور الجزء من الآلاف الكثيرة بحساب هذا الامتداد .

ومذا بقي من الفارق بين حقيقة المادة وحقيقة الروح؟ ومذا بقي من الفرق بين نهاية عالم الخفاء ونهاية عالم الشهود على يد التجارب العلمية ولا يقول على يد المسحات الصوفية أو التحليلات الروحية؟

على أن هذه الأجزاء المادية التي تحسب بالملايين لا تدرك بالبصر الإنساني حين تتجمع تحت المنظار الكبير ، وإنما تدرك إذا عولجت بالأصبع الكيميائية ثم ظهرت لونا تلمحه العين ولم تظهر بغير هذه الصورة إلا مقدورة مفروضة بعلم الحساب .

وكذلك تدرك النسلات وتذكر الصبغيات التي سميت بهذا الاسم : لأن الصبغة هي الوسيلة الوحيدة التي تقرب الملايين منها إلى عالم الإدراك أو عالم المحسوسات .

والى هنا يمكن أن يقال إن العالم المحسوس يشملها ما دامت الصيغة تظهر منها الملايين أو أصعاف الملايين .

ويصح هذا القول إذا كانت الصيغة تظهر لنا أخصائص التى تحتويها السلسلة الواحدة من جملة هذه الملايين .

والسلسلة الواحدة لا تظهر منها خاصية واحدة للصيغة ولا للحساب ، لأن هذه الخاصية لا تنتقل دفعة واحدة من الحبة إلى مكانها المقدر فى تكوين جسم الإنسان ، بل تنتقل ثم تنقسم مرة ثم تنقسم ألف مرار ، ثم تخرج منها فى كل مرة صورة بعد صورة بعد مئات الصور يتولد منها فى النهاية كل ما احتوته واشتملت عليه قبل هذه التقسيمات

فالسلسلة التى يتولد منها الخير وتشقى فى المهانة نون العين أو لون الشعر أو لون البشرة لا تنتقل بهذه الخاصة مباشرة أو على صورة واحدة ، ولكنها تخرج منها خاصة بعد خاصة بعد أخرى على الترتيب الذى لا يختلف فى حالة من الحالات ، وتغشى السلسلات بحواصها المختلفة فى حيزها الصغير فلا يحتلط بينها عمل واحد بعمل الأخرى ، ولا يتيسر للظن ولا للصيغة ولا للحساب أن يفصل فى لحظة واحدة بين هذه الأحوال .

فإذا كانت الصيغة تدخل عشرات الملايين من هذه خريشات فى عالم الحسن باسطار الكبير ، فأين من عالم الحسن تلك الخاصة التى تفرقت فى كل جزء من هانيك الخريشات التى لا ترى بالصيغة ولا بغير الصيغة ؟

كل ما يلزم لإدراك المعنى المجردة يرممها إدراك السلسلة بخصتها التى كمنت فيها وراء العين ووراء الخدس ووراء الحساب .

وعلى هذه الوبيرة تنتهى لمادة على أبهى الماديين فى صميم علومهم التى عرلوها قديماً عرل الأبد عن عالم المعنى وعالم الروح وعالم الخفاء

ولقد صح عند الذين استحدثوا لمادة لتكران كل عالم غير العالم المحسوس ، أن القرن التاسع عشر كان عصر انكسر بما وراء الطبيعة أو بما وراء المادة وعصر لإيمان بالمادة دون سواها ودون ما وراءها ، وأصبح من ذلك أن القرن العشرين هو عصر الكفر بالمادة وعصر العودة إلى ما وراءها ، وعلى أساس انقراضات المادية يجور للباحث «الطبيعى» أن يقول : لعن القرن الحدى والعشرين سينهد بالعقول والصمائر إلى عالم الروح من خلال الذرة على شعاع من نور .

\* \* \*

## إِفْلَاسُ مَذْهَبِ (١)

### لا طاقة «للمادية الشيوعية» بالبقاء

قام المذهب الشيوعي في روسيا قبل نهاية الحرب العالمية الأولى منذ اثنتي عشرة وأربعين سنة

فكّل من في روسيا اليوم من رجال ونساء ولدوا في ظل هذا المذهب ، وتربوا على عقائده وأدائه ، واعتزلوا منذ طفولتهم إلى أن جاؤوا سن الرشد عن كل مذهب يعارضه أو يصدّه عن طريقه ، لا يستثنى منهم أحد غير الشيوع الديّن ناهروا الستين وما بعدها .

فالذين بلغوا الأربعين من الرجال والنساء ولدوا بعد إعلان امذهب بستين ، فلم يعرفوا مذهباً غيره منذ تعموا النطق بأخروفي .

والذين بلغوا الخمسين كانوا عند قيام المذهب في الثامنة من العمر ، فتعلموا القراءة في مدرسه ولم يتعلموا شيئاً قبل أن يتعلموه ريعشوا عليه

وبدس ناهروا الستين كانوا في نحو الثامنة عشرة يوم قام المذهب الشيوعي في بلادهم ، مصى عليهم ثلاث سنوات منها في الحرب العالمية ، وبلغوا الأربعين فالخمسين فما فوقها وهم شيوعيون طاهراً وباطناً ، أو شيوعيون بالتعليم والترسة والمعيشة ، لا يعرفون مذهباً يحالف لشيوعية ويدعو إلى عمل ينقصها .

أمة كل من فيها من رجال ونساء وشبان وأطفال تحصع للدعوة الشيوعية وللتربية الشيوعية ، ولا تسمع شيئاً يعارض الشيوعية

فإذا قبا ، إن الثورة الشيوعية أنقت على أحد من غير أنصارها فالذين أنقت عليهم هم الأحاد المتفرقون أبناء الستين وما فوقها ، لا يقدرّون على مناهضة المذهب بدعوة ولا نهوذ ولا وسيلة عملية أو أدبية يحسب لها حساب .

(١) الأهر مايو ١٩٥٩

والعرض مع هذا بعيد الاحتمال فإن الثورة الشيوعية أعلنت منذ قيامها «أن من ليس معها فهو عليها» وأبادت كل من توقف عن تأييدها وإن لم يكن له عمل في مقاومتها ، ولكنه سواء كان فرصاً بعيد الاحتمال أو مقبولاً في الحسب لا ينتهي إلى نتيجة ذات بال ، وكل ما ينتهي إليه أن يكون عدد المحالين للشيوعية هي قلوبهم بصمة ألوف معرولين عن وسائل الصود بين الملايين من الرحان والساء لأشداء يقودون أرملة الأعمال والآراء

مائة وخمسون مليوناً ، أو يريدون ، كلهم مولودون في ظل المذهب مقطعون عن مذهب العالم ، عائشون في جوه بيضاء وأربعين سنة .

تلت «وحدة مذهبية» لم يعرف لها نظير في تواريخ الأمم منذ كانت ، وتلدت فرصة أتاحت للثورة الشيوعية لم تنهيا قط لحركة من حركات المبادئ والدعوات الاجتماعية ، فلو كان في هذا المذهب الشيوعي صلاح للاستقرار على دعائم لخرية وصمان الحقوق لوجب لأن أن يكون على عاية من الاستقرار والطمأنينة ، وأن يكون ولاته جميعاً من الكفة القادرين على تديره المخلصين في سقيده ، الصادقين في الإيمان به وانقبم على شئونه ، وإلا فكم من الرمن يكفى لسحرح الكفة المخلصين الصادقين ، ومن أى المذهب تستعيرهم الشيوعية ، إن كانت لا تستطيع أن تشتمهم في مهده بين أساء العشرين إلى أساء الستين؟

نعم يجب أن تكون للمذهب اليوم حكومته الحرة المظمنة وحكامه الكفة المخلصون!

فهل هذا هو الوقع المشاهد في البلاد الروسية؟ هل هذا هو الوقع المشاهد في أقوال الروس أنفسهم ، بل في أقوال حكام الروس أنفسهم ، فضلاً عن أقوال الأعداء والمعارضين؟

كلا ، ليس هذا هو الوقع المشاهد كما يصفه حكام الروس ، ولا يفرغون من وصفه وعادة وصفه منذ عهد ستالين إلى عهد خروشيف الأول والأخير

ستالين قصى على المثات والألوف بتهمة الخيانة والغدر بالشعب والعدوان على مصاحبه وشريعة حكمه ، وحليفته خروشيف يقول إنه كان طاملاً عاتياً مساحاً يحوصل في دماء الأبرياء ويقتري الكذب على حدام لأمة الأماء ، ولكن حليمته هذا لم يلبث أن صنع بشركائه في الحكم مثل صنع ستالين ، ولم يزل يقتل وينفى



ويعزل ويلقى بهم الحياة على رملاته وأعوابه قبل أن يفرغ من حملته على السياسة التي سماها سياسة النقي والإجرام واللفيق والافراء .

أعادل رعيمه ستالين أم طالم؟ وصادق حبيته أم كادب؟

كلا ، الأمرين سواء .

إن كان ستالين عادلاً فهناك ألف من رؤساء الشيوعية حوة أذال معسدون وإن كان ستالين صالماً فهناك حكومة تتولى أمور البلاد على سمة الإرهاب والتعش والتصليل .

أما خروشييف فصدقه طامة وكذبه طامتان ، ومحاكاته لستالين بعد الحملة عليه دليل عجيب على تأصل الشر في أركان الدولة إلى أعماق الحدود .

إن صدق هذا الرحمن يدمغ المذهب الشيوعي في أساس تكوينه ، لأنه ربما أن احكم الشيوعي يخول الحاكم المستبد طمعاً لم يحوله أعتى القباصرة في أطلم عصور الظلم والاستغلال

وأشد من ذلك أن يكون كاذباً على زعمه وعلى أمة وعلى حكومة كاملة ولا يفتصح له كذب ولا يمتنع عليه بعد ذلك أن يتمادى في السياسة التي أنكرها كاذباً على جميع هؤلاء .

وعلى أي وجه من الوجوه لا مفر من الخزم بأن الشيوعية أفلست في سياسة مجتمعها عاية الإفلاس الذي نصاب به مذهب محمول سياسة المجتمعات ، وأن الشيوعيين في بلاد كلها شيوعيون لا يفدرون بعد أربعين سنة أن يحلوا للحكم إلا باعياً كاذباً سفحاً ، بين قائم منهم بالأمر أو معزول ، وأن نظام الشيوعية من أساسه شر من كل نظام عرف في ظل الاستبداد ورأس المال ، لأنه لا يأتي أن تتولاه أداة حكومية قائمة على الإرهاب والتصليل ، يتأتى فيها للحاكم الفرد ما ليس يتأتى من قبل لأمثال بيرون وجنكيرخان .

هذا هو الواقع الذي تنديه لنا أعمال لحاكمين في روسيا وأقوالهم ، ولا حاجة به إلى رأي يقول به عدو أو ناقد من بعيد .

مذهب قامت على قواعده أمة كاملة من الرصيع إلى الشيخ الذي حاور الخمسين ، ولم يزل يحكمه من حوة وظلمة ، ولم ير في وسع الإرهاب والتصليل أن يتبع لحاكمه المطلق أن يجنى على الأرواح والأعراض ولأوراق كما يشاء .

ومن الواضح أن التصليل هنا يستند إلى الإرهاب ولا يقوم على براعة الحيلة التي تجوز على غير المضطر للخصوع . فإن دعوهم - ظالمين ومظلومين - على السواء أظهر من أن يقبلها سمع يرى من الخوف أو التعفيل

وليس هذا هو الواقع الذي تكشف عنه نتائج الحكم في صميم البلاد الروسية وحدها ، بل هو الواقع في كل مكان بسط عليه روسيا شيئاً من نفوذها وحسنه بن محققها . وبطرة عاجلة على المستعمرات الروسية ، وأشياء المستعمرات الروسية ترياً أنهم لا يستطيعون نفوذهم على بلد يعصلهم منه حاجر من الجوارجر الجغرافية فكس مستعمراتهم وأشياء مستعمراتهم ، آسيا وأوربا تقع من بلادهم على مد الذراع من قوة لإرهاب المسلح ، ولم يستطيعوا بالتصديق وحده أن يستبقوا عن لإرهاب المسلح أو الحاسوسية المسلحة ، ولهذا تمكس «تيتو» في يوغسلافيا من ، محروح عليهم والاستحمام بأنطمتهم وتعيماتهم ، فتحد هم وأفلح في تحديهم ، وهو يدين مع هذا بمذهب من المذاهب الاشتراكية!

وكلما استعناع هؤلاء الشيوعيون أعداء الاستعمار والاستغلال كما يقولون أن يخصصو سداً عربياً بقوة السلاح ، حكّموا فيه القمع والإرهاب تحكيماً لا يستبيحه شر استعمرين في القرون العائرة ولا في هذا القرن العشرين ، فالبلاد التي دخلها المستعمرون تعدى من عسفهم ما يثيرها عليهم للمقاومة والانتفاض ولكن على أية حال تقوم ويسمع لها صوت ويدع لها في العالم قصة أما حيث برل الروس فلا بقية بعد السيف للمقاومة والانتفاض ، وحطهم هالك للمحق والإبادة بل تكون أرحم من حطهم في صميم بلادهم أين بلجايين؟ أين بربا؟ أين ملكوف؟ أين مولوتوف؟ أين قبل هؤلاء مشات ومشات من لأنداد والطرء ، ومن نحشر محاسبتهم أو مقاومتهم في وقت من الأوقات؟ إن الحاكم الذي يربل هؤلاء عن طريقه في وضح النهار لن يترك في بلاد المعلوبين رأساً يرتفع للحساب والمقاومة ، ولن يدع فيها أحداً يهم بالحركة أو يقدر عليها ، بل هم بها

عزل من الوحشية والشيطنية تلى به الأمم في هذا الزمن ولا سلامة لها منه إلا بالقضاء عليه ، وبذلك هي «تصفية» ختام» للمذهب الذي ملث أمة فلم يقدر على حكمها بغير الإرهاب والتصليل ، ويريد أن يحكم الأمم جميعاً - والعياد بالله - على هذا السؤال .

\* \* \*

## تحدى الإله وَمَعْنَاهُ (١)

من أنباء الملاحدة الماركسيين أن أحدهم وقف في إحدى محطات لإداعة عنادي «الله» به ليشكك إن كن موجوداً ليسهل هذا البلد ولیمحو تلك الدولة ، أو فليعلم الناس جميعاً أنه خرافة ليس لها وجود .

إن هذا الملحد المتحدى لا يفهم ما يفهمه الناس من كلامه بعبير حاجه إلى التاويل الصويل

إنهم يفهمون منه مبلغ ما يدركه ملحد الماركسي من معنى الربوبية ومعنى القدرة ومعنى «السلطة» على التعميم .

فهو لا يفهم من تحديه الإله على هذا الوجه ، إلا أن لإلهية سلطة عاشمة بشره التحدى فلا يسعها إلا أن تظهر قدرتها أو تنزل عن كل حق في إثبات وجودها

فهذا الملحد الماركسي لا يعقل أن يوحى الإله ويقدر على كل شيء ثم يترك من تحداه شيئاً بعد ذلك طرفة عين ، دون أن يسكل به ويحلل برده تحديه إله .

وما الذى يمنع السلطة انغاشمة أن تبطل من ينكرها؟

لا يمنعها عنده إلا مانع واحد ، وهو أنها كما قال ذلك الملحد الماركسي حرف ليس لها وجود .

هذا هو المفهم الوحيد الذى يفهمه لمعنى لإلهية من يفوه بذلك التحدى على مسمع من العالم ، وهو يحسب أنه قد أحجم به من يؤمنون بالله

وإلا فكيف يفوه بذلك التحدى عاقل يفهم أن الإنهية «سلطة» لها نظام ولها حكمة ولها مشيئة تتسعها ولا تنحرف عنها لاستشارة أو استرخاء؟

من كان يؤمن بأن الإلهية سلطة لها نظامها وحكمتها فمن اليسير عليه أن يعلم أنه لا يهزها تحديه فيحرفها من ذلك النظام ويدهلها عن تلك الحكمة

(١) مجله الأهر سبتمبر ١٩٥٩

وقد يسع الطفل الصغير أن يكف عن مثل هذا التحدى لأبيه إذا عرف له صفة من صفات العقل والحكمة ، فليس بالطفل الدكى من يقول لأبيه : إن كان لك قدرة اضرب فلاناً حتى يهلك أو انهض بهذا الحمل حتى أدن بك بإلقاء!

فمن اليسير على الطفل الدكى أن يدرك أن أباه حليق ألا يحيب هذا التحدى على هواه ، ولا يصى ذلك عنه أنه ذو قدرة وأنه يستطيع أن يهلك فلاناً وأن يهض بالحمل المقصود إذا أراد .

فالملحد الماركسى أسخف من الطفل حين يخطر له أن يتحدى إلهاً حكيماً يصع الأشياء فى مواضعها كما يقدرها فيرعم أنه «غير موحود» لأنه لو كان موحوداً لأعطى تلك الحكمة وأوقع الخلل فى ملكه ، خوفاً من الرب فى وجوده ، وقرراً من المحدثين أو المؤمنين أن يظنوا به الظنون .

ومن كان يعهم لإلهية على أنها سلطة رشيدة فليس بتحداها أن تعمل غير ما أرادت أن تفعله منذ الأزل ، وغير ما تريد أن تفعله إلى آخر الزمان ، لأنه إذا استطاع بكلمة من كلمات التحدى والاستشارة أن يعير ما تأبى تعبيره فدلث هو السرهان الذى ينفى وجودها أو ينفى حكمتها على أقرب المروص .

فلم شاء الله أن ينكشف وجوده للفكر والصمير كما تنكشف لأشياء الجميع لأبصار لفعل ذلك بإرادته منذ وجدت لأفكار والضمائر ولأبصار ولم ينتظر حتى يعينه مقدماً للحواف من الاتهام أو طمعاً فى التملق والشاء

ولقد يحق للملحد الماركسى أن يسأل فى هذا انقام : ولم لا يشاء؟ ولم يترك الناس يسكرون وشنون أو يبحثون ويرتابون؟ ولم لا يكشف له جميعاً حقيقة وجوده على نحو يبطل فيه الخلاف وتزول الموارق ويمتدع الشك والصلال؟

إن هذه الأسئلة أقرب إلى العقل من ذلك التحدى الأحمق الذى يثبت حماقة صاحبه ولا ينفى حكمة الإله .

ولكنها أسئلة لا تحتل الحاجة فيها بعد قليل من التصبر والروية ، بل بعد قليل من التصور إذ استطاع السائلون أن يتصوروا كيف يكون هذا الإيمان ، وكيف تكون الصمائر التى تهتدى إليه

إنها لا تكون إلا كما تكون الآلات أو كما تكون العجماوات

إن العلم بوجود الله كما نعلم بوجود المظورات بالعين يلغى انصمائر والعقول ،  
ويظهر جهود النفس الإنسانية في متحان الخير والشر والهدية والصلال .

والعرفة بحاسة البصر معرفة يتساوى فيها الإدراك كما يتساوى إدراك الآلة  
وإدراك الحيوان ، فهل هذه هي المعرفة التي يليق بالإنسان المسئول عن صميمه ،  
الناحت عن هدايته ، المترقى بسعيه واجتهاده؟ وهل يطلبون أن يتساوى الدس في  
مدرجات الصمير وحدها ، أو يطلبون أن يتساووا في مدرجات الخواص وملكات  
الأحسام والأفهام ومقادير الأعمار ولا نام؟ وهل هذا العلم الإنساني الذي يتألف  
من نسخة واحدة متكررة هو عددهم عالم المثل امشود ، وهو العالم الذي تثبت به  
حكمه الله ووجوده ويستقيم عليه أمر الوجود؟

أنا أهون ذرة من التراب لا تعطينا حقيقتها الكاملة في لحظة عين ، ولا نستعي  
في عرفانها والانتفاع بها عن جهود العمل والتفكير والتحليل لندرك منها بعض ما  
يدرك ولا نعلم كل ما ندرك ، لأننا نجهل كنه الذرة الترابية وغير الترابية حتى الآن ،  
ولعلنا نسحهن هذا الكنه في قراره ومدته إلى أن يشاء الله

ويحدث هذا ولا يرى فيه المنحدون الدركسيون عجباً منكراً ولا شذوذاً عن الوضع  
الصحيح والرأي السديد ، بل يقيسون التقدم الذي يدعونه بمقدار ما حصلوه  
وبحصلونه من هذه الحقائق ولو كانت معلقة بأهون الأشياء

وإن الشمس على جلائها لتحصى عليهم ، لأن بعد أن حصيت على الأقدمين  
دهوراً بعد دهور ، ولقد كانوا يحسبونها كقرص الغزال فأصبحوا يعرفون اليوم أنها  
أكبر من الأرض والقمر والسيارات ، وكانوا يحسبونها تدور فأصبحوا يعلمون أن  
الأرض هي التي تدور وكانوا يجهلون سرعتها ومسافاتهما فأصبحوا يعلمون الآن كم  
هي بالدقائق وكم هي بالأميال .

إلا أنهم لا يراون يجهلون منها أصعاف ما عرفوه ، ولا يراون يستحثون عن مصدر  
حرارتها فيخلطون من الفيضين ويرعمون مرة أنه من تكوين العاصر ، ومرة أخرى  
أنه من تعتيت العاصر واشمافها ، ولا يدرون على التحقيق هل يدفع اللمب من  
باطنها إلى ظهرها أو يرتد من ظهرها إلى حوفها ، ولا يستعربون من نظام الكون أن  
تكون شمسها الساطعة بهذا احشاء ، وأن تحرق فيها العقول هذه الخيرة ، وهي أم  
الصياء .

فما بالهم يريدون من الحقيقة الإلهية أن تكون أقرب مالم من حقائق هذه الكائنات التي لا يدعون لها عظمه الربوبية ولا حلاله الأندية!

وما بالهم ينتظرون من حقيقة الحقائق أن تحيط بها لمحة عين ، ويستنكرون السعي إلى غاية الحقائق من متناول الأسماع والأبصار!

إن العلم بوحود الله مطلوب ، ولكنه علم لا قيمة له إذا كان يلغى العقول ويعطل الصمائر ويبدل المخلوق لا يصل له في إدراك أقرب الحقائق وأعمده على الآلة والخيوان وقبل أن ينقد الماقد ما يسفده من هذه العطائم الخلى عليه أن يتعلم كيف يقترح وكيف يصحح ما يبقده ولا يرتضيه .

إن بحث العقول والصمائر عن الله مستقد عندهم وغير مفهوم

فهل ما يقولون هتبهه لسألهم وما هو المصهوم اسره عن الانتقاد؟ أهو إدراك الله غير بحث؟ أو الاستعداد عن البحث في أمر الله وحده أو في جميع لأموار؟ وهل عندهم أن لإله الموحود الحكيم هو الإله الذي يعاد مخلوقاته الكسرى أو الصعري بحال القريرة على غير فهم ولا محاولة ولا تمبير بين ما يظهر وما يحفى ، وبين ما يكبر وما يصغر ، وبين ما تتصرف فيه إمدارك وما يسنها التصرف والاحيار؟

أهذا عندهم هو لإله الموحود حكيم؟ تعالى الله عما يصفون!

فما من شيء هو أثبت لوحود الله من تنزيه مخلوقاته عن هذا العطل في العقول والصمائر ، وما نتجدهم أن يؤمنو وهم غير أهل للإيمان ، وإنما نتجدهم أن يتصوروا إلهاً حقيقاً بالعبادة على الصورة المرتصاه لديهم ، فيهم ليعدمون إدر راعمين أن الإله الذي لا يستحق البحث هو الإله الذي يأبه العقل السليم ، وأن الإله الذي يبحث عنه لهو هو الإله الموحود .

\* \* \*

## رماد ولا ناراً

يقول الشيوعيون - إنهم كفروا بالأديان لأنهم درسوا التاريخ وفسروه ، ودرسوا الأديان وعرفوا خباياها .

فإذا ثبت من كلامهم أنهم لم يدرسوا التاريخ ولم يدرسوا الأديان فالأمر الذي لاشت فيه إذن أنهم 'ناس مأحورون مسحرون' ، وأنهم من 'حسن طغام لأحرار' ، لأنهم لا يبالون قدسية الدين ولا شاعة الكفر في سبيل المثل الحرام

وقد نشر بعض الصقلاء بالإسلام في العراق رسائلهم التي سموها «بالرسالة الرمادية» وترجموها - أو ترجمت لهم - من لغة أحبية فثبت منها أنهم أحهل خلق الله بتاريخ بلادهم وما حوروا فضلاً عن تواريخ الأمم الأخرى ، وثبت منها إلى جانب هذا أنهم لا يعرفون شيئاً عن تاريخ مكة وتاريخ النبي عليه السلام ، لأنهم يذكرون (الحميديين) ولا يعرفون أنهم اللحميون أقرب العرب الأقدمين إلى ودي الهريس ، ويذكرون قبيلة (السقف) وهي ثفيف قبيلة الحجاج الثقفي أشهر من حكم العراق ، ويذكرون القرشيين ولا يوحد إسمان على شيء من الإطلاع على تاريخ مكة وتاريخ بيت النبي فيها يحهل من هم القرشيون أو يسبهم تلك السب التي تم عن جهل باللغة كالجهل بالتاريخ .

أهؤلاء مسلمون درسوا تاريخ دينهم فأنكروا وبعد أن عرفوا حسابهم ، أم هم أدباء فتنة مسحرون يعرفون ما لا يعرفون ، ويعترفون الكفر الواح وهم لا يبالون ما يفعلون ؟ .

لا حاجة إلى البحث عن التاريخ لعدم بحقيقة هذا الكفر وحقيقة هذه الدعوة . فإن الحقيقة التي ينطق بها كل حرف من حروف الرسالة (الرمادية) أنهم «كفار بليغ» . . . درهم معدودات من كل بادل مال ، ولا بد أن يكون بيعاً رخيصاً وصفه خاسرة ، لأنها صفقة جهل يصططق عليها جهلاء .

وفيما بين أمثلة شتى يدل على أن هؤلاء «الباحثين العلميين التقدميين العرب» بالتاريخ والدين لم يطلعوا على كتاب الإسلام ولم يكلفوا أنفسهم مدراة جهلهم بالرجوع إليه بعد وصول الرسالة الرمادية إلى أيديهم ، لأن المهم في الأمر أن يصل انقود إلى تلك الأيدي وعلى الدين والدين بعدها العفاء!! .

يقول الرماديون : «واحتفظ الإسلام أيضاً بعدة الأرواح والجن في حين أن أسماء الآلهة القديمة أصبحت دعوات لله وهكذا أصبح اسم الإله رحمانا الذي كانت تمارس طوقسه قبل أن يشر مسيحية تعاليم الخنثيين في مكة ويثرب واليمن»

هكذا يقال بكل ثقة الجاهل المكابر ، ولو كلف أصحاب هذا المقل أنفسهم نظرة فيما جاء من القرآن الكريم عن الجن لقرأوه فيه من سورة الأنعام ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجَنِّ وَخَلَقَهُمْ وَحَرِّقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾ وقرأوا فيه من سورة الصافات : ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِهَاً وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ (٥٩) سبحانه الله عما يصفون ﴿﴾ .

ولم يقرأوا فيه كلمة واحدة عن الجن توجب لهم عبادة أو رعاية في أعناق المسلمين

أم تعاليم «الخنثيين» كما قالوا فمتى شرها مسيحية هي مكة والمدينة؟ ومنى دان لمكيون باسم الرحمان وقد اعترضوا في صلح الحديبية على ابتداء الكلام باسمه ولم يقلوا البسالة في مفتتح الكلام؟

ومن هو هذا الإله صاحب الطقوس والشعائر التي استعارها السي ﴿﴾ من اليمانيين؟ أكانت هذه الطقوس والشعائر عادة وحديثة كالتسبيح بها الإسلام؟ فمن هو النبي الذي جاء بها إلى أهل اليمن ، ولماذا أحجم هؤلاء عن الدعوة الإسلامية التي ستميزت منهم وجاهتهم باسم ربهم المعبود منهم؟

ثم ترى كان (الرحمان) صفة مستعارة من اليمن ، فمن أين يا ترى استعيرت صفات الله التي جاوزت التسعين؟

كل ما في هذه الأسطورة أنها تخريفة من تحريفات اثنين من المستشرقين مورديمان ومولر Mordtman and Muller بهمان الأسماء العربية كما فهم



بعضهم اسم أبي بكر رضي الله عنه فقال . إنه سُمِّيَ بذلك لأنه كان والد العتاة المكر التي  
بى بها النبي ﷺ ! أو كما فهم بعضهم سم الصعبد فقال إنه سُمِّيَ بذلك لأنه  
مصر «السعيدة» أى Egypt Felix أو كما فهم بعضهم معنى القصيدة فقال . إنها  
سميت بذلك لأنها معنى مقصودا .

هذان اغروا خطأ فى قصة سخيصة عن السملة يدعى رودويل Rodwel  
مترجم القرآن أنه فهمها من دراسته للكتاب وفهم . من ثم - لما بداشت السور سم  
الله الرحمن الرحيم ثم عدل النبي عن ابتداء السور بها فى أحريات أيامه ، فقال  
رودويل هذا فى هامش الصفحة الحادية والسبعين بعد المائة من ترجمته . (إن  
الكفار سمعوا محمداً يبتهل قائلاً . يا لله يا رحمن فحسبوا أنه يدعو إلهين  
أثنين ، ولما سقط هذا الابتداء من سور القرآن الأخيرة أصبح مفهوماً أن محمداً كان  
يريد أن يقرن اسم الرحمن باسم الله ثم حشى أن يحسبهما الناس إلهين اثنين  
فأمست بعد ذلك عن ذكر الرحمن) .

ثم قال برودويل «إن الحميريين كانوا يصفون أربابهم بهذا الاسم ، ولكن حدوث  
هذه الكلمة غير موحدة فى اللغة الحبشية» .

أرأيت دراسة التريح ؟ أرأيت دراسة الدين ؟ أرأيت التحقيق العدمى التقدمى  
الذى يجرح المؤمن من ديه ويدهل الموقف عن يقينه ؟ .

إن محمداً قد ترك البسملة وأسقطها من السور الأخيرة لأنه خاف من اسم  
الرحمن المستعار أن يشارك اسم الله فى عبادات المسلمين ، فما هى السور الأخيرة  
التي سقط منها اسم الرحمن ؟ وكم سررة هى ؟ ولماذا لم يحذف هذا الاسم من بقية  
السور التي بدئت بالبسملة ولم تزل مقروءة محفوظة فى حياة النبي وبعد وفاته  
صلوات الله عليه ؟ .

إن العلامة اللبيب مترجم القرآن ودارس اللغات العاربة والمستعربة قد فهم كل  
هذا من ورود سورة واحدة هى سورة التوبة غير سملة ، وسببه كما يعلم كل مطلع  
على الكتاب أن النبي ﷺ لم يأمر بها وقال ابن عباس رضي الله عنه «إن السملة فيها  
رحمة رؤما وهده تزل لرفع الرحمة والأمان عن مشركين» . فلم تزل ولم يسمع  
المسلمون السملة فى مستهلها تحرجوا من وضعها وحسب بعضهم أنها مكمل  
لسورة الأنفال كما هو معلوم

ومثل هذا التحرج انبالغ في إثبات كلمات الكتاب المثير حقيق أن يعلم المختبرين أنه كتاب لا يراد فيه حرف سم يسمع في موضعه ، ولو سمع مثله في كل سورة ، وبكن الافتراء أسهل شيء على هؤلاء الجهلاء المصلين ، فلا حرج عندهم بعد عنهم بهذه الأمانة الإسلامية في نقل القرآن أن يهدروا في كرسيتهم الرمادية قشيس : فإن هذا الكتاب يحتوى على ١١٤ فصلاً بأطوال مختلفة ألف في عهد الخلفاء ، وقد وجدت حتى في القرن التاسع أو العاشر مسح من هذا الكتاب بحلف عن المسحة الشرعية . . . ولم يستطع مؤلفو القرآن إحقاء تلك الاعراضات بل اكتفوا بحذف بعض الكلمات غير المقبولة .

ولا أدل على سهولة التهجيم عند هؤلاء الناس من علمهم بهذا الحذر الشديد في جمع آيات القرآن ثم ادعائهم أن خلفاء يجترئون على تأليفه وأن المسلمين ظلوا إلى القرن العاشر لهجرة يفتحونه ويحذفون منه ويصيفون إليه . فهو كان لهم درة من التحقيق التاريخي الذي يرغمونه لما أقدموها على هذه الدعوى بغير سند من الواقع يشنونه ويشنون حجته والسبب عليه ، وقل ما يسعى من السند الصحيح في مثل هذه الدعوى أن يكونوا على علم باسم الخليفة الذي شترك في التأليف المزعوم ، وعلى علم بنص الآية التي مسح السقيح مع موحدته ودواعيه ، أو مع بيان الوسائل التي استطاع بها الخليفة ( مؤلف ) أن يحصى لأمر على قراءة الكتاب المتداول في أيدي الملايين والمخطوط في صدور الألف هائس هو هذا السند؟ وأي سند أقل منه يكفي للاجترأ على تلك القرية بتلك الثقة؟

ومن سوء السبب والإصرار على الاتهام والتحيط في السهم بين المساقصات أن هؤلاء الناس الرماديين يعلنون أن القرآن الكريم غير قاطع في تحريم الربا ولا يسألون أنفسهم ولا يخطر ببالهم أن أحداً سيسألهم : وكيف يكون النص على تحريم أمر من الأمور إذا كانتصوص القرآن في أمر الربا غير قاطعة في تحريمه؟

فلايات انقرابية التي يعلمون عليها تقول :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ \* فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتِمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ .

كيف براهم يكتبون نص الحريم ليكون النص قاطعاً فيه؟

بهم يقولون في كراماتهم «إن بعض آيات القرآن تحرم المراهنة حماية للفقراء والمحتاجين، وكان ذلك جزءاً من سياسة الأنبياء لحلب رضى الفقراء وتعتبر السياسة نافذة، فما الفائدة من تحريم المراهنة عند وجود الآية : وإن تبتم فلکم رؤوس أموالکم لا تظلمون ولا تظلمون؟» .

وتعجب حين نقرأ هذا التعليق ولا تدرى ماذا فهمو منه؟ هل يفهم منه أحد أن القرآن يسمح الربا لأنه يرحم من يأخذه ولا يسمح له غير أخذ الدين من مديته بغير زيادة؟ أهذا هو النص الذى يبطل فائدة الحريم؟ فما هو النص الذى يعيد فيه .

ولا يخفى تحبط القوم في الاتهام بكل وسيلة ، بل في الاتهام بالحجة وتقيصها في وقت واحد

هل جاء لإسلام من إقطعيين يحافظون على مصالح الاستغلال والمراهنة بالأموال؟

هل جاء لإسلام من هؤلاء أو هو قد جاء من الفقراء والمحتاجين ليرصبيهم ويعصب المرائين والمعلمين؟

سعى أن يكون قد جاء من هؤلاء ومن هؤلاء في وقت واحد، وأن يكون لانهم قائماً على كل حال ، ولا لزوم للدليل في أية حال ، بل لا لزوم للالتصاف إلى التناقض بين السيلين ، لأن الالتصاف إلى تناقضيهما يسقط الاتهام ، ومدا يصع القوم بغير اتهام كيفما كان ، ببرهان أو بلا برهان؟

ويوشك القوم أن يحقروا بالقرآن كل حرم من أحبار الدول الإسلامية يدحس في شعائر الدين أو يسبب إلى دى شأن أو غير دى شأن من المسلمين

قالوا عن ثروة الخلفاء «بها لم تقتصر على المال وحسب ، بل شملت بعض المخلعات الثمينة كالسيف والعصا والعباءة لتي قيل إنها كانت تعود إلى نبي محمد وقد أثبت تحقيق علماء البرجوريين أن تلك المخلعات كانت موروثة فقد ذكر (بيريت) في كتابه «الإسلام» في صحيفة ١٤ محدد ١٧ بشر في برلين سنة ١٩٢٨ بأن الأدلة نجعلنا شك في صحة لأسطورة لفائدة بإعطاء لرسول عباءة إلى لشاعر كبحو بن دكر والى كانت الأساس

لا اعتبار لإسلام لتلك العبادة إحدى الدخائر ، ولا يوجد في أي من المرجع القديمة حتى في كتاب ابن هشام كلمة واحدة عن إعطاء العبادة أو تعديسها ، ولم تذكرها شيئاً عن المصاريب التي دارت حول هذه الدخيرة . فقد بيعت عبادة الرسول عدة مرات بربح وعرضت للجمهور بعد احتراقها في بغداد على يد البعول سنة ١٢٥٨م في مسجد العبادة مقدسة في اسطسول ، وليست أسطورة هذه العبادة بفريدة بين غيرها من الصلاسم والبكأكير في الإسلام وفي غيره من الأديان الأخرى .

فالدين بشرو هذه الكراسية الرمادية من اللصقاء بالإسلام في العراق بجهنوم اسم كعب بن زهير الشاعر المشهور ويقلونه في مصادرهم لخمعة باسم (كياحون دكبر) ويدلون بذلك حقاً على أنهم عربو التاريخ ومسروره ونهدوا إلى أسرارهم ومصاعينهم ولم ينكروا الدين إلا لأنهم فهموه حق فهمه من هذه الدراسة التاريخية على أوقاها !!

وهؤلاء هم الذين عرفوا تاريخ النبي ﷺ وعرفوا كل ما روى عنه من الحقائق والأباطيل ، فعرفوا من بينها شاعراً لم يحلعه الله يسمى كياحون دكبر ، وعرفوا بعلمهم الراحر أنه اسم عربي يسمى به العرب في صدر الإسلام .  
وهؤلاء هم أصحاب الاتحاد المفسرون للتاريخ ولا شيء عندهم غير ابدعة والتاريخ .

فإذا صح كل ما قانوه وبشروه عن هذا (الكياحون) العربي فما هو دين الإسلام؟ وما هو دين النبي ﷺ ؟ وما هو دين المؤرخين أو دين مؤرخ لسي ابن هشام؟

بردة قيل إن النبي حلعها على شاعر معبوم أو مجهول ، ولم يقديسها النبي ولا جاء في كتب دينه أنها من المقدسات أو المحفوظات للتقديس والتبريك فماداً في وجود هذه البردة من مطعن في الكتاب أو هي البسة أو هي شرائع المسلمين؟

وإذا ظهر أحد مثلاً - بخطاب صحيح أو مدسوس على كارل ماركس فتغلب به أتباعه وتوارثته المتاحف بأثمانه وما فوق أثمانه ، فماداً في ذلك من التفسير للمادية والمدين ومن البرهان المتين على بطلان هذا الدين؟ وما الذي

يوجب على المؤمنين بالمادية الاقتصادية أن يدحضوا هذه الإشاعة الشيوعية أو  
الرجوعية؟

كان للنبي ﷺ بردة خلعها على شاعر، لم يكن يلبس ﷺ بردة خلعها على  
شاعر.

كان بعض الدس بصدقون في هذه الرواية أو يكذبون فيها، وكانوا يستعملونها  
على الحاليين فيحسبون أو يسيئون استعمالها.

على كل فرض من هذه الفروض، ماذا فيها حميعاً من النقد العلمي الذي  
يتحراه طلاب الحقيقة عن دعوة الإسلام؟ بل ماذا يصنع الشيوعيون اليوم في  
متاحفهم تاريخية إذا عرض عليهم أثر من تلك الآثار السوية للشراء؟ أليس  
في متاحفهم ما يشتري لقيمتته، الأثرية بالمثل الطائل والجهد الجهد؟ أليس  
الضريح الذي شيدوه للرقيم ليس تراثاً له تكليفه وله حياضه وطلاب البركة  
لديه؟ أليس في متاحف العلوم المادية حول الكرة الأرضية محلات وموروثات  
تحتسب أثمانها بالآلاف وأمثات وتفتح أبوابها كل يوم للزائرين والرائدات  
والمعجبين والمعجبات؟ فلماذا يصون شرف كهذا لشرف أو بخير كهذا الخير  
على المسكين «كياحو بن ذكير»؟

أما إنه لشاعر بليغ هذا الكياحو الذي لا هو في الأحياء ولا في الأموات.

إنه لشاعر يكفى اسمه المحتق لتمريق الكراسية الرمادية على رؤوس ناشريها،  
وظهارهم بحقيقتهم التي يكتُمونها وإن لم يجهلونها.

حقيقتهم أنهم تجار في سوق الجهل والضلال يبيعون جهلهم لمن هو أجهل  
منهم، لأنه يشتريه بالمال، وهو عندهم رب الأرباب وموئل الآمال



## الإنسانية من ماضيها إلى مصيرها (١)

ماضى الإنسانية مسافة شاسعة ، بعيدة الأمد والأطراف ، سواء حسنها  
بالأيام ، أو بالأمكن ، أو بالأمس ، أو بالأوراق المكتوبة عنها ، لن يكون الحساب  
لا بالملايين وأصعب الملايين

ولكن بحسب مع هذا ، على أساعها وامدادها ، قابلة للتخييل في  
سطين ، إذا كان لها معنى

إذا كانت حياة الإنسانية عثا ، ولم يكن لها وجهه ولا نظام ، فذلك مما يقا  
في سطر واحد .

إذا كانت ذات وجهة منتظمة فهذه الوجهة تتلخص في فكرة كبيرة ، وهذه  
الفكرة الكبيرة توضع في كلمات معدودات ، ولو بالعنوان .

هذه محاولة هي التي حاولها عالم من أكر علماء التاريخ في زماننا ، إن لم يكن  
من أكر علمائه في جميع الأرمه ، وهو الأستاذ «أرنولد تويني» صاحب الكتاب  
المشهور «بدراسة في التاريخ» .

بدأ المؤلف العلامة تأليف هذا الكتاب في سنة ألف وتسعمائة وحدى  
وعشرين ، بعد نشوب حرب العالمية الأولى بستين ، وأتمه وأصدر آخر أجزائه قبل  
ختم السنة الماضية ، ونقصى عليه في تأليفه ثلث قرن كامل ، وتم الكتاب كله في  
عشرة أحرء لا تقل صفحاتها عن سبعة آلاف صفحة ، ولم ينته من أجزائه الأخيرة  
حتى بدا له أن يعيد النظر في بعض الآراء التي ظهرت في الأجزاء الأولى ، ولكن  
أهمه شاقة والتكاليف كثيرة فسرعه له بعض المعاهد العلمية بالشفقة اللامه  
بسياحة في موطن الحصار الدائرة والإقامة حيث ترم الإقامة رمًا بين آثار  
المسيك والشرقي الأقصى والأدنى ، ولا تنتهي هذه السباحات التاريخية قبل  
سنتين من ظهور آخر جزء في الكتاب .

(١) لإذاعة ١٩٥٥/٧/١٦

مجهود من مجهودات الحسابة ، وعم واسع يؤهل صاحبه للحكم على دلاله التاريخ الإنساني من مبدئه إلى عصره الحاضر ، أو يؤهله لاستخراج الوجهه المرتسمه من حوادث التاريخ ، ثم استخرج الفكره التي تتحلل فيه عصرًا بعد عصر وحصارة بعد حصارة ونوعًا بعد نوع وسلامًا بعد سلام . وهذا هو الذي سميها تلخيص التاريخ الإنساني في سطر أو سطرين فما هي الفكره التي يلخصها السطر والسطران في رأى هذا المؤرخ الكبير؟ ما هو الرأى الذى يراه في تاريخ الإنسانية أحسن علماء التاريخ بإسداء هذا الرأى في القرن العشرين؟

خلاصة هذا الرأى سطر واحد وهو «أن التاريخ هو طريق الإنسانية إلى الله»

هذا هو الإجمال الذى شرحه المؤرخ الكبير في سبعة آلاف صفحة ، وقرر في ذلك الشرح أن تواريخ الأمم والحصارات والعقائد والأحلاق لا معنى بها إن لم يكن معها هدية النفس الإنسانية إلى حرية الصير برعاية الإله

فكل أمة ، وكل حصارة ، وكل عقيدة إنما تأتي لترفع في الطريق مصباحًا صغيرًا أو كبيرًا يبين الطريق ويسير مساحة الكون كنهه للعلم بحقائق الوجود ، أو للعلم بحقيقة الحقائق وهى مصدر الخلق والتدبير في الوجود .

ومن تقارير المؤرخ الكبير أن الإنسان قد يصطعب الأعمال والخرف ويخلق العلوم والمعارف ، ولكنه لا يخلق عقيدته الدسة بل تأتبه العقيدة مفروضة على سريره وشعوره ، قابلة للبحث في بعض جوانبها غير قابلة لشيء سوى التسليم في جوانبها الكبرى ، ولهذا تسحره العقيدة ولا يسحرها كما يهوى ، وإن حيل إليه أنه يعمل في تسخيرها بهواه .

وصرب المثل لذلك بعقيدة الإسلام أراد الفرس للدين دحوا الإسلام أن يستخدموها في إخماء القومية الفارسية فاستخدمتهم هي في توطيدها ودرسة معارفها ، وجاء المول إلى بلادها من أقصى الشرق ليقيموا «سلطنتهم» على أركانها فأصبحوا حراسًا لتلك الأركان ، ولا يتأبى تسخير عقيدة ما إلا إذا علتها عقيدة أقوى منها وأحق بالعمل في تاريخ الإنسانية ، فليس أقوى من الإعلاء على تسخير الإنسان والارتقاء به على معارج الحصارة في طريقة إلى الله

وعند العلامة «تويسي» أن هذه «المهمة» لأبدية مهمة «تعاون» بين الحصارات والعقائد ، يؤدي كل منها بعض الواجب لتحقيق الواجب كله في النهاية ، ولكن

هذا الواجب يكبر مع الزمن كلما كبر الإنسان ، فلا يزال الإنسان في سعي متواصل ، ولا يزال متطلعا إلى الكمال

وستأتي القرون بعد القرن العشرين فلا تذكر منه أنه قرن الصناعة الكبرى ، ولا أنه قرن الطيران وعجائب المخترعات ، كلا ، بل لا تذكر منه أنه قرن البردة والقديفة البرية وإنما تذكر منه أنه القرن الذي أصبحت فيه الدعوة إلى «الأخوة الإنسانية» موضوعا من موضوعات العلم والعمل ، ويرن مجا من البرامح الواقعية التي يتعاون عليها الأقرباء والصعفاء ، ولا يستعنى فيها قوى عن صعيق .

هذه هي أمانة الماضى لدى القرن العشرين في رأى مؤرخ القرون والأجيال ، فما هي أمانة القرن العشرين يا ترى لدى القرن الحادى والعشرين أو الثانى والعشرين أو ما يلى من القرون؟

هل جاء القرن العشرون ي ترى ليحمل لها الهلاك والدمار في قذائفه الذرية؟ أم جاء لها بمصير أكرم وأسلم من هذا المصير؟  
وهنا نتقل من ماضى الإنسانية إلى مصيرها .

نتقل إلى المصير بمثل السرعة التي انتقلنا بها - مع العلامة توبسى من مواضى الإنسانية جميعا إلى وحياتها المرسومة

ولكننا لا نتقل في صحة توبسى ودراسته التاريخية ، بل نتقل بين الحاضر والمصير في صحبة المثات من لتسائلير الحائرين ، وإن العلماء بين الحائرين لأكثر من الخلاء ، وإن الحكماء لأكثر من الحمقى

مثات من الناس يتساءلون اليوم : ما مصير الإنسانية؟

وكلم حدث حدث في كتله انشرق أو كتلة العرب عادوا إلى السؤل المكرر بالتحير . ما مصير الإنسانية؟ ما مصير الإنسانية؟

هن تمنعجر براكين الحرب العالمية؟

وإذا انفجرت هذه البراكين فهل يستخدمون فيها القذائف البرية؟

وإذا استخدموا فيها القذائف الجهممية فم تتيحتها بالنظر إلى المهربين؟ وما تتيحتها بالنظر إلى المستعمرين؟ وم تتيحتها بالنظر إلى ماثر الأمم التي لا تحسب مع هؤلاء ولا مع هؤلاء؟



بل ينساءل المسائلون لمحيررون : هل يكون فى تلت الحرب المرهوبة مستصر  
وسهرم؟ وهل تقى من الدنيا بقية تساوى ثمن الصر وتكافى بدل الهزيمة؟

ويحق للمتسائل العالم قل لجاهل ، واحكيم قل الأحق ، أن يحار فى العافة  
وأن يقزع من المصير

ومن المتفق عليه أن قذيفة «هبروشىما» تعد سلاحاً مأموناً بالقياس إلى القذائف  
المجهزة للاستعمال فى الوقت الحاضر . وإن لم تكن هذه القذائف مجهزة فعلاً وفى  
الإمكان أن تجهز القذيفة التى تساوى فى قوتها خمسة وعشرين ألف ضعف وريادة  
من قذيفة هبروشىما

ومن المتفق عليه أن أخطار القذيفة الجهمية لا تنحصر فى موضعها ، ولا فى  
المقصودين بها ، لأنها ترسل فى الهواء ذرات من القوة الإشعاعية تعود فتجذب إلى  
الأرض غباراً ضاعفاً لا يقى ولا يتر .

ومن المتفق عليه أن محال الاختراع متسع متجدد ، وأن القذيفة  
الهيدروجينية ستتبعها أنواع شتى من القذائف ، وأن استخدام العناصر  
الأخرى فى توليد الطاقة الذرية قد تسرع عداً لأم كثيرة ، ولن يكون استخدام  
هذه الطاقة مقصوراً على عصرين أو ثلاثة . ويومئذ تقل تكاليف القذائف  
وتتسع مديتها وتتفاقم أخطارها ، وتصح المدينة لموجودة اليوم كأنها سلاح  
الأمس بالنسبة إلى أسلحة القرن العشرين .

فما مصير الإنسانية بعد هذه النذر والأراجيف؟

لا فائدة من منع السلاح ، بل الفائدة المرجوة كلها معلقة على رأى الخبراء -  
على منع الحرب بأنواعها ، أو منع الحرب العالمية بكل ما يستطيع .

فهل منع الحرب العالمية بما يستطيع؟

وإذا لم يكن مستطاعاً فهل يستطيع منع السلاح الذرى وتحريم القذائف الذرية  
فى جميع الميادين؟

إن سوابق الدول فى الحروب لا تشر بالخير ، ولكن سابقة واحدة يرجى أن  
تبعث التماؤل فى نفوس طلاب الخير ، وهى تحريم العارات السامة وإجتماع الدول  
على احتسابها فى الحرب الأخيرة ، فإذا كانت الدول المتقاتلة قد فهمت أن العارات

الخائفة حذر لا يؤمن ، فهي أخرى أن تفهم الخطر الأكبر ، وأن تحرص على اجسامه  
حرصاً أشد ، وبقي من حرصها على احتساب تلك العارات

وعبرة أخرى قد عميل بالدول إلى الحذر من الحروب ، وهي حسارة المنتصرين في  
الحروب واصطراطهم إلى معونة المهزومين والضعفاء ، في عالم منشأ من نص من ، لا  
يتفرد فيه بالنصر صاحب قوة أو صاحب مال .

وتكاد نقول : إن سياسة الدول يدفعون بالأمم إلى الانتحار إذا أقدموا على الحرب  
العالمية وستخدموا فيها القذائف لدرية . ومنى استطاع سياسة الأمم أن يدفعوا إلى  
الانتحار ، فهم والأمم التي تطيعهم أهل للهلاك والدمار

إن الصورة التي تتمثل لنا أبشع من أن نتصورها قياساً على ما عرفناه من كورث  
المصطفى والخاصر ، وتكاد تخرج بنا من حيز الواقع إلى حيز الخيال المستحيل ، ولو أن  
صورة تستحيل في العقل لفرط شاعتها لاستحالت هذه الصورة المنكرة ، ولكن  
الشائعة لفرط لا تمنع شيئاً أن يكون إذا كان وقوعه من الممكنات ، وكل ما لدب  
من أسباب الظمائية أن يقارن بين المصيرين أهما أقرب إلى الإمكان : مصير  
الإنسانية إلى الانتحار أو مصيرها إلى التغلب على قوة السلاح بقوة الحكمة وقوة  
الأحلاق مجتمعين . ومن حسن الرجاء وحسن التقدير معاً أن نرحب المصير المأمون  
على المصير المخدور .

إن المادة الصماء لن تحقق لإنسان ؛ لأن الشيء لا يخلق ما هو أحسن  
منه وأكثر . فلنعد إلى خلاصة لتاريخ الإنسان متماثلين إن التاريخ  
الإنساني - كما قال أكبر المؤرخين المعاصرين - إنما هو عريق الإنسانية إلى  
الله . وفي هذا الطريق يستصعب العقل أن يحقق احتراعاً من جنس القذيفة  
الدرية يقاومها ويكبح شرورها ويستبقى مفاعيلها ، ويستطيع العقل أن يأخذ  
برمام المادة وعناصرها ليقترب بها إلى الله .

\* \* \*

## لعالم العربي اليوم<sup>(١)</sup> The Arab World To-day

«العالم العربي اليوم» اسم كتاب بالإنجليزية ألفه الأستاذ مورو بيرجر Morroe Berger أستاذ علم الاجتماع بجامعة برنستون والمشرق على برنامج دراسات الشرق الأوسط في تلك الجامعة

ويقع كتابه هـ في قرابة خمسمائة صفحة حافلة بالمعلومات الواقعية عن العالم العربي ، مستمدة من مرجع الإحصاء والمشاهدة ، معروضة على أسلوب النظر العلمي في حملتها ، وبكها تنظر من وجهة نظر عربية كلما رجع الأمر إلى احتلاب التقدير .

ويكتب مفتح بفصول متعددة عن القومية العربية في الرمن القديم ، والقومية العربية في الرمن الحديث ، وعن العلاقة بين هذه القومية وبين الإسلام بعد بعثة محمد ﷺ ، وموجز ما يقال فيها :

إن الإسلام تقبل كثيراً من شعائر اليهودية والمسيحية ولكنه نقلها إلى العانم العربي ثم استبدل أراضر العقيدة بأواصر النسب والعصية التي كدت تجمع قبائل العرب كما كانت تفرق بينها

والمؤلف يصف الديانة الإسلامية بأنها ديانة «مستقيمة بسيطة» أو بعبارة أخرى «مباشرة في تجاهها غير معقدة» وأنها لاستقامتها وبساطتها لا تزال إلى الآن سهية الاتجاه إلى «لأهلين» في القارة الأفريقية ، ولكنه يعود فيقول إن تقدمها من هؤلاء لأهلين ، لا يرجع إلى محهود مقصود من جانب الإسلام باعتباره قوة عالمية مركرة ، كما يرجع إلى القدوة المباشرة التي تأتي من اتصال لمسلمين بغير لمسلمين في أرجاء القارة الأفريقية .

(١) الأهر ، يونيو ١٩٦٣

والموضوع المهم في الكتاب كله هو موضوع الدين الإسلامي والحركات التي يسميها الغربيون بالعلمانية أو الدنيوية Secular وتسمى أحياناً «لادينية» عند المقابلة بين سلطة الكهوت ورجال اللاهوت وسلطة الدولة والحكومة.

ويقرر المؤلف أن الإسلام لم يواجه الخرافات «اللاينية» للمرة الأولى .

فقبل احتكاك المسلمين بالعالم الغربي في القرن العشرين كانت لهم صلات كثيرة بالأمم التي حالفتهم في العقيدة وفي أدب الحضارة ، وآخر هذه الصلات من وجهة المبادئ الاجتماعية الفكرية ودساتير السياسة والحكم صلة الإعجاب بالثورة الفرنسية وما نجم عنها بين المسلمين من التنه لحقوق الفرد وحقوق حرية التفكير ودعوات التحديد والتخلص من القديم .

إلا أن الجديد في الحركة اللادينية الأخيرة أنها «داخلية» في العالم العربي الإسلامي وبيست بالخرافية الطارئة عليه من غير قومه وبلاده .

فقد كان المسم يواحه ثقافة اليونان وثقافة الدول الأوروبية وثقافة الثورة الفرنسية وهو يستعد لها بالمقاومة على سة الأمم مع الطارئ العربي ، أو الطارئ الذي يستدعي المقاومة لأنه يتعلب عنها ثم يحصعها لسيطرنه على غير رادة منها .

أما «اللاينية» بعد حلاء الحكام الأحاب عن البلاد فمصدرها من الداخل لا من الخارج كما كان منذ أوائل القرن الثاى عشر إلى أوائل القرن العشرين ، ويسس لها من يقاومها غير المحافظين الذين يكرهون الحديد أو المحافظين الذين يقربون بين القديم والحديد ، ويسميهم الغربيون بالمستحدثين أو «المودرنيست» Modernist

ومن أهم فصول الكتاب فصل عقده لمؤلف للبحث عن الإسلام في دحيه التشريع هل هو عقيدة دينية دنيوية أو هو كغيره من الديانات التي تنفصل فيها عقائد الإيمان عن شئون الحياة ومرولات المعيشة ولا سيما شئون الحكم والسياسة ؟ وربما ورد السؤال على صورة أخرى فيقال . هل أحكام التشريع في القرآن مسألة نظام وإدارة حكومية ؟ أو هي مسألة أخلاق وسلوك دينى يستحق به المسلم حسن الجزاء فى الآخرة ؟

قال المؤلف فى الصفحة الحادة والأربعين «إن الصلة المكنة بين الإسلام والمجتمع العربى سنأت كما رأنا منذ قام محمد - صلوات الله عليه - بخلق دولة تنظم العقائد الدينية والمعاملات التى فى الأصل عليها العرب ، وقد شمل الإسلام على الدوام كل

حواش الحياة الاجتماعية باعتباره نسطاس أخلاق وأداب ولكنه لم يبح قط في تقرير شريعة متناصفة من العلاقات بين الناس في مجتمعين إسلاميين مختلفين وقد به يوسف شاحت وهو الباحث الخجة في هذا المطلب - إلى رأي يقول : إن السى لم يحاول تدين العرف القانونى عند العرب ، بل أراد أن يعدم الناس كيف يعملون فى الحياة الدنيا لكي يظفروا بمرجحات الكفة فى حساب الآخرة .

قال مؤلف الكتاب ما فحوه . إن الإسلام لا يكون على هذا الاعتبار ديناً دنيوياً ، أو شريعة اعتقاد معيشة «علمانية» فى وقت واحد ، لأن المعاملات كما يوجها على المسلم هى فرائض أخلاق وعبادة لا يلزم من اتعاها أن تكون دستوراً للإدارة العملية فى نظم الحكومات .

ولكن الكثيرين من العربيين يحسبون أنه قانون عملى ، لأنه يوصى بما يوصى به من الأحكام والآداب التى تتناولها القوانين

والمشكلة «العلمانية» فى العصر الحاضر كما يراها المؤلف هى محاولة المسلم المسير أن يدرك الحقيقة ويحسن تطبيقها عملاً فى هذا الموضوع

فهل يعتبر هذا المسلم أن دينه تكفل للمسلمين بنظام المعيشة والحياة العملية ، كما تكفل لهم بشئون الإيمان والعبادة؟ أو يتبع فى نظام المعيشة قانوناً موصوعاً لا يرتبط بنصوص الكتاب؟

إن المؤلف يقسم المستحدثين أو «المودرنست» أمام هذه القضية إلى طائفتين ، طائفة سابقة من أبناء الجيل الماضى ، وطائفة لاحقة من أساء هذا الجيل .

والفرق بينهما أن أساء الجيل الماضى الذى درسوا علوم الحضارة العربية قد درسوها فى ديارها وعاشوا بين أهلها وكانوا صلة بالقياس إلى من شأ بعدهم من المتعلمين العصريين ، فعادوا إلى بلادهم عرباء عنها وكادت الصلة بينهم وبين أجمعهم الكبرى من مواطنيهم أن تقطع كل الانقطاع

والطائفة التالية من تلاميذ الحضارة العربية قد عرفوها وهم فى أوطانهم لم يفارقوها ، وقد عرفوها فى دور التعليم كما عرفوها فى بيئات المعيشة الحضرية على الأكثر : لأن هذه البيئات قد تعبرت مع لرمس وتشابهت مظاهرها فى مدائن الشرق ومدائن العرب على نحو يقارب التشابه بين مظاهر الحضارة فى أمم العرب نفسه ، حسب اختلاف مواقعها وتقاليدها

وقد صنعت دو عى لمقاومة لبحصاره العرسه بين أساء هذه الجبل لهذا السبب  
الواضح ، ولسبب آخر يرجع إلى تقدم المسلمين فى سبيل الاستقلال عن سلطان  
الحكم الأجنبى ، فمن مقاومة الحصاره الأوربيه كانت فيما مضى وجهها من وجوه  
انتمرد على أباء تلك الحصاره القاضى على أزمة الحكم والإدارة فلما زال هذا  
السلطان ، أو حفت وطأته ، زال معه سبب كبير من أسباب العداء لتجديد  
العصرى والاستحداث فى فهم الدين .

ويحتتم أنؤلف صفحات الكتاب بأسطر قليله يقول فيها : « إن مستقبل العرب  
سيكون من صعب يُديهم بعد اليوم ، وستلونه ويتولون أمور ديسهم ودياهم كما  
يعلمونها ، وسيكون للحمهرة الكبرى شأن لا يتجدهه لمصلحون بين ظهرانيهم ، لأن  
هذه الحمهرة قد أصبح لها خطرهما محسوس ، وإن تكن فى بعض البلدان قد أصبحت  
مهمة فى تقرير سياستها قبل أن تنرب على ولانه الأمر بأبديها

قال المؤلف قبل أن يستطرد إلى الفصل لأخير عن الحديد أو الاستحداث  
وعلاقته بالجماهير :

« إن الحكومات العربيه فى الشرق لأدنى لا تستطيع أن تجد بين العرب طوائف  
دات صفة ديمقراطيه حقه - ليبراليه - تسدها وتؤيدها ، وكذلك يرى الباحثون فى  
الإسلام من العربيين أنه لا أمل للإسلام المتحدد على الرغم من اعتسرافهم  
باعتقادهم فى الإسلام قوة الخلق وحيونه »

ويتحفظ المؤلف فى إبداء رايه بين هذه الآراء ، ولكنه لا يحرم برفص ذلك الرأى  
الذى يرويه عمر سماهم بالباحثين فى الإسلام من العربيين ، ولا بحاله يستطيع  
أن يحصل من عادة الورن بالمراس فى القصصه الواحده كما يعقبت بالشرق  
والعرب فى شؤون العقائد ومذهب الاجتماع

فهؤلاء الباحثون العربيون بقدر أن « استعرب » المسلم أو أحده نظام من نظم  
الحصاره عرسه لا تنأتى على غير وجه واحد وهو لإعرص عن ديه أو  
لانقلاب عليه

فأما استعرب سبحة فغير مستحل مع بقاء العرس على ديسهم وهى  
شرقيه كالإسلام فى مصدره ، وكأما وحدث هذه الديانة « شرقيه » عرسه مس  
البحظه لأولى ولم « نستعرب » مرت فى كل عهد من عهود التاريخ ، وأول هذه  
المرت لم يحاور القرن لأول للملاد عند اتقانها من فلسطين إلى أسا الصعري ثم

بلاد اليونان ، وأحرها فروع اند هب «الإبحيلية» في العالم الجديد ، وهي في أصلها «ستعرب» في بلاد أوربه الوسطى واستعربا في أمم الشمال وأمم السكسون .

والمسلم في حساب هؤلاء الباحثين العربيين يندو لهم كأنه شخص واحد ولد في عهد النعثة الحمديّة ، وهو بعينه يولد ويعاد ميلاده من حيل إلى حيل ، ومن أمة إلى أمة ، كذلك «اليهودى» التائه الذى ترعم الأساطير أنه عاش منذ أيام السيد المسيح ويعيش إلى يوم عودته في آخر الزمان!

فهذا المسلم في عهد النعثة الحمديّة هو المسلم الذى يتكرر ميلاده على عهد التابعين ثم على عهد الأمويين ، ثم على عهد الأندلسيين ، ثم على عهد الحضارة لأوربه في القرون العشرين! فإما أن يحمل معه زمانه قبل أربعة عشر قرناً أو ينتقل إلى زمان آخر فلا يبقى على عقيدة الإسلام

ولو نظر هؤلاء الباحثون هذه النظرة بعينها إلى علاقة الحضارة بديانات الأمم على اختلافها لاستقاموا على حادة البحث وإن أحطوا بالتقدير ، نعم إنهم يستقيمون على حادة البحث لو قالوا مثلاً : إنهما طريقان لا يلتصقان في كل عقيدة وكل أمة طريق الحضارة والعلم وطريق التدين والإيمان

يستقيمون على حادة البحث الزماني وإن أحطوا بالمرص والتقدير

ولكن الأمر الذى نستحيل عندهم هو بقاء المسلم وحده على التدين مع أحده بأسباب الحضارة ، ولهذا يقول عنهم : إنهم يربون بميزانين ، لا ساوون بين الحكمين في القضية الواحدة .

إنهم لا يقولون : إن الانتماء إلى الدين على سة التدين في جميع العصور مستحيل على أم الحضارة العصرية

كسلا إنهم لا يقولون ذلك فمادام يقولون : إن حضارة المسلم وتدينه هما المستحيل بين أم العالم وحضاراته؟

يقولون ذلك لأنهم يذكرون غيرهم ولا يذكرون أنفسهم حين يتحدثون عن المشرق والمغرب ، وأول ما يسوونه أن الديانة المسيحية التى بقيت في العرب هي ديانة شرقية أصبت ، شرقية الأصول والحدود ، شرقية الروح والفطرة ولكنها استعربت مع الزمن مرة بعد مرة ، ووجدوها عربية قبل أن يظهروا هم إلى علم الوجود عربيين .

\* \* \*

## ديموقراطية رعائوية في شمال الصومال (١)

هذا الكتاب واحد من مئات الكتب التي تصدر اليوم تساعاً عن القارة الأفريقية باللغة الأوربية . وقد بدأ التأليف في هذا الموضوع بالإجمال عن القارة في عمومها تريباً واقتصاداً وسياسة وأخلاقاً وعادات أو عبادات في المجلد الواحد والمجلدين ، ثم تشعت البحوث واتسع نطاق العناية بها بين قراء العرب حتى بلغ بها التخصص والتحديد أن يصدر المجلد الصحم عن شعائر القبيلة الواحدة في القطر الواحد ، مع الترم الشعائر الدينية الاجتماعية دور غيرها من شؤون تلك القبيلة فيما يتصل بالجغرافية أو السياسة أو العلاقات التجارية والاقتصادية ، وصدرت عن الصومال وحدها في شمالها دور سائر جهاتها - مؤلفات عدة يستغرق بعضها مئات الصفحات ، ومنها هذا الكتاب في (دراسة الأحوال الرعائوية والسياسة بين أساء الشمال) وقد فرغ لتأليفه (أ . م . لويس) بعد أن قضى عشرين شهراً في الرحلة بين أناليم القنائل التي حصها بالكتابة في هذا المجلد ، واطلع قبل الرحلة وبعدها على مراجع شتى من رحلات السياح والحفر فيس والمستطعن ولا نسي أن البحث عن (أحوال الإسلام) بتقديم البحوث في كل كتانة عن القارة الأفريقية وعن الأقاليم التي يسكنها المسلمون أو يجاورونها بين أرجاء القارة من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب ، وقد تعد الكتابة عن هذه الأقاليم التي يسمونها (قرن أفريقيا) كتانة خاصة بالإسلام والمسلمين ، سواء اتصلت ببحوثها بالأقطار الأثيوبية أو بالحبوب الذي يسكنه أناس على دين الفطرة وتتحمله الدعوة الإسلامية أو دعوة المبشرين من حين إلى حين .

والمؤلف لا يحصى إعجابه بعبارة أبناء الصومال على العقيدة الإسلامية ، ويقول في مقدمة كتابه «إن الغريب عن الديار لا يسعه أن يتحبب الشعور بإخلاصهم الصادق لعقيدتهم الدينية وامتراح الفخر بالإسلام عندهم والفخر بالانتماء إلى السلالة الوطنية ولا يجهل الصوماليون أنهم شعب من شعوب كثيرة تدين بهذا

(١) الأذهر فبراير ١٩٦٢



الدين ، ولكمهم يتحذرون من حماستهم له أداة لإبرار ما هم مطبوعون عليه من الشعور العميق بكرامة الأساب .

ويقول الرحالة : إن المسلم الصومالي يتمي - عادة - إلى إحدى الطرق الصوفية ويرعى فيها النظام الدقيق الذي يمتاز به الصوماليون في اجتماعاتهم العامة ، سواء منها اجتماعات القبيلة لتدبير المصالح المشتركة أو اجتماع أساء الطريق لإقامة الشعائر والعبادات . ولكن الصومالي قد يجمع بين طريقتين في وقت واحد ويؤدي شعائره في كلتا الطريقتين ، لأنهما تتفقان في اتباع السنة وفصاء الفرائض الشرعية في أحكام القرآن ، وقد يقع الخلاف بين الطريقتين إذا اختلفت أسسها بأساس الخلاف على مسائل المجتمع أو مسائل القبيلة (الرعاوية) ولكنه خلاف قليل الحوادث إذا قيس بالخلاف على المذاهب في غير هذه الديار

ويحد من أضرار هذا الخلاف أن مشايخ الطرق مسئولون في العرف العام عن التوفيق بين الخصوم والإصلاح بين القائل وولاة الأمور فيها أو في البلاد الخضرية التي انفصلت بعض الانفصال عن تقاليد الريف والبادية ، وليس لأحد من وحوه القوم مكانة تعلوم مكانة رجل الدين بين قبائل الصوماليين ، ولكن يعرف الصومالي يدرس بتفسيهم (السلطات) بين مكانة الشيخ ومكانة رئيس العشيرة أو سلطان الإمارة ، فإذا استنجاب المنحاضمون إلى وساطة الإمام الديني هالعهود التي يبرم بينهم ، بما يتم إبرمها على أيدي الرؤساء والسلاطين ، ويوسى الإشراف على تنفيذها وكلاؤهم وأعوهم لاجتماعيون ، إلا أن يصل الأمر إلى المحكيم على وحه من وحوه لخلاف انتفق عليها فلا يرى اجميع نداء من قبول الاحتكام إلى أئمة الدين

ويحترم الصوماليون ذكرى الاناء والأحداد ، وقيمون الأصرحه والمزرات لكل حد عظيم من حدود القبيلة المذكورين ، ويتفق في هذه الحالة أن يكون مرار الحد العظيم كمرر الولي الديني في القداسة والتوقير وإقامة لولد إلى جواره مع التصديق بالذائح والقرابين في كل موسم مشهود ، يحضره أساء ذلك لحد كم يحضره صيرهم من المنقيمين إلى جوار المرار . ولعل هذا لا شترتك بين شعائر القداسة وشعائر الولاء قائم على اشتها أولئك الأحداد بفتح البلاد للدعوة الإسلامية واستحقاقهم لذكرى بفصل العيرة على الدين والقدرة على تمكين السلطان السياسي لعشيرة من العشائر الوطنية أو عشائر المهاجرين الأولين .

ويبدأ اسم الكتاب (ديمقراطية رعوية) A Pastoral Democracy على العرصر لأول من تأليفه ، فهو وصف النظام الديمقراطي العرصري في بلاد القبائل الرعوية ، أو قبائل الرعاة التي تحسب فيها النروه بعدد ما تملكه من الأنعام و ماشيه و قطعان الخيول على الإجمال . وقد يصف المؤلف مجالس الحكم والمشورة في هذه القبائل كما يصف علاقات الحكم بالعكومين وعلاقات القبائل متعددة بعضها بعض في السلم والحرب وأيام الرحاء وأيام الحذب والشدة ، فيخلص من مشاهداته الكثيرة إلى إيمان بصدق العمون (الديمقراطي) حين يطلق على سياسة القبائل وأدائها الاجتماعية . وإن تكن (ديمقراطية) نظرية تدبر بالعرف المأثور قبل أن تدبر بالنص المكتوب

ويقول المؤلف إن مصالح القبيلة (الرعووية) لها اعتبارها الأول عند تطبيق الأحكام والحقوق وبخاصة في مسائل الدية والنار ومسائل السورث والتمليك ، ويحرص أساء الصومال على تطبيق أحكام الميراث كما شرعها الإسلام ، فتعطي امرأة حقوقها على حسب هذه الأحكام ، ولكنها لا تتولى رعاية الإبل ولا حيازة الأرض المحصنة للرعى والسقاية ، وقد تملك أدنية وتملك الدار والمسكن من محلات الآباء والأزواج ، ولكنها - هي ساحتها - لا تطالب بولاية أمر الإبل والرعى والسقاية ، ولعلها تؤثر ذلك لأن الملكية هنا تستتبع الحماية بالسلاح والاستعداد لدفع العارة وصد العدول والانتقال من حورة إلى حورة كلما وحببت الرحلة من حمى إلى حمى آخر ، تبعاً لأحوال الخصب والحدب أو أحوال الرى والجفاف

وما يجعل للملكية في هذه الحالة حكماً خاصاً لا تنهض برأه بأعبائه أن تدبر العارة موكرول إلى نظام صارم لا يعنى منه أحد من القادرين على حمل السلاح ، فإذا وحب القتال وتحبب عنه أحد من شبان القبيلة فهو عرصة لاستباحة ملكه من الأنعام و ماشية ، وإذا اجتروا جماعة من القبيلة على شرب العارة على قبيلة أخرى بعير ابن الرعيم حق له أن يعاقبهم ويحرمهم عسمتهم ، لا إذا تقدموا بأنفسهم محتارين لقسمة العنبة بينهم وبين إخوانهم الذين حالصوهم ولم يشتركوا في عتامهم ، فقد يشع لهم ذلك في رفع العقاب وتحفيف التعويض المفروض

وقد تحول الصوماليون من سكان بقاع الشمال من نظام المراعى إلى نظام الأرض الرعوية ، فكان لذلك أثره في تعديل أطوار المعيشة وأحكام الديمقراطية الرعووية ، ولكنه تعديل طاهر لم يتعمق إلى أصول العادات والأخلاق

ويسطرّد لمؤلف في حديثه عن العرف الاجتماعي إلى الحديث عن الشعر الصومالي ووصيفة الشاعر الاجتماعية بين البدايه والحصرة ، فإذا هي صورة أخرى من صور الحياة العربية في عصورها الأولى ، لأن الشاعر يثير السحوة للقتال ويستعر العصب للأحد بالثأر ورد العدوان بالعدوان ، وقد يلجأ إليه أحياناً في تهذئة الثوثر الحامحة وبريق الصلح والمسانة كلما حيج الحكماء ورؤساء الدبر إلى علاج اشككة بالسوفيق والرصية ، ولا يدر في أعراض الشعر عند الصوماليين نظم القصائد حمداً للأولياء ورتبلاً لأشيد الدعاء والثناء على عباد الله الصالحين ومن أمتع مصول الكتاب تلك الصفحات التي يروى فيها المؤلف طرفاً من سير الشيوخ والساك الذين قادوا الثورة على الحكم الأحسى كما قادوا الثورة على فساد الأخلاق ومسئول التعريح بين أناس من الصوماليين بعد احتكاكهم بالخاليات الأوربية ، فإن أحادث المؤلف عن أولئك الشيوخ والساك تصحح التريح المسترى عليهم وتدفع شبهة الهوس التي علفت بهم من روايات الصالحين عنهم ، وأولهم (ملا محمد عبد الحسن) الذي لقبوه بالملا المجنون ، وما كان به من جنون إلا أن يكون الجنون عندهم فرط العيرة على الصلاح وفرط العصب من دسائس التشهير والاستعمار .

وأهم ما في الكتاب من وجهة النظر إلى الحياة العصرية تحقيق المؤلف عن الأحزاب السياسية وأسباب التقارب أو التنازع بين أعصائها ، وحلاصته أن العنصرية القبلية هي الصلة الكبرى التي تربط بين الهيئات السياسية في الشمال ، وأن العوامل المحلية وهود «الشخصيات» التي يهيمن عليها تحل محل هذه الصلة في الأقاليم (عبر البرعاوة) وأن المذاهب الأوربية التي نجحت في إحناد بعض الصوماليين إليها إنما نجحت لتوكيدها شريعة المساواة بين الأحاس البشرية أو لتوكيدها مبادئ الديمقراطية بين الحكومات ورعاياها ، ولا يحصى أثر الإسلام في كل عامل من هذه العوامل بين المسلمين وغير المسلمين

\* \* \*

## أسنانيا المغربية (١)

لأنريك سوردو

كتاب «أسانيب المغربية» موضوع في وصف حصارة الأسنلس على عهد لدون الإسلامية ، وأكثر العناية فيه منصرفة إلى وصف حصارة العمران وحصارة المعيشة وما تتسع له من مظهر العرف والعادة ومظهر العلاقات بين أبناء لمدينة وأبناء الأسرة ، وأكثر ما يكون ذلك في مدينها الثلاث الكبرى ، وهي قرطبة وأشسيلية وعرباطة ، وإن كان المؤلف يلم أحياناً بما يتصل من قرب بهذه الحصارة في المدن الأخرى من قبيل طليطلة وقادش وبلنسية ، وما عداها من أطراف الريف

ويعجب الفارئ وهو يتصفح هذا الكتاب ويقلب ما احتواه من الرسوم والنقوش والصور والتمثيل التي بولع في الاعساء بها على مثال لا يقع المطر على ما يشمعه في غير الآثار المقدمة عند أبناء الغرب من المسيحيين .

ماذا يريد عليه الكاتب العرسى الأصيل لو كتب في هذا الموضوع وأراد أن يودع قصوده وثنايا منطوره ما يجيش في صدره من حوالج خبير والفخر والإعجاب بأثر ذلك لناصي العرير على فيه ، إذ يكاد العلم العربي أن يقصر عن الريادة عما أودعه المؤلف كتابه من تلك الحوالج الساطفة خلال السطور في عبر تكلف ولا انتباه ، ولولا حظراتها وما هناك يلوح فيها أن المؤلف محالف لعرب في دينه ولعنه وجسه لسنن إلى دمن القارئ أنه بسمع إلى أعنية من أعشى الحين الذي قبل في زمانه

جادك العيث إذا العيث همى يا زمان لوصل بالأسنلس

لم يكن وصلك إلا حيناً في الكرى ، أو جلسة المختلس

ويسدو بما يورده المؤلف من بعض الأمثال الحارية على الألس إلى اليوم أنه ليس بلعرب المنفرد بن أساء قومه تنلك الأحلام التاريخية ، فإنه يذكر أن أبناء عرباطة في هذا العصر لا يسون الأسوة بمصاب عرباطة العربية كلما حزبتهم فاجعة قومية يتطلون

فيها حسن الأسوة ، فإنهم يرددون بينهم كلمة تسير في لفظها ونعمها مسير لأمثال ، ويقولون : «لقد كانت البدية بقرناطة أفصح وأنكى» كأنهم ورثوا هذه الكلمة عن ألسنة العرب ثم تناقلوها بغير تبديل فيها ، أو كأنهم ذكروا البلد وسوا من هم أو تلك المصابون فيه ، ولا حاجة بهم إلى جهد من الذاكرة يلمتهم إلى هذا السيان ، لأن معالم المعيشة البتية في أكثر العواصم الأسبانية على عهد العرب لا تزال على ذلك العهد إلى اليوم سواء في تنظيم طرقاتها ، أو تقسيم بيوتها والانتفاع بما فيها ، وكأما بقيت محارم الحجاب على حالها كما كانت تبى في أيام العرب ، فلا تزال المناهض بين العرب والحجرات وبين الشارع والسوق كأنها تدك المناهض التي تستر ورءها مفاصير الحرم

ويحاول المؤلف ، لو استطاع ، أن يسي من سبق العرب إلى إقامة الحصار ببلد البلاد ، ومنهم أسلاف من الرومان والقوط ، ولكنه يازع القلم إلى ذكرهم لقول إن العرب قد صنعوا ما لم يصنعوه ، وقد سقوهم في شوط الارتقاء وإن لحقوا بهم في أرمئة التاريخ ، فيقول عن صناع الأندلس اليوم : إنهم لا يزالون ينتفعون بما تعلموه من العرب والبربر عن صاعات النسيج والمخار والآنية والجلود وصناعة المعداد وتريين الأحشب ، ويثبت لرومان مصنهم في تنظيم موارد الماء للمرى والشرب والسقاية ، ولكنه يعود فيقول : إن غيبة «الماء» في النواير وهي الجدول المصبوغة وفي الحدائق العلي والسفلى إنما كان ظاهرة «الصحراء» التي يبلغ الماء فيها ما ليس يسعه في مكان ، من إروء غلة الأعين والصدور

ويشيد المؤلف بما اتسمت به الحضارة العربية من قوة الشعور بالحياة حسية والحيلة الفكرية في أن .

ويطيل الوقوف عند ظاهرة «انطرب» لسماع ونغمات الأصوات والآلات ، فيروى ما يرجحه بعضهم من أنها أصل كلمة «الطربادور» التي تطلق على الشعراء المشدين بين حبوب فرنسا وشمال البلاد الأسبانية ، ويشير إلى ما تحيله بعضهم من أنها تتصل بمادة «طاب» العربية بمعنى «طيب العيش وطيب الشعور» ، ثم يعود فيقول : إن هذا الشعور الذي بدل على قسبة النفس للامتلاء بالحياة والإحساس بحمال الحياة لم يحققه اليوم غير ثورة الحب في حلبيات مصارعة الثيران ، وغير أناشيد الرقص في الحانات ، تتخللها صيحات «ووللى ، ووللى» عند الشوة ولاستحسان ، وما هي إلا تحريف لكلمة الخلالة التي كان من عادة العرب أن يهتف بها لإبداء إعجابه بكل جميل . الله . الله .

ويسرف المؤلف في تعظيم هذه «الحسنة» الحمية عند العربى فيروى من أقاصيصها ما يصدق وما لا يصدق من أخبار الخلفاء والأمراء ، ويعمل من ذلك ما قيل عن شق الثياب والصياح بدء الساعة والخروج عن الحشمة والعريضة على الدماء ، وبصيف إلى ذلك ما يرويه عن أمراء بعدد دود دمشق وأمراء المغرب وأفريقية ، وأعجبه ما روه عن رجل من حاشية الملوك الذى تحسن صسط الشعور في مواقف الطرب والعصب ، فنقل عن أحدهم أنه سبى نفسه فهجم على المعنى في حصرة الملك وأحد في تفصيله ، وعرض نفسه بذلك للقتل العاجل ، لأن ذلك المغنى كان سجيناً منهما بالخروج على الأمير ، واحتال على إسماع الملك بعض عبائه لعله يعمو عنه ويستبقيه

أما الحياة الفكرية فقد أظلم المؤلف في سرد أخبارها ، كما أظلم في سرد أخباره عن الحياة الحسية ومن ذلك أن قرطبه كان فيها مائة وسبعون امرأة بكسر رزقهن بسح الكتب غير الرجل ، وأن المدينة كانت تحرق في كل سنة ما لا يقل عن ستين ألف كتاب من المصنفات المنسوخة أو المنقولة أو المؤلفة ، وأن عدد الكتب في بعض المكتبات التى جمعها حبيبة من الخلفاء لم يكن يقبل عن أربعمئة ألف كتاب ، وكانت منها كتب كثيرة في غير المباحث الدينية ، أثارت حماسة من الفقهاء المتزمطين فأرضاهم المنصور بإحراق ثلاث مئة

ويرى المؤلف أن الثقافة العربية علت على كل ثقافة تقدمتها في بلاد الأندلس المغربية ، ولكنها كانت في بعض المدن تتزعج المدينة من صفتها الرومانية التاريخية لتقيم فيها محلاً من حصرة يعلب فيه الثور بين العرب واشرق كما عتب من قبل في القسطنطينية وعواصم الدولة البيزنطية .

وانتهل المؤلف من الشهادة عامة إلى ثقافة الصور الجميلة ، فعنى كل ما يشاع في العرب عن تحريم الإسلام للاشعاع بالفسر الحميل . وقال : «إن العرب شيع فيه فكرة عامة فحوها أن الديانة الإسلامية تحرم كل الحريم صور الأحياء ، وكل ما ثبت ثبوت أليقين في هذا المعنى أن التماثيل الدينية محرمة في هذه الديانة ، وفيما عدا ذلك لم ترد في القرآن أية واحدة تؤيد ما يشيع بين الغربيين ، وإما ورد في الأحاديث النبوية التى يرجع استقصاء الكثير منها إلى القرن الحادى عشر للميلاد ما يفيد استنكار والتصوير»

ثم يتوسع المؤلف في بيان الموانع التي تقف فيها الرسوم والقوش مع انتهاء شهة العبادة والتعديس .

ويشتمل الكتاب على أكثر من مائة صفحة كبيرة محلاة بالصور الملونة أو بالقوش الهندسية محكمة ، تحقق بها الشروح التاريخية والتحليلات الفنية ، ويوشك أن تحيط بكل ما بقي في بلاد الأندلس من الآثار الإسلامية ولا سيما المساجد والقصور ، وتظهر في بعضها بقوش الكلمات العربية واضحة للقراءة مع تتبع الخطوط بينها وبين ما حوّلها من رسوم الزينة وعقود البناء ، وهي فيما نرى أفصح من كل ما اقترن بها من الشروح والتحليلات في الارتقاء بعجائب المعجبين إلى دروة الشعور بحمال نكت لخصاره وعمايه الاستحسان لذلك الدوق الصبي الذي سعت منه ، وحرط الحنين إلى تصور العهد الذي كنت فيه هذه الآثار عمراً حياً يودحم من فيه ، وتحيط به الدنيا انقلبه وهي مترعة بالعمرة والرحاء .



وكتاب «أسبابا المغربية» الذي أحرجه طابعوه في هذا الوضع من الرخرخ الحميم ولأناقة الفنية إنما هو حلقة من سلسلة متناسقة معدة لإبرار الآثار الفنية في مثل هذا الموضوع ، ونعني به موضوع الخلفات الماثورة في مدن الحصارات التي يطول الحنين إليها من أساء العصر ، حديث حبن القلوب والصمائر تارة وحين المعقون والأدواق تارة أخرى ، ومنها أثينا اليهودية ، والبندقية وموسى اللاتيسيان ، وبكبن الصبية ، ومن العواصم الإسلامية مكة المكرمة Mecca the Blessed والمدنية لمورة Mardina the Rodiant ملحوظاً في ترجمة اسميهما أن يكون كل منها متنوعاً بصفته التي اشتهر بها في اللغة العربية

ولم نطلع بعد على هذين الكتابين الأخيرين ، ولا ندري كيف يهتدى مؤلفاهما إلى التمييز بين ما في نديبتين من معالم القداسة ومعالم الحصار ، ولكسا نعتقد بما اطلعنا عليه من نماذج هذه السلسلة أن عرض الحصار العربية على هذه الصورة في العرب أصالح لتعريف الغربيين بمحارها من شر التوريج المفصلة ، لأن الالتفات إلى مظاهر العمامة لخصوسة وآيات الفن الرائعة أعم وأقوى يسهم من الالتفات إلى مآثر الروح والصميم .



## فى مطالع الأعوام : نظرة إلى لتنجيم

فى العالم المتمدن (١)

كان علم النجوم فى زمن من الأرمسة العابرة يسمى بالعلم السماوى ، أو العلم العلوى ، أو العلم الإلهى . وكان علمًا واحدًا يسطوى على عدة علوم - أولهما علم الدين ، لأن لأندمين كانوا يعبدون الكواكب ويحصون كل نجم بالربوبية على جزء من أجزاء الطبيعة أو قوة من قواها .

ومن علوم النجوم «علم الفلك» الذى يبحث فى حركات الكواكب ومواقيت طوعها واحتجابها .

ومنها علم الملاحة لاعتماد السفن على رصد الكواكب واحتلاط الأمر يومئذ بين دراسة الفلك ودراسة الطواهر الجوية على إطلاقها .

ولقد كان علم الزراعة يرتبط بعلم الفلك لاعتماد الزراع قديمًا أن المحاصيل الزراعية تنمو بفصل السروح والمنازل السماوية التى تشرف عليها وتقتصر أحيانًا بمواعيد الأمطار والفيضانات .

وأما العلم الذى كان فى الواقع يعطى على علوم الفلك جميعًا فهو «علم التنجيم» أو علم الطوائع وما تظوى عليه من أرصاد السعود والنحوس . فقد كانت كلمة التنجيم إذا أضلعت تعنى فى عرب الأكثرين علم النظر فى العيب واستطلاع السعود والنحوس ، ونسب أسباب الوقاية التى يرغم المنحمون بطلاسمهم وأباطيلهم أنها تمنع فى هذه الأمور .

ولقد مضى الزمن ، وتقدم الناس أو تقدم المنمدون منهم ، فتركوا عبادة النجوم وعرفوا الحقائق عن علوم الملاحة والزراعة ، وصرفوا ما لم يعرفوه قط - من قبل - عن حركات الأفلاك ومبارك الفضاء ، فأصبح للفلك علم مستقل غير علوم اللاهوت وعلوم الملاحة والزراعة وانقطعت الصلة تمامًا بين هذ العلم الواسع وتلك الخزعبلات التى كانت تسمى بعلم التنجيم ، واضطر علماء الغرب أن يفصلوا بينهما فى

(١) الأمر يوليو ١٩٦٣



لعائهم ، فأصبح علم «الأسوروبومي» أى علم الفلك غير علم «الأسنولوجي» الذى يطلق على التنجيم .

وكان المظنون أن أنباء الغرب لمتدبين قد فرغوا من أمر التنجيم وخرافاتة ، وقد عرفوا من حقائق الأفلاك فى هذا الزمن ما يعرفونه عن تلك خرافات التى صدقها أسلافهم ، لجهلهم بأقرب الكواكب إليهم وحلظهم بين مواقع السجوم التى ترى بالعين المجردة ، وهم لا يعرفون أبعادها ولا يدركون أوقدها .

أما اليوم والأرصاد الفلكية تكشف الأفاق إلى مدى للملايين من السنين الصورية وعلماء الفلك يعرفون عن تكوين الكواكب مثل ما يعرفون عن تكوين هذه الكرة الأرضية ، ويتحدثون عن السفر إلى تلك الكواكب كما يتحدثون عن الممكنات أو عن الصعوبات التى تقبل التذليل ، فلا ندرى كيف يعقل لإسان الاعتماد أن أسرار السماء والأرض فى الحاضر والمستقبل ، يكشفها المجموعون الجهلاء وبسبب عنها من عاب عنه كل كشف جديد من كشوف السماء ، ولكن الواقع العجيب أن المصدقين بالتنجيم اليوم بين لمتدبين فى العرب يريدون كلما ازدادت كشوف الفلك الحديث ، وأما لا يرل تلقى من المطبوعات الأوربية والأمريكية اشتتاً من التقاويم والمجلات وحداول لأرصاد والطوابع ، محصصه كلها لمسانل التنجيم وسوءات احاصر والمستص ، ودلالات الأفلاك على مصثر العظماء ومقادير الدول والحكومات ، وفى كل لغة من اللغات الحية تصدر التقاويم السنوية ، وتصدر المجلات الدورية وتصدر الكتب والمصنفات وتصدر دوائر المعارف ومراجع الساريح ، ويتظم صدورها كما يتظم صدور أمثالها من المصوغات المخصصة لمباحث العلوم والآداب والعنون ، وبشترها طلاب الطوابع بالأثمان العالية التى تريد أحياناً على أثمان كتب العلم والصناعة ودراسات الفنون والصاعات

وهذا عنيت إحدى المجلات السيارة بإحصاء هذه الظاهرة العجيبة ، فتبين لها أن الاهتمام بالتنجيم فى ازدياد ، وأن الأمم الأوربية والأمريكية لا يقل عن نساء القارات الأخرى فى إقبالها على قراءة كتب السحيم ، وعلى استشارة المجيمين فى أخطر الشئون ، ومنها مشروعات التجارة والاقتصاد ، واهتبار الشركاء ولأرواح .

وإذ صبح الإحصاء الذى اعتمدته المجلة فقد ارداد عدد نصيين على استشارة المجيمين فى الولايات المتحدة - بعد الحرب العظمى - من ثلاثة ملايين إلى عشرة ملايين ، وأصبح عدد المكاتب المفتوحة لقراءة الطوابع يصرب خمسة آلاف ، ويقدر عدد المؤمنين بالطوابع الفلكية فى ألمانيا بسبعة وعشرين فى المائة من مجموع سكانها ، وأن رجال

السياسة هي إيطاليا كثيراً ما يرورون مكانك المحميين تحت حجب الطلام ليسألوهم عن طوابع لأحزاب والحكومات ، وأن دور الملاحية في الببان لا يندر أن تستشير المحميين لاحتياز الساعة للملائمة لإبرال السفن الحديدية إلى الماء ، وأن الناشئين اليساريين ورعوا في سنة واحدة ثمانية ملايين نسخة من خرائط الطوابع التي تسمى بالاصطريلاب ، وأن في إيطاليا عشرين مجلة منتظمة لا تنشر شيئاً غير النبوءات وما يتعلق بها من أسئلة القراء وأحوة المحميين ، وأن طائفة غير قسنة من أصحاب الأعمال يتذكرون إلى اليوم مقدرة المحمة يفانجيس أدمر Evangelin Adamz التي كانت تقع مورخان صاحب الملايين سوءاتها عن تقلبات السوق ، ولا يبالون من أحل ذلك أن يجاروا بأموالهم معتمدين على أرباح المنجمين والمنجمات

وقد أرادت المحلة أن تشرم حجاب الحبيبة العلمية في رواية تدك الأحبار ، فنقلتها على علاقاتها ولم تظهر للقارئ أنها تسحق بها ولا أنها تصدقها وتطمش إليها ، ولكنها نقت كذلك أحداً أخرى عن بعض المحميين يمثل هذه الأمانة في الحكاية ، وفيها ما فيها من التشكيك على الأقل بمريق من المحترفين لصناعة التحجيم

قال إن ثلاثة من سعة من كبار المحميين المشهورين رسموا خريطة السيرات الشمسية فوضعوا الأسس منها في موضع لأعلى ، ولا تدري المحلة - كما تقول أعن جهل كان ذلك أم إهمال؟

وقالت عن عالم برزيلي أنه صحر من لحاح بعض الناشئين عليه لرسمه خريطة سماويه ومقروبه بالطوابع ، فتخلص منه بإحالة إلى سكرتيره ليضعه أو يريجه من لحاحه ، فاحتزع له السكرير خريطة من عنده نقلها من بعض المهملات المهجورة ، ولا برل هذه الخريطة المخترعة تناع وتستشار في مهم لأمر

ويتساءل كاتب البحث عن التسجيم ترى ماذا يصنع المحمون في أمر التوائم الذين يتشبهون بأسماء الأمهات و لأماء وساعات الميلاد وأمكن الولادة ، ولا يمكن أن يتفقا في حوادث الحياة؟

ويحب الكتب - لماذا يذكر الناس قديلاً من الأحبار التي تصح بعض التأويل بل لا تصح إلا مع التعسف في التأويل ، ثم هم لا يدكرون عشرات الأحبار التي كدست كل الكذب ، ومنها أحبار المحميين في القرون الوسطى عن بهية الدنيا وهي قائمة بعد تدك النبوءات لا تزال؟

إلا أن المجلة في الواقع قد بالعت في احترام تلك الخرافات وفي مناقشتها كما  
ناقش حد الذي تحمى أباطيله ، و تحتاج إلى بحث يكثر فيه القاء والقبيل  
إن الأساس الذي يقوم عليه التحجيم قد تهدم ، ولم يبق للمطبع على أسط  
بساط الفلك ذرة من الشك في بطلانه .

فهم يسون علوم التحجيم على السيرات السمع ، ويعدونها فيحطون لأنهم يحسون  
القمر من السيرات وليس هو منها ، ولا يحسون الكرة الأرضية وهي في وسطها  
وكان المسحور ، لأقدمون يجهلون ثلاث من السيارات لأنها لم تكشف قبل  
، اخترع المطار المقرب أو التسكوب وهي أرابوس الذي كشمه وليام هرشل سنة  
١٨٧١ ، ومنتون الذي كشف في منتصف القرن الماضي ، وبلوطس الذي كان معروف  
بالطر ولم يعرف على وجه التحقيق قبل سنة ١٩٣٠ وأدل من ذلك على جهل  
اسحمين لأقدمين أنهم يذكرون مروح الفلك ويذكرون سلطان كل برج منها كأنه  
ثابت في مكانه ، لأن معلوماتهم عن دائرة السروح ترجع إلى ما قبل الميلاد بمائة  
وخمسين سنة ، ولأن الفلكيين قبل ذلك التاريخ كانوا يحسون أن مدار لأرض  
فيها ثابت على اتجاه واحد ، ولكن الفلكي هيبركس Hipparchus أثبت أن السروح  
تنتقل من أماكنها ، وثبت بعد ذلك أن حط السروح انتقل قبل ألفي سنة من برج  
الحمل إلى برج الميزان ، وأنه الآن ينتقل من برج الخوب إلى برج النسل ، ولا تزال  
تتفقر حقة بعد حقة حتى يعود إلى أماكنها ، فلا يتم سقالها إلا مرة في كل  
سنة وعشرين ألف سنة ، ولا تنفق طوالع لمواليد السوم وطوالعهم قبل ألف سنة ولا  
قبل مائة سنة ، لأن مواضعها في أفلاك السروح لا تزال في انتقال واختلاف

هذه الحقائق الفلكية قد أصبحت أكثر من مجرد حقائق علمية يدرسها الرياضيون  
في مرصدهم ، لأنها وقائع تلهم أثارها كل يوم في أرصاد الأجرام السماوية وأدوار  
الندبات وحساب الكسوف والخسوف ، وبها يستطيع الفلكيون أن يقدروا بالساعة  
والدقيقة مواقيت حوادث الماضية في المنظومة الشمسية كما يقدرون أمثالها بعد ألف  
سنة ، وكل حقيقة منها تنقص أو تطلب المسحمين عن السيارات والسروح وعن الشمس  
والقمر من غير السيارات ، وتثبت لنا أن أولئك المسحمين قد جهلوا طوهر الفلك  
الواضحة فضلاً عن أسرارها المستورة عن النظر أو في محال العيب

فهم لم يكشفوا السيارات نفسها فضلاً عن أن يستعملوا بها على كشف الحاصر  
ولست قبل من حوادث الدنيا وصمائر الناس

وهم قد جهلوا مراكز الأرض بين الأحرار السماوية ، فصلاً عن مراكز الأحياء والأموال الذين يعيشون ، أو كانوا يعيشون على ظهرها .

وهم قد جهلوا أن البروح تنقل من أماكنها فصلاً عن الأماكن التي تستيط عليها تلك الروح كما يرعمون ، ومنها تستنق سقلب الناس في الحلق والرحال ، وما يعترضهم في أسفدهم من السعد والحس أو من الكسب والخسارة ، وإن العلم الذي يحظى فيما يعلمه الآن كل إنسان هيهات أن يحيط بالجهول الذي لا يعلمه أحد ، ولا يتأتى علمه لغير علام العيوب .

إلا أن التحجيم الذي يقبل عبه التمدبون في هذا العصر يعلمنا شيئاً يعينا حدًا أن نعرفه عن أسرار النفس البشرية في كل زمن وفي كل بلد . وبين لنا حجاب الصمير التي تبين على غير قصد من المتجيمين ولا من طلاب السحيم

بأنه عبره لإفصال على التحجيم في عصر العلم أن النفس البشرية لا تحب أن تنفصع عن عالم العيب ولا تشعر بأن الطواهر المكشوفة بعينها عما وراء الحجاب من مقادير الوجود ، وقد يشبع العلم رؤوس الناس ولكمهم لا يزالون يقنونهم حياءً إلى عداء أحرر يستمدونه من قوة أخرى ، وهو الذي يلتمسونه من هنا وهناك بين الصواب والخطأ وبين الهداية والصلال .

إن التحجيم باطل ، ولكن شوق النفس البشرية إلى المجهول صحيح ، وليس من الباع لها أن تكف عن طلبه ، ولكن من الباع لها أن تميز بين طريق الهداية وطريق الصلال ، وأن تطلب الحق حيث يطلب وإن طالت بها شقة الطريق . فليس يصيرها إذا استقامت على الجادة أن تطول الطريق

ولا ندري ما هي النسبة العددية التي تظهر لنا بالمقارنة بين الأمت واليوم ، هل يريد الإقبال على السحيم في بلاد أو ينقص؟ وهل يصدق علينا ما ترويه اللجنة العربية عن العالم العربي أو لا يصدق على ذلك المثال؟

ولكننا ندري - إن شاء الله - ما يحب علينا في هذا المقام

ندري أننا سققا العرب إلى معرفة التحجيم آلاف السنين ، فمن حقنا أن نسقهم إلى العلم بأنطيله ، وأن نفع منه نصيبا في الماضي ولا نشاركهم في نقيته الباقية بعد اليوم .



## الحج قبل الإسلام وَبَعْدَهُ (١)

الحج فريضة قديمة هي الديانات ولم يوجد قط إلا في ديانة كبيرة ، لأنه يسلم انتشار الديانة في أماكن متعددة كما يستمر قدمها وانتظام العمل بها في الأزمنة المتعاقبة عامًا بعد عام أو موسمًا بعد موسم ولا ينتهيًا هذ وذلك إلا لدينة قد تأصلت هي مكانها وزمانها .

وأشهر الديانات القديمة التي وجدت فيها فريضة الحج اثنتان ديانة الرهمن هي آسيا الشرقية وديانة بني إسرائيل في آسيا الغربية .

أما الحج في الديانة الرهمنية فلا صلة له بالإسلام ولا مشابهة بينه وبين الفريضة الإسلامية في مناسكها ولا في حكماتها ، لأنه يقوم على عقيدة تناسخ الأرواح والتطهر من الأورار في هذه الحياة استعدادًا لرجعة الروح إلى جسد أكمل وأنقى ، وعند الراهمة أن الحاج يذهب إلى بهر « بكح » يغتسل فيه فيتطهر من دنوبه ويرجو بهد التطهر أن يعد إلى حية أشرف من حياته الحاضرة في هذه الدنيا

وذلك كما قدم أصل من أصول الحج بعد من العقيدة الإسلامية ولا وجه فيه للمقارنة بين العقيدتين وإثبات مواضع التطور بينهما مع اختلاف الزمن وتجدد المعثات

أما الحج في ديانة بني إسرائيل فمرجه الأقصى إلى دعوات إبراهيم وإسماعيل ويعقوب وموسى عليهم السلام ، وهو السابقة التي لحق بها الإسلام ليطمها ويصححها ، ومن هنا تتأني «نقارنة بين فريضة الحج كما بقيت عند بني إسرائيل ، وبين هذه الفريضة كما أقرها الإسلام فأبقى منها ما أنقى وسمح منها ما سح ثم تبين في بدء هذا التطور مبلغ التقدم الذي جاء به الإسلام في شعائر الدين ومناسك العبادة .

وأول الفوارق التي تبين منها مدى هذ التطور أن الحج في بني إسرائيل إنما كان وسيلة لتدعيم سلطان الهيكل وكهنة ، وإنما كان في أهم مناسكه فرصة لترويد

( ) مجلة الرياض عدد ذى الحجة ١٣٧٣

أولئك الكهنة بالصرائب والإبواب والصرابين ، وقد صرحت بذلك مأثوراتهم كما رويها في العهد القديم ، وفيه «إني إذا قرب أحد قرباناً بأحد الدقيق ويسكب عليه الزيت ويحعل عليه سائاً ويأتي به إلى سبي هرون الكهنة ويقصص منها ملء قبضته من دميمها وريبتها مع كل لسانها ويوفد الكاهن تذكراها على المدبح لتسعث منه رائحة سرور لغرب ، والماقي من لتقدمه هو لهرون وسه»

ومن أكر العودق بين الحج كما دان به سوا إسرائيل وبين فرصته التي داب بها الإسلام أن مواسم الحج الإسرائيلية كلها مواسم رزع وحصاد ، أو كما جاء في العهد القديم .

«ثلاث مرات تعيد لي في السنة عيد الحصيد . وعيد الحصاد وعيد الجمع في نهاية السنة . .»

وفي جميع هذه الربا اب تؤدي الإداوة لكهان الهسكل . «ولا تطهروا أفاقي فارعي . .»

ومن سحافات المشربين واستترقيين أنهم يأخذون على الإسلام رمي الحمراب ويسبون أن شعائر انصحية كما يرتها الكهان الإسرائيليون تتجاوز لاعتراف بوجود الشيطان إلى تقديم قربان إليه ، فإذا كان يوم الكفاة جاءوا بجديين وفصلوا أحدهما بالقرعة فتقربوا به إلى الله ثم تقربوا بالأخر إلى عزريل ، أي الشيطان

وأبعد من ذلك عن نراة التوحيد أنهم يتصورون الديبحة طعاماً للإله جل وعلا ، فيقولون : إنه سبحانه وتعالى يتسهم منها رائحة الرصي ، وبها سرور له متع !!

ولقد خطا الإسلام بالصمير لإنساني شوطاً بعيداً في جميع هذه الماسك والعدسات

فالمسلم لا يحج إلى الكعبة ليعرر فيها سلطان الكهان أو لتقديم إليهم القرابين والإتاوات ، وإنما هي فريضة للأمة وفي مصدحه ، الأمة وعلى شريعة مساواة بين أبناء الأمة ، وهي بهذه المثابة فريضة اجتماعية يعلن فيها الأمم الإسلامية وحدتها ، والمساواة بين الكبير والصغير أمام الله وعند بيت الله .

وليس يقصود بالنصحية في الإسلام أنها طعام للكهان أو طعام للإله أو قربان لكسب الرصي من عزارين ، ولكنها صدقة أو سحء من النفس في سبيل العادة

يشير بها الإنسان إلى واجب التصحية بشيء من الدنيا في سبيل الدين ، متجشماً  
لذلك مشقة الرحلة وبكائيفها جهد المستطيع .

ويمتاز الحج في الإسلام بدلالته الروحية التي لا ترتبط بمواسم الررع والحصاد ،  
فيه يتفق في جميع المواسم والمواعيد ، ويأتى في الشتاء أو الصيف كما يأتى في  
الربيع ، وهو بهد المعنى علاقه سماوية روحية تناسب مقصدها الأسمى من تحقيق  
الرابطة بين الأمم التي تدين بعقيدة واحدة في أرجاء الكرة الأرضية ، على تساعد  
مواقعها وحتلاف أحواتها وفصولها ، فهو رابطة من روائط السماء تزامن بها أئم  
وحدتها العقيدة السماوية وإن فرقت بينها شى انطراح والبقاء

والواقع أن فرائض الإسلام جميعاً تقوم على الصلة بالاحتتماعية مع قيامها في  
الوقت نفسه على ضمير الفرد بينه وبين الله .

والحج أشهر وأجهرها بهد المعنى ، ولكنه كذلك معنى يظهر في كل فريضة  
من فرائض الخمس المشهورات ، فمن قال « أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن  
محمداً رسول الله » فإنما هو شهادة تلاحظ فيه الجماعة كما تلاحظ فيه صمائر  
الأفراد ، وليست صلاة الجماعة مسببة مع الصلوات التي يصرد بها المسلم إذ تعذر  
عليه الاجتماع ، وفريضة الركعة لا تكون إلا في مجتمع يتعاون فيه العنى والفقير ،  
وصيام رمضان ستهى بالعيد الذي يحتتمع فيه المسلمون كافة ، فمما من فريضة دين  
في الإسلام إلا وهي فريضة الأمة بأسرها على نحو من الأبناء

ولقد طال بحث المؤرخين العربيين عن أصول الحج إلى الكعبة قبل الإسلام ،  
وتواترت الأقوال بتعدد الآبية التي كدت من قبلها في الجزيرة العربية ، ومنها  
كعبة صنعاء التي يقال إنها كانت في موضع مسجد عمدة وكعبة بحران التي  
كشفها الرحالة المعروف الشيخ عبد الله بنى (في سنة ١٩٣٦) وغير هاتين  
الكعبتين مما ورد في بعض لأخبار الصعاف غير سند من دلائل الثقت

وأما كان القول الفصل في تاريخ لماضى والحج الإسلامى في عصرنا هذا هو  
الفريضة الوحيدة الباقية من قبلها في جميع الأديان الكماية

فهيك بيت المقدس قد تهدم منذ القرن الأول للميلاد ، ولم يرد في  
الأناجيل المسيحية نص على مكان مقدس مهروض على المسيحيين أن يحجوا  
إليه ، وكل ما عرف بعد القرون لأولى فإنما اتع فيه الخلف سنة لملكة هيلانة

أم الإمبراطور قسطنطين التي قبل إنها وجدت الصليب الأصيل في فلسطين عندما توجعت إليها لريده أثار لسيد المسيح ، وهي قصة يكفي للدلالة على قيمتها التاريخية أن رواها جميعاً عنها بعد عصر النهضة هيلانة ، وأن مؤرخ العصر الأكبر يوسيبوس Eusebius لم يشر إليها بكثير أو قليل على شدة اهتمامه باستقصاء الأخبار التي لا تذكر بالقياس إلى هذا الخبر العظيم

ثم تابعت القرون والدول التي نتسب إلى المسيحية تتدرج بالأمكن المقدسة لترويج مطامعها السياسية ، فروسيا القيصرية تدعى حمايتها على مذهب الكنيسة الشرقية وملك فرنسا يدعون حمايتها على مذهب الكنيسة العربية ، ولما ذهب هؤلاء الملوك وتبعتهم دولة الجمهورية «اللاتينية» كانت العبرة على الخج في عهدها على أشدها وأهوها وشأت في أيامها صحيفه الحج pel erin التي بلغ انطوع من أعدادها مئات الألوف وامتألت صفحاتها بأساء المعجرات والكرامات التي شاهد في أرض الميلاد ، ونصافرت الدولة والكنيسة على ترويجها خدمة لطامع الاستعمار .

ثم نقلت الأيام حتى رأينا دعة الاستعمار يسلمون الأماكن المقدسة إلى أيدي الصهيونيين

أما فريضة الحج الإسلامي فقد بقيت لها رسالتها التي لا عث فيها ولا موضع للمكر والدسياسة من ورائها ، وإن رسالتها اليوم في العالم الإسلامي لأعظم وأكرم من رسالاتها في جميع الأزمنة ، لأنها العهد المجدد في كل عام بين شعوب الإسلام ، وفي عصرهم أحوح ما يكونون فيه إلى الوفاق والوثم





## أفغانستان وانتشار الإسلام في الهند

في مقالنا عن استقلال الأفعان ، قلنا إن الخالق سبحانه وتعالى هو الذي كتب وثيقة الاستقلال للأمة الأفغانية حين أودع العرة في نفوس هذه الأمة العريقة ، وحبسها عصية على الفاتحين وأعصى من ذلك كثيراً على الحكيم المستعمرين

وللتاريخ مواضيع استصهّام عن أطوار الأمم تحظر للسائل ، ويلتمس جواب عنها من هداية فكره ، ومن دلالة الحوادث والمقابلة بين نقائصها وأشباهاها

وبعض مواضيع الاستصهّام هذه في تاريخ الأفعان أنها أمة قوية ، نصبر على الشدائد ، وتفتح لمكآره ، ولكنها قنعت من القوة في أكثر العصور ، بأن تجعل أدة خطط الحرية وماعة الخورة ، قبيلاً ما جعلتها أداة للعلة والطموح إلى توسعة الملك وبسط السلطان على الأفاق المترامية من حولها .

لم تكن هذه نظريتها إلى القوة ولم تكن لها نظره إليها كطره الفاتحين من أبناء الأمم المشهورة بالإقدام وشدة المراس وقلة الاكرات بمحاطر الحروب والفتوح ؟ ليس عن قصور في الهمم ولا عن رحد في العظمه كما كانت مبهومة في أرمية الفتح والعبية .

ولكنها طاهرة من طواهر التاريخ يفسرها موقع الأفعان ، ثم يفسرها الدور الذي حنارته لبعسها بين دول المشرق الكسرى ، وقد كانت كلها محيطة بالأفغان من الشرق والغرب والشمال والجنوب .



كانت الأفعان شعب قنائل متعددة لا تلقى في وحدة حكومية ، وكانت الدول من حولها «إمبراطوريات» شاسعة الأطراف . بين إمبراطورية أبناء السماء وإمبراطورية الراجات ، وإمبراطورية الفرس أيام استقلالها وأيام دخلت مع العرب في دولة واحدة هي دولة الإسلام

فماذا تصنع الأفغان بين هذه الدول الكبار ؟

إذا استطاعت أن تؤلف بين قبائلها للمحافظة على استقلالها ودفع الطغيان عنها فقد وفّت بحق الكرامة وأدركت منها ما يعر على سواها في مكآها ولكنها استطاعت هذا وزيادة .

استطاعت أن تتولى شئونها وأن تتولى معها مهمة الرئسة الفعالة في كل دولة  
اشتركت فيها ، وستطاعت مع هذا أن تهتم للمفتح في حوزها كلما دعتها إليه  
ضرورات الموقف أو حوافره التي لا تهمل في زمانها

\*\*\*

واستطاعت ذلك كله على ثلاث صور يسه في تريحها مع الدول الإسلامية  
أولهما أنها كانت ميراث الدولة التي تترجح فيه كفه البقاء أو كفه الروال  
فالدولة الأموية زالت ، وقامت في مكانها الدولة العباسية ، يوم أعرضت  
حراسان عن الأولى ، وجنحت إلى الثانية ، والدولة العباسية عادت فصعقت ،  
وعرضت لروال ، يوم فقدت معونة حراسان

والصورة الثانية التي أسست بها مكانها في الدولة أنها أخرجت لعباسيين بيوت  
الوزارة والولاية من البرامكة والطاهريين والسلمانيين

والصورة الثالثة أنها تكفلت لسولة بعد د بفتح الهد وبشر الإسلام فيه ، فكان  
جانبها هو لحاب الوحيد الذي تسع بالمفتح وانتشار الإسلام ، يوم كانت حواب  
الدولة ، لأخرى تسرع معها قطعة بعد قطعة ، ويحور عليها الأعداء من خارجها أو  
المتعمدون اشتقصون عليها من داخلها

والسول الأفغانية الثلاث التي بهضت بفتح الهد هي دولة سي «سكتكين»  
ودولة انغوريين ودولة آل قينجي ، ولا سيما علاء الدين

\*\*\*

وليس مسكتكين من صميم أبناء الأفغان ، ولكن نشأته أفغانية ودولته أفغانية  
وموته التي اعتمد عليها في مجاح حكمه ومجاح فتوحاته أفغانية ، ولا يمكن أن تعرف  
بسبب أخرى إذا وجب أن تتسب إلى قبيل أو نظام .

في الإسلام دخل الهد من طريقين طريق الفتح وطريقة الرحلة والحجارة .  
وبعد فتح السند في أيام الأمويين لم يعرف للإسلام فتوح ذات بال غير الفتوح  
التي قام بها الدول الأفغانية ولكنهم في الواقع لم يشعروا بالإسلام بالسيف ، بل  
كان السيف يفتح لهم باب السند ، وتكمل السياسة الرشيدة والمعاملة الحسنة  
بالبقية التي يعمل فيها ، لإقناع وحس القنوة ما لا تعمله السيوف والعروش

\*\*\*

ولقد كان نصر المسلمين في الهد آية عند اليهود من آيات المشيئة الإلهية ،  
وكثير من أممهم يصدق لإسلام إنما أفعمهم بمصدره الإلهي أنه انتصر على

حيوش تفوقه في العدد والعدة وتقيم في مواضعها ومعاقبتها بين موارد ثرواتها وأمداد  
الحمد والمال المتواليه عليها ، وكانت فتوح الإسلام أشهر من صوح القادة الأقدمين  
الذين بقيت في الهند ذكرهم مقرونة بالإعجاب والرهبة ، ولا استثناء هي ذلك  
للإسكندر في أوج شهرته ، فإن الإسكندر لم يصل إلى «الدكن» التي وصل إليها  
قادة الأفغان ، ولم يبق بعده أثرًا من فتوحه كما بقيت آثار الفاتحين من المسلمين في  
حياتهم وبعد حياتهم ، ولا تزال باقية فيها إلى هذه الأيام

فلم يكن قادة الدول الأفغانية فاتحين للبلدان وكفى ، ولكنهم كانوا فاتحين  
للقلوب وفاتحين للعقول ، وربما اجتمع في بلاط أمرائهم في حبل واحد - أقطاب  
من طبقة الماري والسيروبي والهردوسي والعصري والعسحدى وأبو بكر الخوارزمي  
ونديم البرمان الهمداني ، وما رلو يقربون إليهم في كل وطن فتحوه صفوة نسائه من  
الحكماء والفصلاء على اختلاف النحلة واللسان ، ومن آثار فتوحهم أنهم بقوا إلى  
الهند لعة من أشيع لغاتها الخاصرة وهي اللغة «الأردية» التي يتكلمها من المسلمين  
وغير المسلمين عدد لا يصرعه عدد المسلمين بإحدى لهجاتها الإقليمية .

وعرف خلفاء بعدد هذا المصل بقادتهم لملاحين فكس من الألقاب التي  
خلعوها عليهم لقب أمير المملوك وبين الدولة فصلاً عن ألقاب السطة والإماره  
وهي واحد من هؤلاء يقول أبو الفتح البستي يرثيه

قلت إدمان ناصر الدين والد      ولة حمه به بالكرمة  
وتدعت جموعه بفتراق      هكذا هكذا تكون انقيامة

ولكنها قيامة كانت تقيم الموتى وتنعت الحياة ويتلوها عمار وادهار في مختلف الأقطار  
وبعد ، فموضع الاستفهام عن قوة الخلق الأفغاني هذا حو به  
به خلق قوى لم يعوره الطموح ، وعلو الهمة ، ولكنه أثبت نصسه من الصموح  
وعلو الهمة في حيز صورة ثلاثمه وتمعه ويؤدي بها أمانه القومية

كان شعبنا من فساد لم يجمعها في عهد الدول المحبطة بها وحدة حكومية .  
وأحاضت بها دول كبار كدولة أساء السماء ودولة الراحات ودولة الأكاسره والجنفاء  
فمن لم تقع بحريتها وحماة حوربها فلاند لها من العله على الصين والهند وأرجاء  
الدولة الإسلامية ، ون قعت بحريه وحمايه حورتها فهد وقت نحن انكرمة  
وبكها وقت نحن انكرامه وردت عليه ، فحفظت وجودها في حدودها ، وأثبتت  
وجوده وراء تلك الحدود ما وراء النهر شرقاً إلى ما وراء النهرين غرباً ، وفتحت بلاداً  
بسكنها لان من المسلمين عشرة أمان أسائها في وطنهم العريق

\*\*\*

## العبئة الجديدة في نيجيريا<sup>(١)</sup>

ألف هذا الكتاب الأستاذ هيو سميث مدرس علم الاجتماع وعلم الأحياء البشرية بكلية بروكلن ، وساعدته في تأليفه الأستاذة مابل سميث مدرسة علم الاقتصاد بكلية مدينة نيويورك ، واسم الكتاب « العملية الجديدة في نيجيريا » يشير إلى مرصوعه ، وهو استقصاء تاريخ الطبقة المتعلمة التي تستوي الآن على مقاليد الحكم في بلاد نهر النيجر بعد إعلان استقلالها منذ شهر أكتوبر من السنة الميلادية الماضية (١٩٦٠) .

وقد تناول المؤلفان دراسة أحوال النيجريين المسلمين بمقدار مساهمها بهذا الموضوع في حدوده الواسعة ، فهما لا يبحثان في الدين الإسلامي ولا في شعائر الإسلام الدينية ولكنهم يبحثان في الأحوال الإسلامية التي كان لها أثر اجتماعي سياسي في تكوين طبقة الرؤساء والقادة بين النيجريين ، ولا سيما أبناء الشمال من بلاد نهر النيجر ، لأنها مقر العشائر المسماة هناك .

ألف المؤلفان في مقدمته البحث ، مدعيا حقيقاً إلى الفارق بين الشمال والجنوب في عصر الدراسة العامة التي تحيط بأطراف هذا الموضوع فإن استجماع هذه العناصر في الجنوب سهل ميسور من الوجهتين الجغرافية والاجتماعية ، لأن مواصلاته الطبيعية كثيرة ممتعة الأنواع ، وشؤونه الاجتماعية لا تخصى على الأوربيين بعد انتشار الشير بين العشائر الوثنية وتحويل بعض أنسابها إلى المذهب المسيحية ، ومنهم من ارتقى إلى مناصب القبوسه ولأساقفة ، ومن أمثله معلوماته الحديثة التي استفادها من مدارس المبشرين لولاية الوظائف الحكومية والاحتلاط بالرؤساء البريطان ومراكز النزلاء

أما بلاد البحر الشمالية فمواصلاتها الطبيعية غير ممتدة ، ولم يذكر المؤلفان أن الحكومة الأجنبية أهملت تدبير صعوباتها لحدوها من التقريب بين عشيرتها ، وقلة

(١) الأهر يونية ١٩٦١

اطمئنتها إلى رؤسائها الدينيين المسلمين ، وندرة الموظفين من أبنائها لإعراضهم عن مدرّس التشير ، ولكن هذا الإهمال من جانب الحكومة ملحوظ من مراجعة فصول الكتاب وإن لم يذكره المؤلفان .

ويضاف إلى صعوبة اتصالات صعوبة أخرى اجتماعية هي «نظام العلاقات السياسية والحكومية في أنحاء الشمال على قواعد العادات الإسلامية ، ومنها الحجاب وشرائع الزوج والطلاق والميراث ، وقد يكون منها قلة الاختلاط بين قادة المجتمع ورؤساء الدواب ، وندرة العارفين باللغة الإنجليزية من أبناء الشمال في أول عهد الاستعمار ، خلافاً للحيويين الذين أقبلوا على هذه اللغة وغيرها من اللغات الأوروبية واستخدموها للتفاهم بينهم عند تعذر التفاهم باللهجات الوطنية

ويرجع المؤلفان إلى أقوال المؤرخين عن أصول العلية لأولين فيذكران أقوال المرححين لفدومهم من بلاد البربر وأقوال الآخرين الذين رححو أنهم طوائف من أبناء صعيد مصر هاجروا إلى المغرب ثم إلى الجنوب منذ ستة قرون ، ولكن المحقق في العصور التاريخية القريبة أن قبائل رعاعة زحفت خلال القرن السابع للميلاد إلى وادي البحر فاستولت على مقاليد الحكم حول بحيرة شاد وما جاورها من الأقاليم الزراعية ، وأشاعت بين هذه الأقاليم لغة وطنيه تترج فيها العربية والسريانية وتستخدم الآن لتبادل المعاملات التجارية من عادة إلى بلاد القمرون ، وقد كانت ديانة مصر في ذلك الوقت ديانة القبائل المعيرة التي تعتمد على الخيل في غرواتها ، لأنها تصيب الخيل كما تصيب الإنسان .

وقد أطلق اسم «القبلاية» على المسمين الوافدين ومن دخل معهم في الإسلام ، وظهر منهم من تسمى باسم أمين المؤمنين ، وهو «ساركن مسلي» في تلك اللغة الممزوجة بكثير من الألفاظ العربية والسريانية ، وتعتبر عشيرة «الهوسا» القبلاية أقوى طوائف البحر الشمالية ، يعيش معها أكثر من عشرة بطون صغيرة يدين معظم أبنائها بغير الإسلام .

والفوارق بين الشمال والجنوب : كما تدل عليها معلومات المؤلفين - تتلخص في فارق واحد يشملها وقد يعنى الفارق العجالات عن تفصيلها وذلك أن الآداب الديني في الشمال أقوى وأعم من الآداب الوطنية أو السرية القومية ، وعلى نقيض ذلك تشتد المطالب الوطنية في الجنوب وتضعف المقاومة الدينية ، وهو أمر معقول يوافق استظر من أناس ليست لهم ديانة ذات «دعوة» تقوم دعوة المشركين ، وليس

بينهم عشيرة واحدة يستطيع أن نعلم عقائدها الدينية أو أساطيرها الموروثة ، بين جميع القبائل التي بقيت على الوثنية . وبأى بعد هذا المارق الشامل هارق آخر شمل الأقاليم الشمالية ونكاد أن نضم لأعبادات محلية ، الجعرافية إلى اعتبارات العقيدة والألفة الاجتماعية ، وذلك أن طوائف المسلمين المعروفة باسم الصلاوية تعودت أن تأوى إلى المذمب المسورة وهى على الأعلب لأعم تحلق أسباب الوحدة «المدينة» بين سكانها وبو كدوا من محل متعددة ، فإذا كان الذين الغالب هنالك بين أسماء المجتمع المدني ديباً فويّاً يقابل دعوة التشير بالمقارمة أو يقابلها بدعوة تماثلها فمن الطبيعي لمتطرق فى هذه الحالة أن تسودها لأدب الدينية العالية وأن تسرى عيرة الكثرة العظيمة على عقيدتها إلى شركتهم هى الوطن من قبائل «رثيين» ، دفاعاً عن كتابهم الاجتماعى أو السياسى مع حير بهم من أبناء الكثرة القوية ، أو المسلمين

وقد أحس الشماليون بما يعرضون به من هضم الحقوق الوطنية وحرائر الاعتداد عن وطائف الدولة ، إذ كان اعمرانهم لمدارس التعليم الحديث ، فهضمو بتدريك هذ النقص وأسسوا (سنة ١٩٢٣) جماعة أنصار الدين ثم شرروا مروعها فى المدن الكبيرة وتمكسوا من الإشراف على المدارس الحكومية وغير الحكومية ، وشطت منهم هيئة - عى مثال البعثات - جماعة المعلمين ، فأصبحت بوة لمحركة السياسية وأسهم الفائمون بها فى لمركة الوطنية سواء إلى جانب الحكومة أو إلى جانب المعارضة بعد قيام الحكم الدستورى وإعلان الاستقلال

وتألف العلية الشمالية من جماعة المنعمين ومن كدر التحار وأصحاب المزارع والموظفين وربما سرى إديهم شىء من وعى «الصقة» على اعتبارهم جمعاً حكاماً أو مرشحين للحكم قبل إعلان لاستقلال أو بعد إعلانه ، وسكنهم على الرعم من وحدة الصقة لا بمصلون عن فائلهم ولا يرال أدب التوقير والرعاية بين شيوخهم وشبابهم ، وبين كبارهم وصغارهم ، يحرى على مسة لأسرة العريقة ولا يسمح لمتطرفة بالظهور

ومن الأحداث التى بقدها المؤنعان هى هذه المسألة ، وهىما يرتبط بها من مسائل الدرجات الاجتماعية - حديث مسوب إلى رعيم تنقل بين البلاد الأوروبية بصع سنوات وسئل عن أثار حياة المدينة فى أدب قومه فقال «إن الناس يفتدون إلى المدن طلباً للعلم أو طلباً لمدال أو رعية فى المعيشة على مثال أفصل وأيسر من معيشة

القرية الربمية العتيفة . ولكنهم يطلون على الرعم من هذه الشواغل مستمسكين  
بعادات الاحترام والرعاية لكبر السن والمقام ، ويحسون أن يحتفظوا بالتراث القديم .  
وقال رعيم آخر من أسرة حاكمة «إن الشعور بأواصر العشيرة يتغلغل في  
أعماقنا . وتقوم عليه قواعد حياتنا السياسية ، وهو القوة المسيطرة في البلاد  
السيحيرية الآن» .

\* \* \*

وإذا لم يكن يسبب إلى التقاليد الإسلامية تحلف الشمال في حركة المقاومة ، أو  
حركة المعارضة للحكم الأجنى ، ويقولان بعد الإشارة إلى النظام الإقطاعي . «إن  
بلاد الشمال الإقطاعي يندر فيها المتعلمون من الطبقة العالية وهم - على اجملة  
حدرون متأدون ، بل خاضعون أحياناً في علاقتهم بالحكام البريطانيين . وما يؤخر  
ظهور البرعة المستقلة بينهم أن المناصب الكبرى هناك يشعبها البريطانيون وقد  
عودتهم مآثرهم الإسلامية عادات الاحترام من التسليم والسجود والاحياء وحلج  
النعال ، حتى ليعبد عليهم دون التفت منهم إلى ما يصنعون أو ياترو إلى توقيف  
كل من هو أرفع مقاماً كيفما كان» .

وأغرب ما في هذا التعديل أن منهم مؤلفان أن خشوع المسلم في صلاته  
يعوده أن يسجد لعبور إله المعبود ، وقد كان الأخرى بهما أن يعبد حقيقة فلا  
يفوتهم أن هذا الخشوع في موقف العبادة خليق أن يذكر الإنسان بحتاب  
عبادة الإنسان ويحذره من التورط في الكفر بالنسوية بين الصلاة للخائف  
والصلاة للمخلوق ، ولكنهما لو دكرا للحصوع أو للخشوع شيئاً آخر لكشفنا عن  
سبب لا يرضيهما أن يعترفوا به وما فيه من المساس بالحكم الأجنبي ونظم  
التبشير وعلاقته بالسياسة الاستعمارية في البلاد الأفريقية وبلاد الإسلامية  
مها على التحصيل .

والسياسة البريطانية تقوم في استعمارات على الحد من أصحاب الدولة  
الأقدمين وعلى الحد من الثقافات الاجتماعية التي تقاوم ثقافة الأحسن  
وتوحى إلى أسائها مذهباً من مذهب الحكم والنظم يعارض مذهب الضارئ عليهم  
من أساسه ويستطيع أن يزود للحكوميين بنظم يماطره ويتحداه وقد صرح أساطين  
الاستعمار البريطانيون بحطتهم الساسة - الهدية هذه غير مرة ، فقال لورد

ألبرو . « ليس يسعى أن أعمر عيسى عن اليقين بأن هذا العصر الإسلامي عدو  
أصيل العداوة لنا وأن سياستنا الحقّة يسعى أن تتجه إلى تقريب الهديين »

وهذه الخطة بعينها هي الخطة التي جرت عليها السياسة الاستعمارية بين  
لأفريقيين كلما صادفتهم كثرة إسلامية تجاوزها قلة متفرقة من الوثنيين أو غير  
المسلمين على العموم ، فإنهم يتعمدون قضاء الرءوس المطاعين بين العشائر المسلمة  
ولا يبالون أن يتبعوا خطة السماحة والإعفاء مع القبائل الوثنية لتفرقة ، لأنها لا  
تستطيع أن تقبلهم بإجماع متحاشين يخافون عقابهم . فإذا تولى وظائف الدواوين من  
أهل سيجيريا الشمالية أساس مستضعفون لا يحدون لهم رهوساً من ألباء جلدتهم  
يطيعونها ويأتمرون بأمرها فهذه هي دلة المستضعف أمام السادة الأجبيين ، ولا حيلة  
للواحد أو الاثنين أو الثلاثة من عليّة الوطنيين المقبولين عند أولئك السادة غير  
الخشوع والاستسلام . وقد يكون الخشوع والاستسلام ديدناً معروفاً عنهم قبل أن  
يظفروا برصوان المستعمر وطمشاه فيعهد إليهم بالوظيفة المرموقة ولو كانت ذات  
شأن خطير يحشاه المستعمر إذا تولاه محكومون غير المأموين .

واطرقت هذه الخطة السيامية إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى ، ثم تقرر نظام  
الوصاية والانتداب فاضطر الحكام الأحاب إلى اتباع النظم الدستورية والتعاون مع  
الزعماء الوطنيين الذين تنتحبهم شعوبهم ولا يتأثى للحاكم الأجبي أن يحطهم  
مهم يلج من بلفيق الدسائير وبروير الانتحابات ، فكان الاعتراف برعماء المسلمين  
قضاء محسوماً لا سبيل إلى نقائه بغير الحيلة والخامسة ، وكان من أساليب هذه  
الخامسة أنهم أحلوا يرحبون بأبناء العلية الأولى ويشجعونهم على تمام دروسهم  
بالجامعات الإنجليزية ، وثابروا عدة سنوات على اختيار أربعة من طلاب الجامعات  
فى كل سنة يتكفون بهم ويسدون إليهم كسار المناصب بعد عودتهم إلى بلادهم ،  
ومهم السيد أبو بكر طهارة أول رئيس وزارة تولى رئاسة الحكومة الاتحادية بعد  
إعلان الاستقلال منذ ستة شهور

وقد أراد الاستعمار أمراً وأراد الله غيره . فكان أسبق السيجيريين إلى ولاية الحكم  
بين أبناء وطنهم أولئك الذين أقصاهم المستعمرون عنه ودبروا بالأمر تدبيرهم  
الطويل لنفيهم عن الكبير والصغير من وظائف الدواوين

\*\*\*



## مَرَآكِشٌ مُسْتَقَلَّةٌ (١)

الأستاذ روم لاندو هو أستاذ الدراسات الإسلامية ودرسات أفريقيا الشمالية في جامعة المحيط الهادى بمدينة كليفورنيا ، وهو سائح باحث قديم عهد بالبحث فى مسائل الدبابة عامة ، والديانة الإسلامية خاصة ، وله مؤلفات كثيرة فى هذه المسائل على تعدد أبوابها ، وبعضها مقصور على البحث فى الحياة الإسلامية كما عرفها بين المسلمين من أساء المعربين لأدنى والأقصى حيث قصى سنوات من حياته ، ولا يزال يقضى ما اتسع له من الوقت فى إحدى حواضرها

وفصيلة هذا المؤلف فى كناناته عن المسلمين أنه يشعل نفسه بالتفتيش عن آخات السليم أو جانب الأمل من الحياة الدينية والديونة بينهم ، وليس كل شعلائه بالتفتيش عن الجوانب التى تنبعث التشاؤم من الساحة الإسلامية وتنعت التناؤل من الساحة الأخرى التى نقابلها بحجة أولئك الذين يرمضون بالإسلام الدوائر من كتب التشير والاستعمار .

وعلى سنة هذه حرى فى الكتابه عن حالة المسلم العصرى المثقف ، وغير المثقف ، فى البلاد المركشية بعد استقلالها ، وبحاصه فيما يتراءى للمراقبين الأوربيين الذين يرورون البلاد ويصرون إلى أثر إحصارة والحرية على قوة العقيدة الدينية بين انشاس المتعلمين وقد كتب أحد السائحين الإنجليز مقلاً رعم فيه أن طرالع الأحوال كما رآها أخيراً تدعو إلى اليقين بامقضاص البلاد عن الدين وإقبالها على المراسم الأوربية بعد سنوات قليلة ، فيما يتعلق سظم الحكم ونظم المعيشة التى تتصل بالمعاملات الأجنبية ، سياسية كانت أو اجتماعية .

فكتب الأستاذ لاندو يرد على ذلك السائح بما وعاه من مشاهداته الكثيرة ، ومنها أحاديث لمعلمين فى وليمة بمدينة مراكش حضرها وذكر أن الحديث على المائدة أوشك أن يدور على موضوع واحد وهو موضوع التصوف ، ثم قال :

(١) الأهر نوفمبر ١٩٦٩

لأشجعي موضوع هذا الحديث على إثارة السؤال عن حاله الإسلام في  
مراكش المسهلة ، فبعثت كلماتي حماسية عظيمة وكاد احاصرون أن يطقوا  
بالكلام معاً دفعة واحدة ثم يكتم الحاكم نفسه - وهو أوفرهم بصيئ من التربية  
الأوربية - فأقصى عما يعسر الرأي الفصل يتفق عليه بين الحصريين ، وفجواه أن  
السائح لأحسب بسحيل عنه أن يعدد إلى حقيقة الحياة الدينية الإسلامية .  
هنا شباب المراكشي قد بشرت ويطلق سبانه بالحديث في مطهر المعيشة  
الأوربية ، ولكنه إما يفعل ذلك حباً للظهور أو لاختيار نوع غريب من المعيشة  
وقد يتحلف عن الذهاب إلى المسجد ولكنه يؤدي لصلوات في موقيتها ويدين  
بالمهم الأساسي من المثلث الدينية ، وإذا احتاح إلى الهداية الروحية في  
أزمات ضميره فلما يتجه يطلب هذه الهداية إلى القرآن ولا تزال علاقته بأبيه  
وبأهله وبما يؤمن به من فصيلة أو رديلة هي تلك العلاقات التي يسوحيها من  
الآداب الإسلامية وربما حطره أن يقع في روع صاحبه الأوربي أنه رحل  
(متعمد) يحل عن القديم ليأخذ بالحديث ، ولكنه صوب من الدفاع عن الآداب  
أمام العرب إذ هو على يقين أن هذه العرب تجهل حقيقة الإسلام ويعتبره في  
عرفه مرادفاً للرجعية على أن العرباء الأجانب إما يسمعون هذه الأحاديث من  
فئة قليلة من الذين يقال عنهم بهم فكريون Intellectuals وبحور أن يكون  
بعضهم قد تحول عن ديانته ليدس بالمذاهب الهدامة إلا أن هؤلاء لفكريين  
المزعومين لا يمثلون أحداً في الأمة المراكشية غير أنفسهم فإذا أردت حقاً أن  
تعرفوا كما نحن - فلما تعرفوا هذه المعرفة بمشاركتنا في حياتنا اليومية

وقد سرد الأستاذ لابندو في الكتاب أحاديث شتى سمعها من الشبان  
والشابات ، وروى جملة من المشاهدات التي مر بها اتفاقاً من العوصم وقرى  
الريف ، ومن أعجبها عنده أنه كان يتحدث إلى فتاة متعلمة تحسن الكلام  
بالفرنسية كإحدى الفرنسيات ، وكانت تشترك في أحاديث المجلس وهي مقتنة  
بصاعها العليدي فسألها كيف توفيق بين عادة لرفع وهذه الآراء العصرية  
لتي تجهرين بها فكان جوابها أن الإنسان لا يعتقد ما يعتقده بملاسه وأنها  
تستطيع أن ترفع الفصاح ولكنها لا تحب أن تؤلم أباه وأمه بعمل لا يستريحان  
ليه وحكى أنه كان يركب حيساً إلى مباره المدون يرى العنى الناشئ يزل عن  
مطينه في موعد صلاة المغرب ليستحي جسداً ويؤدي صلاته قبل مواصلة السفر

إلى وجهته ، وحكى عن طائفة الأنبياء والخدم الذين عرفهم فى بيته أو فى بيوت أصحابه أنهم يعاشرون الأحاسب رماً ولكنهم يقومون بفرائضهم ولا يشربون الخمر أو يأكلون المحرمات

ولم يستطع الرجل أن يحكم على الذين حادّتهم واحترس شئوبهم من أسياء البلاد بحكم واحد يشملهم جميعاً ، ولكنه استطاع أن يقول ، إن الأوربيين المتعجلين يخطئون أنظن خطأ بعيداً إذا اعتزوا بطواهر المراجعة وحسوها علامة على المروق من العقيدة ، فإن الطواهر حادثة فى مسائل الدين التى تطوى عليها الصمائر خلال عصور الحقبة وليست هى بالعلامة الصادقة على الشعور الخفى الذى لا يدركه صاحبه أحياناً ، فضلاً عن الغرباء عنه من أسياء وطبه أو أسياء الأوطان الأجنبية

ربما شوهدت العيرة على الإسلام بين أسس يهللون الشعائر ويحالفون المرائض ولا يحرصون على التقاليد ، وربما كانت العيرة الوطنية التى تحتدم فى نفوس الكثيرين من الساسة المنظرين قسماً من غيرهم اسلم على حماء وعلى تاريخه القديم ، ولا يجوز أن يفهم الأوربي أن المسلم يتخلى عن سنته إلى الإسلام إذا لاح عليه أنه قد تخلى عن بعض الشعائر والتقاليد

والذى يجب أن يريده على تعلقات الأسياد لا تدور أن أمثال هذه الصور التى تخامر بعض الكتاب عن الإسلام قد سلكت فى الأرملة الخالية غير مرة منذ أوائل الدولة الأموية إلى هذه الأعوم الأخيرة وقد خفيت على مؤرخى القرون الخالية دلالتها العارضة ودلالاتها الدائمة ، فحطرت بهم فى كل مرة أنها بدير مروق الدين أو عَرَض من أعراض النهاية التى يقدرونها لكل عقيدة كما يقدرونها لكل حصارة أو لكل نظام من نظم الاجتماع ، ولو أن المتأخرين استعادوا من عمر لماضى لا اجتسوا الخطأ فى رأى واحد بين سائر الآراء وهو خطأ الظن بأنها «الشيخوخة» قد عرّضت للندس نفسه وأذنت بدهناء حماة الإسلام إلى ما تنتهى إليه كل حياة فإن العرض الواحد لا يكون من أعراض الشيخوخة عشر مرات .

حدث فى أواخر أيام الخلفاء الرشدين أن لسمين الذين انتقلوا إلى البلاد المفتوحة هتتوا بحمة الحصارات المحلّة ، وقادروا بعض مكرائتها وهجروا بعض عاداتهم فحيل إلى أعدائهم كما حيل إلى بعض العلالة منهم أنها بدر الصياع على

قول مريق وتندر الصيامة على قول أحريش ، وحاء «رد المعن» كما يقول في  
صطلاح هذه الأيام علواً من الخوارج في التشديد وإمعاناً من الأعداء في الدس  
الخمى أو في العدوب الظاهر ، ثم نقصت الدوب كلها - وهي أول دولة إسلامية  
وقامت بعدها دولة العباسيين على أساس من لعيرة للدين والنحو سبت  
السوة وتكررت هذه الطاهرة على مثاب أخطر وأكبر في إبان دولة العباسيين ، فإن  
احتكاك العالم الإسلامي بعلم الحضارة الرومية وعالم الحضارات الشرفية المتحلة  
قد أفضى بين المسلمين من جميع الأجاس بدعاً كهذه البدع التي يذكرها  
السائحون المعاصرون ، ويرد عليهم الأستاذ لاندو بما أحملناه كان الرجل منهم  
يتظرف بالبرودة ليقال عنه به من التقدميين على اصطلاحنا في هذه المسبب ،  
وكان المكريون المزعمون بلقى بعضهم بعضاً بالنسؤن عما يعتقد مذهباً به كأنما  
كنت عهداً لمذهب صرة لا ب مع لعقيدة الإسلامية العامة كما قال ميسرة  
من حسان السمرى بسأل ابن أبى الشيخ :

دخلنا للشكوا يا ابن أبى شيخ      بسأى الأديسان أنت تدير  
والى أيها تميل يا من أنى حصر      كم ذا الهوى ود التدوير ؟

وكان «التظرف» يقصى على أدعيائه أن يحتلوا الهرن بالحد في دعاوى المحو  
والحكمة وشواغل الأدب وعمر الأدب كما قال ابن الرومى في صاحبه أنى على  
النصرى

قولاً لظوط أبى على      بصريتنا الشاعر المعجم  
التمرد لمحكك لمفسى      الكاتب الحاسب المعلم  
الفيلسوف العظيم شأناً      العوائف النقائف المعزم  
الماهن الكماهن المعادى      فى نصر بئيس كل مسلم

وطر «السائحون» قديماً من قبيل السائحين حديثاً أن العالم الإسلامى مرق  
من لإسلام و بظعأب عيرة الإنسان على حورنه من قلوب لمسلمين ، ولكن  
العالم الإسلامى هد بعينه قد وقف بعد ذلك بحقبة قصيرة فى وحه  
العارة للصليبية وحاء بشعوبه من أقصى الشرق لرد العارة عثلها إلى قلب القارة  
الأوربية .

ولا مصمت على هؤلاء المسلمين في شرق القارة الأوروبية بصعدة قرون حيل إلى بقايا النصليسيين أنهم قد «نصحوا» للتبشير وقد أصبحوا على استعداد للبرول عن شريعتهم كم برلوا عن أحكام معاملاتهم في تدب الامتيازات «الأحسية» التي سموها من أجل ذلك «التنارلات» Capitulations أو التسليمات

ولكن هذه التنارلات معينها كانت بعد ذلك صيحة الثورة على السيطرة لأوربية ، حتى رالت الآن ورحمت عهد الدول الأوربية بدلاً من رجوع الإسلام بعده عن غيرها من معالنه وتقاليده

فإذا كان شيوع التقاليد الحديثة أحياناً باعثاً من نواحي الأسف ودليلاً من أدلة البهاون ، فمن حادة توجب على المسلمين ، ولا ريب ، أن يسدلو بهب م هو أوفق مهالآداب الإسلامية ، بل للآداب الإنسانية التي تحالفها التقاليد المعينة كما تحالف حقيقة الإسلام .

ولكن التشاؤم منها يريد على قدره لصالح إذا حيل إليهم أنه تشاؤم من مصير الدين كله ، ويريد بهاؤب المتربصين به أيضاً عن قدره لصالح بهم إذا اعتبروه «عرضاً سلاماً» ولم يفهموا من حقيقة قبل ذلك أنه عرض أحسى سرى من جانبهم ويوجب عليهم أن يتشاءموا منه لأنفسهم ولا يقصرو شؤمه على مستقبل الإسلام

\*\*\*

## الدَّعَوَاتُ الْإِسْلَامِيَّةُ وَالْإِسْلَامُ وَوَحْدَةُ الْجَمَاعَةِ<sup>(١)</sup>

عرضت صحيفة «التايمز» لأدبية لكتابين عن الإسلام في عدد واحد ، وهو العدد الصادر في الحادى عشر من شهر أغسطس الماضى (سنة ١٩٦١) .

والكتابين هما : كتاب «الدَّعَوَاتُ وَالصَّلَوَاتُ الْإِسْلَامِيَّةُ» Moslem Devotions لمؤلفه السيدة كوستانس بادويك ، وكتاب «لِلْإِسْلَامِ وَوَحْدَةِ الْجَمَاعَةِ» Islam and the Intepation of Society لمؤلفه الدكتور مونتهجورى وات ، أشهر المؤلفين عن للإسلاميات من امستشرقين الإنجليز فى الوقت الحاضر

سقسم كتاب الدعوات إلى ثلاثة أقسام : قسم الدعوات والصلوات المفروضة ، وقد جمع فيه المؤلف آيات القرآن الكريم ، ومن التحيات ودعوات الصلوة ، التى تنهى فى الصلوات الخمس وفى غيرها من صلوات يؤدونها المسلم أحياناً وإن لم تكن من أركان العبادة

والقسم الثانى . يشتمل على دعوات توافق دعوات الصلاة وتصف إليها من قبلها على سبيل التوسع والتفسير .

والقسم الثالث : تبسيحات مستقنة يتعبد بها المسلم على انفراد أو مع جماعة ، وأكثرها من دعوات الصوفية باللغة العربية ، وغير العربية

والمؤلفه تسمى هذه الأقسام الثلاثة بأسماء ترنصيتها وتصلها للدلالة على عرصتها ، فمما قسم داخل الصلاة المفروضة ، وقسم على عتبة الصلاة المفروضة ، وقسم خارج هذه الصلاة يحتره ولا بد من أن يكون من باب الفرائض ولا من باب السنة النبوية ، بل يحوز لكل مسلم أن يحتر له عذرتة وعماه ومساسته على حدة أو مع إخوان له فى الطريق وفى حلقات الأذكار الخاصة

(١) الأهرام سبتمبر ١٩٦١

وحملة ما احتارته المؤلفة مقبول عند جماعة المسلمين مع اختلاف المذاهب ، إلا طائفة منه يتمددى بها الشطط إلى القبول بخلول أو القول «بوحدة الوجود» على السطح الذى يرفضه أهل السنة بالإجماع ، وهو ذلك السطح الذى يؤمن أن يتطوح بأهله إلى تأليه الكون عطاهاه المادية وبواطنه الخفية ، وليس هذا القسم من الدعوات بالكثير وإن كان نافذ الكتاب يقول : إن دعواته أقرب إلى تسيحات المتصوفة منه إلى العبادات العامة أو العبادات المصروفة للصحة ، وهى على حد تعبيراتهم «العبادات الأرثوذكسية»

ويقول نافذ الصحيفة الأدبية : «إن بشر هذه الدعوات بين مسيحيين ، وهى مما يعلب عليه اللطف المتحجب ، حليقة أن تقرب أسباب التعاطف بين الديانات فيما هو أقرب الأمور إلى جوهرها جميعاً وهو العادة . وإن العادة الإسلامية بأسلوبها الصوفى على الخصوص لتحمل كثيراً من معانى المشاهدة والمشاركة بينها وبين العادة المسيحية»

ويعصى نافذ قتيلاً : «ولم يقصر المؤلفة اختيارها على هذا النوع يعنى نوع الدعوات الصوفية الخالصة بل هى تعرض لنا ما ينسب بشيء من الكثافة فى أرواد المتصوفين المعاصرين ، وأن هذين النمطين من أنماط الدعوات الصوفية ليظهران معاً بين المسلمين كما يظهران متصاحبين فى تقليد أكبر الكنائس العربية»

يقول : إن عيب هذا الكتاب وأمثاله أن مؤلفيه يحشرون فيها كل ما يقلونه عن الإسلام إلى صعيد واحد ، ولا يكتفون بالحجاب الخاص من متعللين بدعوى الحيدة واجتناب التحير لهذا الطريق أو ذاك فيما يسبونه إلى أنواع الديانة التى هم غرباء عنها متهمون بالعرض إذا شيعوا لطريق من أنواعها على غيره . ولولا هذا الخلط الدريع لكات هذه الدعوات عنواناً صريحاً بديانة الإسلاميه فى جوهرها ، وهو جوهر العادة كما قال نافذ الكتاب .

وعندما أت الإسلاميين التى تشر فى العرب تحتمل الترتيب والتقديم بالأولية من وجهة النظر الإسلامية ، فأحدها بالشر وأولها فى هذا الترتيب - أمثال هذه الدعوات والصناعات ، على شريطة السلامة من شوائب التصوف الكثيف كما وصفه نافذ الكتاب ، ومن شوائب التصوف المدحول الذى تطرق إلى الإسلام من بقايا الديانات الشرقية الخالية ومنه ذلك الإعراف فى دعوى الخول ودعوى «الإنهية الكونية» التى تسمى عند أصحابها بوحدة الوجود ، ولا يمكن المسلم أن يؤمن بالتجنى لإلهى هى آيات الكون بين السموات والأرضين ، فإنه مأمور بالبحث عن

هذه الآيات مصوص الكتاب ووصايا الأحاديث النبوية ، ولكنه ينكر أن يؤمن بالوثنية الكونية التي تصدق على من يؤله الكون كما تصدق على من يؤله حراً من أجزائه ، فهو في نزيهه للوجود الإلهي لا يرفض عقيدة من العقائد كما يرفض هذه «الوثنيات» .

فيما سلم كتاب الدعوات الإسلامية من أورد أدعاء الصوفية ، ومن لوثة الخنوع ، ووحدة الوجود فكل ما بقي منها فهو الدين الحق على أفصل ما يكون في عقل الإنسان وصميره ، وليس لدي من الأديان دعوات ، أو صلوات ترتقي إلى أفق من التنظيم أرفع من أمقها الذي ارتفعت إليه في الإسلام .

ففي الهرمية سمحات من التصوف الروحاني تعلو إلى الدروه بين الدعوات الدينية ، ولكنها تمارى التوحيد دئماً كلما أوغلت في أعماق العقيدة أو رجعت إلى الشبيه بالقوى الطبيعية وكثيراً ما ينتهي بها أسلوبها في التبريه إلى مساء كالعدم يتساوى فيه الوجود المطلق و «اللاوجود» على الإطلاق !

وفي غير الهرمية من الديانات الكسرى أوصاف للإله تهبط بخالق إلى مشابهة الخليقة وتنسب إليه أفعالاً كأفعال أرباب الديانات الأخرى ، وهذه جميعاً شوائب للإيمان بالربوبية يتره عنها الإسلام ولا نخفى على غير المسلمين بل يحسبها بعضهم غلواً في «الإبعاد بين الخلق والخالق» !

ودعوى الإسلام حقيقة أن تسكت لمتحصرين عليه عن يتهمونه بالمادية أو بالوقوف عند حدود «الحياة العملية» التي تتجافى بالمسلمين عن صفاء الروح وتلصقهم بنعيم الأرض حتى حين يتصورون نعيم السماء .

ولو أن كتاب الدعوات الإسلامية خلا من الدعوات المدحولة لكاد في الصيغة من الكتب التي يحق لها الشر بين لأوربيين من وجهة النظر الإسلامية ، وكب ستكثر على مؤلف غير مسلم أو مؤلفة غير مسلمة أن يعمل لإبرار الإسلام على هذه الصورة المثلى ، وحسه أنه يعف عن محاسنه فلا يطمسها .

\* \* \*

أما الكتاب الآخر عن الإسلام ووحدة الجماعة فقد كتبنا عنه منذ شهرين في مجلة مسر الإسلام ، وحلاصته في بصعة سطور أن الدعوة لمحمدية كانت دعوى تجديد بين أناس غير محافظين ، لأن كفار قريش كانوا قد تبدلوا في معيشتهم وحالهم من البداوة العرصة من قبلهم ولكن انصرف بين تجديدهم وتجديد الإسلام أن



الإسلام أعطى صميم الفرد «مثلاً أعلى» يستقيم عليه وجوده بين أساء فومه وسنى الإنسان عامة ، وأنه أعطى الجماعة الإسلامية كياناً يسمى «أمة» وجعل لها من ثمة قبله و حدة ومامة واحدة تثبت على تقلبات الأيام وصروف التاريخ

وأما يعود إلى الكتاب على هذه الصفحات لسعلق على تعديق الصحيفة الإنجليزية ، فإن ناقد التاريخ - على خلاف العادة فى هذه الصحيفة - قد ألقى على الكتب ومؤلفه إحناء يكاد أن يحذر إلى الإهانة والسديد ، ولعله بهذا المسلك العجيب يعرر الشبهة التى تساور أذهان قراء الصحيفة فى السنوات الأخيرة ، وهى شبهة الهوى المصروع بصعة المتطرف لاجتماعى الذى يفترون أحناء بالأسرائيليات وبرعات الهدم والقوصى فى الفن ولأدب وكأما استحق الدكتور موتخومرى ذلك الإحناء عليه من ناقد المتطرف لأن كتابه فى نظره قد تحسب من قبيل اغانة للإسلام ، وإن تكن فى نظر القارئ المسلم دون حق الإسلام فى التعظيم والتحقيق

وأكرر مآخذ الناقد على مؤلف الكتاب أنه سى «قائلة الدين» للمعارفات وهو يكتب عن الإسلام وعن النظم السياسية والاجتماعية فى تاريخه ، فاستعظم على الإسلام أن ينحو من الاتهام عصادمة انواق ومخالفة العفول ، كأنه كان يطالب المؤلف بتكرار انقال عن حمود نظام لاجتماعى فى الإسلام لأنه لم يقرر مبادئ لاجتماع اتى تتابع بعد قديم دعونه لتنعص بعضها بعضاً إلى هذا الزمن الأخير وليس تعليقاً على هذا التعليق إنكاراً لما ادعاه عن موقف الإسلام من المذاهب الاجتماعية التى ظهرت منذ قيامه ولا ترون تطهر إلى اليوم ، ولكننا نعتق عليه لقول إن الإسلام قد استوفى شرط الدين حقاً لأنه عقيدة تثبت على قلب المذهب لاجتماعية ولا ترون مع كل عقيدة منها ، وقد يرون نظام رأس المال ويرون عصره من النظم التى تعاديه أو توائمه ، ولكن الإسلام يفهم للمجتمع نظاماً قوياً لا يعنيه تبدل الأسماء حين يكفل له تحريم لاحتكار ويوح فيه ، بصاف العاملين ومعونة العاهرين عن العمل ، وأما نضم يمنع فيه كبر الذهب والمصبة وتداول الشروة بين الأعباء ، ويلتزم فيه المجتمع بأعباء الصعفاء والمحرورين فهو نظام إسلامى مشروع ، وهو كسب نظام أساسى متحدد ، والمسلمون الذين يطبقونه أساس مفروض فيهم أنهم حلائق عاقلة ، تطلق أئديها تدبير مصاحها ولا تسمى عليها قبل ولادنها بملاء ، لحروف والبيود ، لكن تطوع على السماع ، ولا تسمح من تلقى عليهم بموقف غير موقف الخصوع والانتاع .

\* \* \*

## أطلس العالم العربي والشرق الأوسط<sup>(١)</sup>

ظهر في العهد الأخير أطلس العالم العربي والشرق الأوسط بالدعة الإنجليزية ، وفيه نحو أربعين خريطة جغرافية للبلاد العربية وبلاد الشرق الأوسط على العموم ، مع بيان مرسوم لمواطني المسلمين في فارتى آسيا وأفريقية وبعض المواقع الأخرى من العالم المصطلح على تسميته بالعالم القديم .

واحتتم الأطلس بحث مطول عن تاريخ العرب والإسلام كتبه لأستاذ بكينجهام Beekingham أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة مشستر ، وقال في ذلكته ما خلاصته :

«ويمكن أن يقال عن يقين : إن هناك عوامل ثلاثة هامة كلها جديد بحيث يصح عقلاً أن تترقب منها بداية صفحة أخرى من صفحات الريح العربي ، وهذه العوامل الثلاثة هي الوطني وحرارة التصنيع وحرارة (لعمامة) أو حركة لانصلاق من الصبغة الدينية»

«وفي القرن التاسع عشر أحدثت الوطنية من الطراز الأوربي تعمل عملها بين أبناء البلاد العربية الذين تنقوا شيئاً من تشعيم على المسيح الأوربي ، وكان الكثيرون منهم ضباطاً عسكريين ، وبدأت الحركة على أقدامها في سورية ومصر . وقد أعقب سقوط الدولة العثمانية قيام عدد من الحكومات العربية بعد استقلالها حداً شديداً نظم الوصاية من قبل بريطانيا العظمى وربما وبحول دون تحديها الوطني تسارع البيوت المالكة ومافساتها ولم تثقروا روابط التعاون بين هذه الحكومات حتى في مواجهة الصهيونية ، ولا كد روال البيوت المالكة قاصياً على مفاعاتها ومافساتها ، ولكن لا خلاف في استطاعة الدعوات الوطنية أن تشير انشعور في البلاد وبخاصة بين أبناء حيل الحديد الذين يكاد هذا الشعور أن يكون بينهم أقوى من الشعور بالإسلام» .

(١) الأهر أكتوبر ١٩٦١

«أما حركة التصنيع فقد كانت صدمة لأرب بعد الاحتكاك بالعرب وبعد أن تحولت مواطن أبار النفط من بلاده فقيرة إلى بلاد من أعنى جهات العالم المعمور ، وقد أصبح الناس في الخربة العربية حيث بقيت أحوال المعيشة على ما كانت عليه قبل الإسلام حمهرة من (الرولتارية) الحديثة أي حمهرة اصصاع الفقراء في مركز التصنيع وقد اشتركت كل من حركة الوطنية وحركة التصنيع معاً في النمھيد بظهور الروح «العلمانية» التي أصعبت العقيدة الإسلامية صعباً لم تصب بمشبه في جميع أدوارها التاريخية ، ولو أن الوصية العربية على الإحسان تحج إلى مولاة الإسلام أكثر من جوحها إلى أبة عصبة أخرى ومن المؤلف اشائع أن ترى أناساً من العرب يدعون عن دبانهم مدافعة العيرة واخماسه مع همالهم لأداء فرائضها والقيام شعائرها ، وهي طاهرة لا فزها مقصوره على الإسلام .

لوز طائفة من الأفكار ذات الأثر المعال في العالم العربي لھی اليوم ولیده خصرة الأوریه ، فإن فكرة الدولة الوطنية ذات السيادة كانت هی اشل لأعلى الذي توحاه الرعماء الوطنیون عند ثورتهم على السیطرة الأوریه وقد أفدحوا فی تحقیق استقلالهم السیاسی باتباع الأسالیب الإداریه وأسالیب التصمیم والدعاية ، ومساورات السیاسه لحدیثه ، وهم یعنفون أنهم إنما یحقوقون لاستقلال الاقصادی باتباع الأسالیب العبه والصناعیه الحدیثه وأن محولهم أن یهضوا بذلت كله دون مساس بتقالیدهم العربیه ولإسلامه لحدیره أن یکسبهم حریم الأمم الأخری كما یکسبهم عطفها . . .»

(نرى كما يرى القارئ فيما بحسب - أن صاحب هذه لدرسة یتحرى البحث لعلمی فی ملاحظاته على تاریخ العرب ولإسلام فی العصر لحدیث ، وأن الخطأ إنما عرص له من جانب مذهب لتفكير ولم یعرض له من جانب سوء النیه

فهو على عادة الكثيرين من المؤرخين المتأخرين بخلط عند الكلام على حركات التاريخ العربی بین الوطنیه والقومیة ، وهما على اقتراب لشنه بیهم محلان بالشأة ولطیعة ، وقد یقال فی التفرقة بیهم على وجه السرعة أن الوصیه أقرب إلى لسیاسة والاحتماع وأن القومیة أقرب إلى العصر والسلاله ، وأن الوطنیه بمعناها فی مصطلح لعلوم السیاسه طاهره متأخره بشأت فی العرب

بعد انحلال لدولة مقدسة ودمصال الحكومات عن سلطان الكنيسة ، مع ضعف انتلاء أصحاب الإقطاع وتقرير الحقوق للشعوب بجميع صفاتها أما القومية فهي بين العرب على الخصوص سديقة لتكوين الشعوب على لوضع الحديث ومنها القومية التي جمعت قبائل العرب في وقعة دى قار لمحاربة فارس ، ومنها كذلك قومية القبائل التي ساعدت على قومها العرب المسلمين عند فتح فلسطين وفتح مصر ، إذ كان عمرو بن العاص ينقل بحيشه من حدود فلسطين إلى اسرلة إلى لفيوم ولا يهتم بحماية ظهره من حدود الروم ، اعتماداً على معونة القبائل العربية فى تلك الأقاليم .

ولا يزال سم الأمة باللغة العربية دليلاً على صحة فهم هذه الكلمة ورحانها بالاصطلاح العلمى على الكلمة لأوربية التي تجعل الوطنية علاقة اشتراك فى أرض الموعد ، فإن لأمة بلعة الصدد تجعل الوصية مرهوبة بوحدة الوجهة والأمانة ، ولا تعلقها بموطن الميلاد كما تتعلق به عند لأوربيين فى اصطلاحها الحديث .

وعلى هذا الاعتبار نخطئ المؤرخ الذى يتوهم أن الشعور القومى بين العرب طارئ جديد بحشى منه على قوة العقيدة الدينية ، فإنه كان على أقوى ما يكون فى صدر الإسلام بعد فتوح الإسلام الأولى ، ومن أجل هذا قل إن الشعوب بين شعوب الإسلام غير العربية كست بمثابة رد الفعل لقيام الدولة أولاً على العصر العربى دون غيره من عناصر الدولة المتعددة



والوهم فى مسألة العلمانية « أظهر من هذا الوهم فى مسألة الشعور القومى أو الشعور القومى ، إذا كان مقصود العلمانية ما يقابل عندهم « الطقوس الكهنوتية » أو مراسم السلطة التي يحرصها وحدهم الدين على الدولة .

فالإسلام لم يعرف قط شيئاً من قبيل الطقوس الكهنوتية منذ قيام النبى ﷺ بالأمر وقام حصائه به من بعده . ولم يرقص خلفاء على العباس إدارة لبرنية فى دولتهم على حساب لسة سيروية ، بل لم يرقصوا بالاحتفال بالسيرور فى موسمه بألوف عند الأقدمين ، ولم يتسع أحد من خلفاء أو الأمراء لمسلمين طقوساً كهنوتية فى شئون لولاية أو فى شئون المعيشة العامة ، بل كانت أرباؤهم وتقابلهم على سنة الأمم فى عهودهم ، فارسية وتركبه ، ومتشبهة بالفرس

والترك في أريثها وثقاليتها ، وقد كان حلفاء الألمان قدوة للأوربيين في لعيشه «العمانية» ، ومنهم تعلم هؤلاء لاستغلال عن طغوس الكهوت وشعائر السلطة ، لفروضة من جانب رجل الدين ، وليس الكسوة ذات «الحكمة والسطلون» أول كسوه عرسة قبلها المسلمون بعد اتصالهم بشعوب العالم من المشرق إلى المغرب ، وليس في العصر الحاضر «عمانية» لم يسبق لها مثيلات كثيرة منذ قيام الدعوة الحميدية دون أن يصيب العقيدة بالصعف أو تمس الولاء للدين في قلوب أبنائه ، ولعل الصليبيين في أشد أيام العنصرية الدينية بين العسكريين قد تعلموا من «عمانية» المسلمين أصعاف ما تعلمه المسلمون من عمانية العرب هي رسالتهم ، وهم يحدث قط أن الإسلام كان يوماً ما أشد إحساساً بوجوده مما كان أيام الحروب الصليبية ، ولا يستثنى من ذلك جماعة المسلمين الذين حصعوا لدولة بيت المقدس نحو قرن من الزمان ، وهم يضمع في إسلامهم أحد من حكامهم العثمانيين ولا الكهوتيين .

\* \* \*

ولاشك أن الأساد نكسحهم كان يكتب كلامه عن التصنيع وفي ربه مشور ماركس وأجلر إلى طبقة العمال بين جميع الطبقات ، وهو ذلك المشور لدى جعل عهد «تصنيع» في النهاية حتماً لعهود الوطنية والدين ، وحين إلى كاتيه أن طلبة العمال نرى سموها بالرونتارية مارقة جميعاً من الدين ومن كل إيمان بالله والرسول بعد شيوع التصنيع في أم الحضارة الأوربية

ولكن هذه السوء الحادة سم تصدق بين عمال العرب نفسه إلا بمقدار محدود كـ ، من الحائر أن يتصرف عن الدين في فطر من الأفطار لم يسمع بالصناعة انعصريه ولم يحضض قط لنظام لتصنيع الحديد ، فإن اسديين من عمال لبلاد الأوربية والأمريكية يزدون كثيراً على المحرفين منهم عن الدين ، وعدد لكتب الدينية التي تنتشر بينهم برمد على أصعاف أمثابها قبل عهد التصنيع ، وليس عند المؤرخين الاقتصاديين حجة على أن العقائد «الصورية» طهرة خاصة برمايا هذا دون الأرمية الحالية ، فلا ترون أوصاف المجتمع الأوربي في القصص قبل مائتي سنة تمثل ما «لدين» في تلك الأيام على مثل من «لعادات الصورية» لا تختلف عنه عادات العصر كثيراً بين جماعات المتدينين المحسوس في زمرة استحلين من فرائض الدين الصحيح .

ويعمم لأستد بكجهم - ولا رب - أن الحركة القباية في بلادنا الشرقية لم تكن ويده التصنيع الحديث ؛ لأن نقانات الصناع وأصحاب الحرف شاعت في القاهرة على عهد الفاطميين شيوعها اليوم في لندن وباريس وواشنطن ، وكانت هذه النقانات قوام الموكب الدينية التي تحف بقدها إلى العصر الحاضر ، فلم ينقطع ما بينها وبين المعالم الدينية لارتباطها بقاليد الحرفة ، واعتناقها عن الطوائف الأخرى من أتباع رجال الطرق ورواد المساجد والأضرحة ، بل كان هؤلاء جميعاً « موكباً » واحداً في كل حتف عام ، يتسم بسمات العادة ، أو يقوم على ذكرى من الذكريات الدينية



إن العوامل الثلاثة التي أحصاها الأستاذ بكجهم بها حطرها الذي لا يحفل ولا يهمل ولكنها على حده أشكالها وأسمائها ليست بالعورصر الخدبة كل الحده في تاريخ الإسلام ، فقد سبق لها في هذا التاريخ مثيلات كثيرات ترددت عليه قصة بعد قصة ، وتركت آثارها حساً أو ذهبت بعير أثر يذكر ، وسيمر الإسلام بعوامل اليوم كما مر بمثيلاتها قبل اليوم بسلام



## خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ

محمد رسول الله وخاتم النبيين

عقيدة يصدقها المسلم تصديقه بعقائد الدين ، وبكيفية فهمها كذلك فهم المرء لحقائق العلمية والمصايا المنطقية ، لأنه إذا فهم النبوة بصفاتها المقررة في الإسلام علم أنها نبوة نحتم بها السنوات وتفتتح بها في التاريخ الإنساني رسالة الرشد والصميم والإلهام .

إن حتم السنوات خاصة محمدية ، ولكنها خاصة لا يستأثر بها محمد ﷺ لنفسه . لأن الخاصة التي يقتضيها ترويج الأمم جميعاً نعم كل مؤمن بالدين وكل مجيب للدعوة ولا تحصى صاحب الدعوة في حياته ولا بعد مماته .

وقد يفهم المسلم ذلك بعير مشقة ، ولكنه على وضوحه للمؤمن بالرسالة المحمدية يساق عند غيرهم من أشدبس ومكرى الأديان مساق الغربة ، ويسىء بعضهم فهمه ، كما يسىء أدبه ، فيزعم أنها أثره لصاحب الدعوة يعلق بها أبواب النبوة على سواء كما يعلق صاحب السطوة أبواب الحكمة على من يبيه من غير أهله أو من يصطفيه .

ولا حاجة في هذا المقام إلى مناقشة المكربين في أمر الإيمان بحتم النبوة ولا سفعها في زمن من الأزمان ، فلا فرق عندهم بين الزمن الذي يبدؤون بإنكار كل نبوة فاتحة قبل أن يذكروها حادثة ، ولا يقولون بضرورة النبوة ولا سفعها في زمن من الأزمان ، فلا فرق عندهم بين الزمن الذي يستجاب فيه للأنبياء والزمن الذي لا يستجابون فيه ، وكلاهما عندهم زمن يستمتع فيه لشيء لا يحوز الإصغاء إليه .

لكن المتدينين الذين يستعربون ختام النبوة إنما يستعربون في الواقع أمراً ينساق إليه المصدقون بالنبوات سواء فطمو إليه عن فهم وروية أو أحذوه مأخذ العادة التي لا تحتاج من معتدها إلى التعليل فقد أسس بخام النبوة كل من آمنوا بنبوات التوراة ، وقد ختم بعض هؤلاء دعوات الدين جميعاً بما دانت به سلالة واحدة لا يوحى الله إلى غيرها ولم يوح إلى أحد من قبلها فيما اعتقدوه ويعتقدونه حتى اليوم .

وليس إيمان المسلم بحتم السنين على نحو من هذه العراقة في التصديق ولا في التفكير لأن السوء التي حتمت السوات هي عقيدة لمسلم هي الدعوة التي تدوم مدى الزمن ، لأنها تكل العقيدة إلى العقل وتقيم العقيدة على الإيمان برب واحد هو رب العالمين

كأن الأمم قبل البعثة الحمدية تفهم أن السوء استطاع للغيث وكشف للأسرار واغشأ ، يستعصمون بها على رد الضائع وإعادة المسروق أو الدلالة عليه ، وتستحرونها عن طوابع الخير والشر ومقادير السعد والنحس وكان من تلك الأمم من يحسب أن السوء وساطة بين السعد وعياده يلتفتع وتسليم القرابين

وكانوا يظنون وساطة الأنبياء دفعاً للحوادث التي يستحقونها أو تنزل بهم لأنها قصاء مرم بتوقعه الصالحون العارفون ويسألون المعبود في رفعه قس برؤيه فحدث نبوة الإسلام بتجديد نطق لم تسبق له سابقة في الدعوات الدينية ، ولا حاجة بعده إلى حديد ولا استطاعة فيه للتجديد ، لأنه يحاطب في الإنسان صفته الباقية وخاصته للملازمة ، وهي خاصة النفس الباطنة بين الأحياء ، وخاصة الصمير المسئول الذي يحمل سعة ولا تعيه عنها شناعة ولا كفارة من سوءه

إنها سوء فهم وهداية وليست نبوة استطاع وتنجيم ، وإنما سوء هداية بالتأمل واسطر والتفكير ونست سوء حوارق وأهول تروع السصر والصيرة وتروع الصمير بالخوف والرهبة حيث يعيها قبول الإقناع

بأن سوء مباشرة مدبرة لا تمتد لهم بقعاً ولا صراً ولا تعمل لهم عملاً غير ما يعملونه لأنفسهم بمشيئتهم ، إذا اهتموا بهداية العقل المندير والصمير السليم

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبُ لَا سْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسِيَ السُّوءُ إِنَّ أَنَا لَدَيَّرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ .

نعم ، ولا إعراء ولا مسدومة على قربان أو حرء بن الأحد والعطاء ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبُ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَن يُرْحَنِي إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسُوِي الْأَعْمَى وَلُبْصِيرٌ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾



وقد جاءت سمعة معجزة ميسرة لصاحب هذه السورة يوم مات ابنه إبراهيم وكسفت الشمس فطر الناس فيها كسفت لموته وأبى أنسى الصدق أن يسكت عليها فتكلم ليعلمهم (إن الشمس والقمر آيتان لا تحسمان لموت أحد ولا لحياته)

وخلق يدوى العقب ، وأولى الأسباب ، أن يصدقوا هذا النبى حين يقول لهم : إن المعجزة لا تنفع من لا يتمتع بعقله وصميره ﴿ ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظنوا فيه غرورا ﴾ لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحر قوم نسحو زور ﴿ .

فإذ جاء النبى بهذه الرسالة التى تكلل الإنسان إلى «حاصه إنسانية» لا تفرقه وتعطيه السعة من شهوده فيما يره حوله ولا يعيب عن حسه وفكره ، فأين تنتهى هذه الرسالة؟ وماذا تعمل الرسالة التى تأتى بعدها لتسحقها وتحققها؟ إنها لا تعمل إلا أن تسح العقل أو تعود به كرة أخرى إلى القرون الأولى ، ويبست هذه ولا تلت بدعوة يحتاج إليها نسان من الراشدين بعد أن وكل إلى هدايه ، فمن لم يكن من الراشدين يحتاجه إلى المعصم الذى يذله على ما فاتته من هداية السورة ألزم من حاجته إلى نبى حديد معيد لما تقدمه ، كأنه سقط واحد التعميم

ولقد تقدمت سورة الإسلام دعوت كثيرة من أكبر الدعوات شأنًا فى تاريخ العقيدة ، ولكنك لو عرستها على مؤرخ نظر فى دور التاريخ كائنًا من كان معقده فى الدين لم يستطع أن يحتتم دور السورة فى تاريخ الإنسانية بدعوة من تلك الدعوات على جلالة شأنها وبعد أثرها فى العصور اللاحقة بعصرها ، لأنها حمية قد بدأت وانتهت فى أن توحد فى أذهان الناس فكرة الإنسانية العامة وفكرة الإنسان المستنور المحاسب على أمانة العقل والصمير

عسوت نبى إسرائيل لم ترم معصورة على سلالة بشرية واحدة تتعزل بحاصرها ووعود مستعملها عن سائر الأمم وعسى - عليه السلام - قد نقل الرسالة نقلة واسعة حين أدخل أبناء إبراهيم بالروح فى عديد أسائه باخسد ولكنه أدى رسالته وبقي الإنسان بعده محتاجًا أشد الحاجة إلى رسالة تحلصه من الاعتماد على غيره فى النجاة من أوزره والتكفير عن سيئاته والنهوض بتبعات صلاحه وتربية روحه ، ولن تفرغ أمانة النبوة فى تاريخ الإنسانية قبل أن توحد للإنسانية فكرة عامة هى نفوس أسائها ، ولن تختتم السموات قبل أن يوحد الإنسان الذى يحاطب بحطاب العقل ويحاسب بحسابه ويحمل تبعاته على عاتقه ويشترك على سوء بيه وبين إخوته من البشر فى عبادة إله واحد هو رب العالمين أجمعين ، وليس بالرب الذى

مخلق نعمه لسلاله و حدة من حلمه أو لعشيرة واحدة يدركها الخلاص بعصل لم تفضله ، وحساب لم تضعه فى موارسها بعمل يمينها .

فلما جاءت سنة الإسلام صح فى حكم العقل أن تختتم بها السنة لأنها حاصرة فى كل وقت يحصره الإنسان العاقل المسنول وتحصره آيات الله لقوم يعقون

﴿إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاحْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ .

ونقول : إن حتام السنة بعد الدعوة لمحمدية - قد صح فى حكم العقل ولما أن نقول كذلك : به قد صح فى حكم الواقع والتاريخ ، فإن العالم الإنسى الذى تعاقت فيه السموات قبل محمد ﷺ لم تظهر فيه سنة مسموعة بعده ، ولم يظهر فيه غير أدعياء النبوة الذين ذهبوا ولم يستمع إليهم أحد فى حياتهم أو بعد موتهم ، ولم يظهر فيه من أولئك الأدعياء أنفسهم من يسند إلى رسالته لا بحبيها إلى السنة الإسلامية بقوا عليها وأركانها

\*\*\*

إن حتام محمد للسموات عقيدة يصدقها المسلم بوحي إيمانه ، ولكنها كذلك حقيقة علمية يهمها فكره وشهد دلائلها فى العصور العارة كما يشهدا فى عصره مؤتمراً بأوامر دينه .

وبه لطبت بنكثير من أضاء العصر الحاضر المحورين معلومهم ومخترعائهم أن يهتفوا قائلين ( نحن فى عصر العلم ، نحن فى عصر العقل ، نحن فى عصر الحقائق الواقعة ، نحن فى عصر آيات الطبيعة ) .

فبهتفوا بذلك ما طاب لهم أن يهتفوا ، وليذكروه ويعيدوه تحدياً لما شاءوا من السموات إلا السنة التى حتمت جميع السموات ؛ لأنها هى قالت للناس قبل أربعة عشر قرناً ما يقودونه الآن ، وهى أوحى إليهم أنهم يعيشون بعد اليوم بهداية بصائرهم ، وما يصرونه من آيات تلك الهداية فى مشاهد الطبيعة ، وأسرار الخلق ، وبرهين العيان .

وكن أعجوبة من أعجيب العلم فهى حرة من معجزات هذا الدين ، الذى جاء به خاتم النبیین : « وأنصر فسوف يصرون »

\*\*\*

## دِيَانَات الْعَالَم السَّبْع الْعُظْمَى (١)

أخرى يهد الكتاب أن يسمى معرضاً دِيناً على الورق ، لأنه يجمع أكثر من خمسين ومائتي صورة فية لماسك الأديان في أنحاء العالم ، حيث يقيم أتناع الديانات السبع المشهورة وهي لسهامية والسودية ديات أهل الهند ، والطاوية والكفوشية دياتنا أهل الصين ، وإسلام والمسيحية واليهودية .

ألف الكتاب لمحلة الحياة (Life) المصورة طائفة من المتخصصين لمباحث الدسية تناول كل منهم انبحث في دينة يدرسها ويطلع على مراحعها ، واستغرقت بحوثهم أكثر من ستين ريدت عيها سفيحات وتصحيحات استغرقت صعة أشهر ، ثم طهر الكتاب أخيراً على صورة طيه في شكله وموضوعه وحاءت قصوره التي كتبت عن الإسلام على أطيب ما ينتظر من انباحث عير المسلم حيث يتصدى لكتابه عن هذا الدين وأهله في معرك الخصومات السياسية والمذهبية التي تثير العداء له في كثير من علاقاته بالدول والشعوب .

وأصيب ما في تلك العصور من هذه النوصية أن كتابها يورد لاعتراضات الشائعة عن الدين لإسلامي ويرد عليها أحياناً بما ينقصها ويحلو حقيقتها ، ويوفق إلى الرأي انصواب في معظم أقواله .

بدأ بقوله عن النبي ﷺ ، إنه لا يسمى نفسه ملخص ولا يقول أنه المسيح المنتظر ، ولكمه بشر يبلغ الناس رسالته لإلهية ، وليس في شاة هذ الدين عموم ولا محال للحط بالطوب ، لأنه ابثق في صحوة الماريح الساطعة وانتشر بين أم الأرض بقوة الإعصار ، وسر انتشاره ودوامه أنه عقيدة سهلة وصحة منمكنة فيما تشته للناس من أصول الإيمان ، وهو أكثر من دبر شعائر وعادات ، لأنه إلى جانب ذلك أدب حياة وشريعته سلوك تنظيم معيشة لإنسان على مثل لا نظير له في الحضارة العربية

(١) لأهر نوفمبر ١٩٦٠

ومن أسباب قوة هذا الدين أنه عند أنواعه الكلمة الأخيرة من وحي الله ، وهو يتنقل الديانات الكتابية التي سبقتها ولكنه يعبر أنواعها احتشاعاً صحيحة حالصه من الخوشى والأوشاب فى آيات القرآن ، ولم يشئ القرآن كهانة ولا مراسم هيكلية تلجئ المسلم إلى وساطة رمزية من الأحياء والرؤساء ، لأن هرائصه المعروفة الوضحة بما يؤديه كل مسلم سه وبين الله تعبير حاحة إلى ابوسطاء .

يقول كاتب فصول الإسلام فى الكتاب «إن بعض عادات العرب فى البلاد الإسلامية نجست من دلائل الرحعية عند العربيين ، ولكن النبى نفسه رفع شأن برأة ولم تكن فيودها الثقيلة بما يفرصه القرآن ، وإما حاءت من توليدات بعض متأودين فى عصور البكسة ولاحمود ، وقد نكر الإسلام وأد السباب ووضع الحدود لتعدد الروحانيات بعد أن كان مستباحاً فى أيام الجاهلية يعبر حدود .

وتكلم المؤلف عن بخل الصوفية فأشار إلى بعض بحبها التى يعترض عليها أهل السنة ثم قال «إن الصوفية انتعشت واستقامت بهداية الأفكار التى بثها الإمام العراقي - وهو عسقرى ديسى وبند بإحدى قرى فارس سنة ١٠٥٨ ميلادية ويحسه اسلمون اليوم فى عداد الأولياء القديسين ، ويسع عدد المتصوفة بين مسلمين نحو ثلاثة فى المائة يتمون إلى طرق متعددة مختلفة الدرجات .

ثم وصف الكاتب أذكار بعض السراويش المتسبين إلى الصوفية بصفتها منكرة ، يشاركه فى إنكارها جملة المسلمين ، ولكنه عاد بأكثر التقاليد الصوفية إلى العادات المستعارة من غير المسلمين .

واستطرد إلى التشهير باديى الإسلامى من غير المسلمين فقال ' «إن الإسلام ، إلى زمن متأخر ، لم يكن له جماعات منظمة للتشهير ، لأن هدا الدين الذى جعل المسلم فى عسى عن الوساطة بينه وبين ربه قد جعله كذلك داعياً إلى ديه حيث كان وإن لم تكن له جماعة ينتمى إليها ويتفقد نظامها لشر الدعوة ، إلا أن الدلائل تشير إلى عبادة حديثة من جانب المسلمين بأنظمة التشهير المسيحية ، وقد أصبح الجامع الأهر - ذلك المعقل الثقافى الذى صمد للتيارات العربية وحال بين مؤثراتها وبين العالم الإسلامى - يشط الآن لتدريب فئة من نائه كل سنة للعمل فى هذا الميدان ولاحت علامات لشط بهذا العمل من

حائب لنحل المتشعبة في الإسلام ومنها وحدة الأحمدية لى تسعث الرس  
إلى أوربة والشرق الأقصى وأنظار أفريقية الشرقية» .

قال الكاتب «إن في القدرة لأفريقية اليوم نحو ستين مليون مسلم من نيف  
ومائتي مليون عدة أبناء القدرة وإذا تراحم المبشرون من اسلمين والمسيحيين  
كسب التشير الإسلامي عشرة كما كسب التشير المسيحي واحدًا من الوثنيين ،  
وشيخ بين سكان أفريقية العربية - ولاسيما بيجيريا - أن الاسلام دين الرجل  
الأسود ، وأن لمسيحة دين الرجل الأبيض ، وأحذر من ذلك بالالتفات أن اسلمين  
في الهند وباكستان حيث تزد عدتهم على عدة إخوانهم في كل مكان أحر قد  
تحول أكثرهم عن العقيدة التي تقصى سد بعض الطوائف إلى العقيدة التي تسط  
سة لمساواة بين جميع المؤمنين ، وهناك علامات شتى على أن الاسلام يتحرك من  
سناته الطويل ، فهي كل أمة إسلامية دعوة إلى إحياء لإسلام سياسياً وروحياً  
وثقافياً بمختلف الأساليب ، وقد أعيد بناء مئات من المساجد في البلاد التركية بعد  
مصدرة أتاتورك لتعاليم الدينية ، وردت نسبة الطلبة الدينيين في إيران بمقدار  
أربعين في المئة بين سنة ١٩٥١ وسنة ١٩٥٥ ، وتراءى في أفريقية الشمالية  
علامات من هذا النضيل ، ولا يحلو بلد بين بلاد المسلمين اليوم من شعور النقي من  
حرارة الاحتكاك الذي تم بالحضارة العربية وهذا كان المسلمون يعانون إحصارات  
مخالفة بهه ، لاكتراث حياً وبالمرور حياً وبالانطواء في حملة لأحيان ، أما في  
الأونة حاصره فالإسلام محهد في الوفق فيه وبين مسنحدث الحصار ، ولا  
يحمد على القديم المفقود غير العدد البرر من المعصين المشتهين بالثقاليذ المهجورة ،  
وبين الموقرين طائفة ثالثة ترى أب إحياء لإسلام من د حله عمل مستطاع للوقوف  
حيال العرب موقف الأمد ، الأكفاء ، متعاونين على سرعة التعاون والاستقلال» .

وعرض المؤلف بعد ذلك للدور المستطر من الإسلام بين الديمقراطية والشيوعية ،  
لأنه وسط في موقع ووسط في العقيدة ووسط في المصلحة بين المعسكرين ، ثم  
يؤكد فيم الفوارق بين مبادئ الثقافة الإسلامية ومبادئ الديمقراطية ، ولكنه يحلط  
في تقديره فيحيل إليه أب المسلم غير بعيد من الشيوعية إذ عر عليه أب يحد في  
الديمقراطية رصاه

ويحتتم كمنته عن الدعوة الإسلامية بقوة «لأن رب ن الوحيه التي  
سيستجه إليها لإسلام سيكون لها أثرها العميق في مصير العالم لإسائي

وتتوقف هذه الوجهة على مقدار نجاح المسلمين في التوفيق بين عقيدتهم ومقتضيات الرمن والتاريخ ، ومن ثم يدرك المسلمون أن قصيتهم العظمى هي قضية العقيدة الروحانية ويذكرون كلمة نبي حين قال لأصحابه بعد مرجعهم من إحدى انقائع : إهم عادرا من الجهد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ، وهو جهاد الصمير .

وبلى هذا لفصل عن الدعوة صفحات من ترجمة انقرون الكرم ، يخصصها لسفل لنسور و لأبات التي تعرف القراء الأوربيين بأداب الكسب ووصاياها عميرة له بين وصايا الأديان الكتابة ، وعلب عبه في جملة ما يقله أن يسحو بالمقارنة بينها جميعا معلى الإنباف ولا يعتمد فيها أن ينر الشوهة بالإبهاء بالمفامز والشبهات

إلا أبا سرقب كثيرا وعلو في الثقة بهم القوم لحنائق هذا الدس إذا ترقسا من مصفيعهم أن يصححو مسلمين متحرجين في سزبه العقائد الإسلامية عن المطان التي قد نحصى على أناس من المقندين بين أناع هذا الدين ، فلا يزال هذا المؤلف وعيره من يحسنون القول في لإسلام إحمالاً يتوهمون أن النعيم الموعود لا يعدو أن يكون ألوأ من لذات اأحسن ومتسعه من متع بظعام والشراب ، ثم يتوهمون أن الإسلام قد انصرد بنصوب لنعيم على هذه الصورة بين الأديان الكتابة ، ويتناسون أوصاف الكتب الأخرى من القرون الأولى إلى ما بعد القرون الوسطى لكل متع موعود في عالم الحراء والثوب ، وقد يأنون أن يفهمو أن الإجماع معقد بين العارفين بالكتب على اختلاف الصفات والوصوفات بين ادسا والأخرة ، ولكنهم سواء وهموا بانصهم دون معنى لتسبه الواحب ، لأنهم يحهنون أو لأنهم يستريحون إلى المعنى لقرب المذكور ، قد بلعوا طافتهم من إحسان النية وإحسان المقال .

\* \* \*

## كَلَامٌ عَنْ الْإِسْلَامِ وَالْعَرَبِ

فِي كِتَابَيْنِ حَدِيثَيْنِ (١)

كتابان من المطبوعات الحديثة قرأت فيهما كلامًا عن الإسلام والعرب ، وعن تقدير الحضارة العربية .

فتحت أحدهما فوجدت في صدره فصلاً مطولاً بعنوان «إسلام القرن العشرين» فحضرني أن المؤلف يتكلم عن تطور إسلام في هذا القرن ويشرح آراء المحدثين المصلحين من أئمنته أو عادات المسلمين المعاصرين مع المصانة بينها وبين عادات المسلمين في القرون التي سبقت القرن العشرين .

ولكنني لم أقرأ من الفصل بضعة أسطر حتى ظهر لي أن المؤلف إنما يتكلم عن الشيوعية بلاركسية ويحذر العالم العربي من أخطارها لأنها - كما يقول - عروة جديدة تهدده في كيانها كما تهدده الإسلام في القرن السابع للميلاد .

وإنه لتصميم من المؤلف أوضح وأصح من الصريح ، لأنه يعلن رأيه ورأى قرائه المقصودين في موقفهم من الإسلام ، ويبيّن له أن هناك قومًا من بني جلدته يحسون أن اسم الإسلام بدير بالخطر يكفى أن يذكر لهم ليذكروا أنهم مهددون به يوقظ النائم ويمنع العاقل ولا يحتاج بعده إلى بدير .

وفرغت من الفصل فدم أحد فيه وجهًا من وجوه المشابهة غير أن الإسلام دعوة والشيوعية دعوة ، أو هي كما سماها (دين ديبوى) يقوم على عقيدة (إيمانية) تحرى مع الشعور ولا تحرى مع المنطق والمعرفة البرهانية وهذا كل ما هنالك من مشابهة بين الديوين .

وقد رعم المؤلف أن حطة سنائين في (تشجيع) القارة الآسيوية أو إكراهها على قبول الشيوعية ليست إلا تكرارًا لخطط القادة الآسيويين أمثال محمود العربوى وصعزل بك وألب أرسلان ، وأن هذه لخطط حميعًا تعتمد على سلاح الدولة

(١) الأهر يناير ١٩٦١

وسلاح العقيدة وتتحد العقيدة أحياناً وسبلة لقلب الدولة كما تتخذ الدولة أحياناً وسيله لقلب العقيدة .

لكن ما هو وجه الشبه بين دعوة تصحيح المجتمع أو تعالج أدواءه وبين دعوة تهديم المجتمع ولا تنمى منه بقية تربط بين حاضره وماضيه ؟ .

وما هو وجه الشبه بين دعوة تحصى عدد الصحاب من أعدائها ومقاوميتها فلا يريد على بصعة ألوف في مائة سنة ، وبين دعوة تحصى عدد صحابها في موطئها وحده فيريد على عشرين مليوناً في بضع سنوت ؟ .

وما وجه الشبه بين الصديق والعارف ، وبين سيير ومطالب ؟

إن كل شيء في الإسلام والشيوعية يختلف أشد الاختلاف غير اسم الدعوة أو اسم العقيدة ، إن صح وصف المؤلف للشيوعية بأنها عقيدة دنيوية

ولكن الشبه المهم الذي جمعه المؤلف تحت عنوان فصحه ذي هو في «السدير» للصبح باسم الدعوتين ، وكفى به غثوثاً بمعنى عند قرائه المقصودين ، وعند من يحس ، عن صفحات ومجلات

\*\*\*

هذا الكتاب سمى «الشيوعية من وجهة العلوم الاجتماعية والنفسية» ، واسم مؤلفه الأمريكى جون مويروت ، ويقول مقرطوه : «به سوف تألف النضريرمى بنظره إلى بعيد .»

أما الكتاب الآخر فاسمه «العرب» واسم مؤلفه «هاري ألبس» وهو كاتب صحفى فصحى فى الشرق الأوسط حقبة غير قصيرة مشتغلاً بمرقبة لأحوال ومراسلة الصحف العلمية ، وكتابه أشبه بكتب الدراسة فيما يعرض له من التاريخ القديم ، وأشبه مقالات السياسة فيما انتهى إليه فى حتام فصله الأخير

بدأ المؤلف تاريخه الموجز من العصور السابقة للأدب الكتابية ، ويعتبر تاريخ العرب أصلاً لتوزيع الخصارات التى عمرت طويلاً بين الهيرين وبين البحرين ، أى البحر الأحمر وبحر الروم .

ثم يوجز الكلام عن دعوة الإسلام فيقول ، بعد حليط من احقائق والأوهام . إن سنة ٧٣٢م وافقت ذكرى وفاة النبي ﷺ فمدت بدعوته أقصى العرب وكادت أن



تصل إلى أقصى المشرق ، ولم يكن السيف وحده قوام الدعوة بل كان كثير من أبناء  
البلاد المفتوحة يقبلون على الإسلام لتعصيتهم إياه على عقائدهم ، أو لأن الدخول  
في الإسلام يرفع عنهم الضرائب التي تجبى من غير المسلمين ، ولكن لا يفهم من  
ذلك أن المسلمين الذين دخلوا بهم في الإسلام فراراً من الضريبة كانت عقيدتهم  
الإسلامية هيئة عليهم ، بل كان هؤلاء المسلمون ينزودون عن دينهم مستميتين  
مستشهدين كلما هوجمت ديارهم بعد سقوط «الإمبراطورية الإسلامية» حوالى  
القرن الثالث عشر للميلاد .

قال : «وان العرب الذين كانوا قبل الإسلام بدوا جفاة جلوبا إلى دولتهم الواسعة  
هذيتير حيلتين : إحداهما الديانة التي بشر بها محمد ﷺ ، والأخرى اللغة  
العربية ، فأصبح اللسان العربى واسطة للمعاملة كما أصبح واسطة التعقيم والتثقيف ،  
فرااد عدد الكتب التي كانت تظهر باللغة العربية بين القرن التاسع والقرن الثاني عشر  
للميلاد على حملة الكتب التي ظهرت يومئذ بجميع اللغات الأخرى . » .

ولم يخالف المؤلف ديدن رملائه في حصتين ملازميتين لأكثر الكاتنين عن  
الإسلام والعرب من الأوربيين ، فإنه ليستريح إلى الإقلال من عدد المتكلمين باللغة  
العربية فحصىهم نحو خمسين مليوناً وهو يستطيع أن يعلم عبر حاجة إلى السحت  
التويل أن خمسين مليوناً يتكلمون العربية يعيشون في أفريقية الشمالية وحدها دون  
سائر الأمم الأفريقية الأخرى وراء مراكش والحرث وتونس وليبيا ووادي النيل ، ولا  
نقل المتكلمون باللغة العربية إلى العرب من القارة الآسيوية عن ثلاثين مليوناً بين  
حريه العرب ووادي النهرين وسائر أقطار الهلال الخصيب وقد يدع العارفون  
بالعربية من غير العرب عدة ملايين .

والخصلة الأخرى التي يساق إليها المؤرخ العربى عن سوء فهم منه للتظاهر  
القبية أحياناً هي التطعيم من مصيب الدوق العربى الخالص من تهضة الصور  
والثقافة في الدول الإسلامية أو «الإمبراطورية» الإسلامية كما يسميها

فقد يكون المهندسون أحاطوا عن السلالة العربية الخالصة ، ولكن الدوق العربى  
بلا حدل هو الدوق لدى علب على هندسة المعمار في كل قطر من أقطار المشرق  
والمغرب ، وما من أحد ينظر إلى العمدان والأقواس التي تحمل القباب ثم يشك في  
قيامها جميعاً على أساس من إلهام «المحلة» بقوامها لمديد السحب وقتها المعرشة

وأقواسها امتداسفة على جهاتها الأربع ، وليس القابل بين لأشكال الهندسية على النسق المعروف عند لإفرح باسم ( لأربيسك ) إلا تكراراً في من الساء للتعادل بين القوافي والأعاريض والشطور في فن القريض .

ولا نكران لسقد التقدين من جهادة الفن الذين يأحدون على من «المعمار» العربي حلوه من صور الكائنات الحية ومن صور السات في أكثر لأحياس ، ولكن هؤلاء النقد يسون أن مذهب المعمار العربي قبل للدفع عنه من الحاسب الصي الخالص ون طوا أن الدفاع عن هذا مذهب مقصور على الحواس الديمة ، فقد رأى العيسوف الكبير «عمانويو كاست» أن لمن الخالص يتمثل في المعمار العربي وحده ، وقما يمثل على هذا النحو في فون المعمار الأخرى ، لأن حماله مستمد من حمال الأشكال الهندسة غير مستعار من الصور والأشياء التي يقاس جمالها بعير مقاييس الهندسة ومقاييس الساء ، ومن الإصاف بلدون العربي أن نذكر أن أشكال الهندسة أقرب إلى قوم الحدار والسقف والعمود الحجري من الصور حيوانيه أو الساتيه ، فإذا حسست التحلية بصور الأحاء أو صور السات فأخرى أن يوكل ذلك إلى نقش الرسوم التي يعنى بألواحها على الحدرن ، كأنها بعض الأثاث الحمين بين سائر المفسيات الفنية التي تحويها حجرت والبيوت

وما دام الأمر لا يرجع إلى فقدان التعاطف بين الإنسان وسائر الخلائق حية ولا معابة فيه على الدوق ولا على الشعور ، ولكنه تقسم مواضع الحما الصي حيث يسعى أن نوضع من حدرا البيوت أو مفتيات البيوت .

أما أن تجريد المعمار العربي من الرسوم الحية لم يكن يرجع إلى فقدان التعاطف بين العربي وسائر الخلائق حية ، فهو حقيقة لا تحفى على من يروى النقيس من الشعر لعربي فصلاً عن الكثير فإن الشاعر الذي لا يسى الدقة ولا القرم ولا الربيع والمرعى قبل عصر الحصاره حديق أن يحس الحياة ولأحاء تحت قة السماء ، ولا ينتظر أن يحلق إحساسه بها تحت قد الهياكل والقصور

ويتنقل المؤلف من حديثه عن عصر الحصاره إلى حديثه عن قصاص العصر الحاضر ، فلا يعوته أيضاً أن يلقى بدلوه في تلك انسحافة التي تعاهد عليها زملاؤه الصحفيون ، أو المؤرخون العصريون من أساء العرب كما ذكروا قصيه فلسطين فهي عندهم قصية كسستها عصابت إسرائيل من لأم العرسة في ميدان القتال

و تنصرب فيها بجيشها وسلاحها على دول العرب محتمعات ، ولم يكن أحد - بعيداً عن الشرق الأوسط - يجهل أن إسرائيل كانت تحارب سلاح الدول العربية ومالها ، وكانت تلقى لتشجيع من تلك الدول فرحف على الأرض المحرمة ويصبح احتلالها تلك الأرض «أمراً واقعاً» و «حقاً مكسباً» على حين يضطر العرب إلى الحلاء عن أماكنهم بأمر السادة المسلطين على حكوماتهم وجيوشهم ، ثم يقتل وسطاء الهيئات الدولية الذين يكفون إسرائيل عن العدوان أو يرددون في استجابتها إلى دعوتها فلا يألها من حراء قتلهم حراء ولا يحول بينها وبين لمريد من معونة السلاح والمال .

إن البعدين عن الشرق الأوسط معدوم ذلك فلا يساقون إلى لقبول دستصار إسرائيل عن حسن نية ولا يقررون هذه السحافة إلا وهم يعمدون المعالطة ويسترون الحرية المشتركة بين حكوماتهم وعصابات الصهيونية العالمية ، فإذا ضربت تلك السحافة من مقيم في الشرق الأوسط مطلع على الأخبار من مصادرها فهو في الواقع يتدع تلك السحافة ويعمل على ترويحها ولا يتورط فيها مصطراً إليها بعد احتراعها وتربحها

وبيت القصيد من هذا كله بحلى عند حاسم يكتب من الأسطر القليلة التي عقب بها المؤلف على كلامه عن انعطاف في البلاد العربية وعن القوة التي تستفيد منها هذه البلاد من ترحم الأمم على أبارها وإدراكهم خطر مركرها في معتراء السياسة العالمية ، وهذه هي أسطر الختام منقولة بحروفها .

« كلب ردادت ثمة العرب وحب عليهم أن شقوا بشعوب العرب التي تعودو أن يسيثو بها الضون منذ أيام الوصاية والاندب ، وعلى العربيين من حاسهم - أن يذكروا أنه قبل قرون عديدة سبقت وصول لرحل الأسن إلى أميريك كان العرب سادة الدنيا وزعماء حصارته »

\*\*\*

## الصَّحَافَةُ فِي الْإِسْلَامِ (١)

الحُرَّةُ الآنَ قُوَّةٌ لَا تُسْتَدَلُّ بِعَیْرِهَا وَلَیْسَ مِنْ عَصْرِهَا هَذَا مَا سَوَّبَ عَنْهَا إِذَا مَحِيتْ مِنْهُ ، فَقَدْ وَجَدْتَ لِمُرَكَّرِهَا الدِّیُّ شَعْلَتَهُ مِنْ قَبْلِ وَتَشَعُّلَهُ الْآنَ ، وَلَیْسَ عِنْدَنَا مَا یَنَازَعُهَا عَلَيْهِ أَوْ یَنَازَعُهُ عَلَيْهَا .

بَدَعْتَ مِنَ التَّأْثِیْرِ عَلَى عُقُولِ النَّاسِ ، وَالمُكَاثَمَةِ مِنَ الْمُجْتَمَعِ أَنْ قَرَأَتْهَا أَصْحَابُ عَمَلٍ مِنَ الْأَعْمَالِ الْیَوْمِیَّةِ لَا یَقْصُرُ فِیهِ الْمَعْرُومُونَ بِهَا وَهُمْ عَادَةُ مِنْ أَرْقَى النَّاسِ فِكْرًا وَأَشَدَّهُمْ حَرَصًا عَلَى تَحْقِیقِ مَعْنَى الْإِنْسَانِیَّةِ فَهُمْ وَمَعَهَا أَنْ الْإِنْسَانَ مَدَى بَطْنِهِ ، یَمِيلُ إِلَى كُلِّ مَا یَجْمَعُهُ بِالنَّاسِ ، وَیَعْمَلُ عَلَى التَّقَرُّبِ مِنْهُمْ بِعَرِیرَتِهِ . وَمِنْ شَأْنِ هَذَا الْمِیلِ أَنْ یَحْمِلَ صَاحِبُهُ عَلَى الْإِهْتِمَامِ بِأَحْضَارِ النَّاسِ لِأَنَّهُ وَاحِدٌ سَهْمٌ بِهَمِّهِ مَا یُهْمُّهُمْ وَهُوَ لَا یَحْدُ بَعِیْتَهُ هَذِهِ إِلَّا فِی الصَّحَافَةِ لِذَلِكَ أَفْرَدَ لَهَا الْعَالَمُ الْمُتَمَدِّنَ مِنْ وَقْتِهِ مِائَتَیْنِ وَهَمِئْتُ وَقْتُ الْعَامِلِ وَوَقْتُ الْمُتَعَلِّمِ وَنِصْفُ وَقْتِ الْوَكْلِ الدِّیُّ لَا یَعْنِ فِی غَیْرِ انْزَاحَةٍ وَإِذَا تَرَعْنَا إِلَى مَخَارِجِ تَبْعِیْرِهَا إِنْ حَرَكَةً لِأَفْلَکٍ وَدَوْرَانَ الْكُوكَبِ شَهْرًا مِنَ السَّنَةِ عَمَّا یَتَحَلَّلُ ذَلِكَ مِنْ هَظُولِ السَّحَابِ ، وَحُكُومِ السَّائِاتِ ، وَهَوَسِ الرِّیَاحِ وَتَغَلُّبِ الْأَحْوَالِ ، وَتَدَوُّلِ اللَّیْلِ وَالنَّهَارِ ، وَقَفَّ عَلَى الصَّحَافَةِ لَا دُخْلَ فِیهِ لِعَمَلِ غَیْرِهَا ، وَمَعَ ذَلِكَ فَهَلَا یَكُونُ لِمَخَارِجِهَا قَدْ نَعْدَى الْحَقِیْقَةَ بِكَثْرِ ، فَإِنْ الْوَاقِعُ مَا نَرَى وَنَقُولُ .



تَقَسَّمَتْ الْأَنْبَاءُ بَيْنَ الْمَاضِیِّ وَالْمُسْتَقْبَلِ وَالْحَاضِرِ فَاحْتَصَرَ التَّارِیْخُ بَعْلَمَ الْمَاضِیِّ ، وَلِمْوَدَّةِ بَعْلَمِ الْمُسْتَقْبَلِ ، وَاحْتَصَصَتْ الصَّحَافَةُ بِالْحَاضِرِ فَإِذَا اسْتَعْنَى الْعَالَمُ عَنِ التَّارِیْخِ وَالْإِسْتَنْصَارِ بِحَوَادِثِهِ وَوَقْفَتْهُ عَمَّا كَمَلَ مِنْ حَرَرِهِ وَارْتَقَى مِنْ عَقْلِهِ ، أَوْ كَانَتْ النُّبُوَّةُ قَدْ قَعَلَ بَابُهَا ، وَسَدَّلَ حُجَّانَهَا فَلَمْ یَعُدْ یَسْمَعُ عَنْ سَبِّیْ بِذَعْوِ النَّاسِ إِلَيْهِ ، وَیَرِیْهِمْ فِیْمَا لَدِیْهِ ، فَهُوَ لَا یَسْتَعْنِی عَنِ الصَّحَافَةِ لِأَنَّهَا بَأْسُ الْحَاضِرِ الَّذِی لَا یَتَجَرَّدُ مِنْهُ الْإِنْسَانُ إِلَّا إِلَى حَاضِرٍ أُخَرَ .

(١) جَرِیْدَةُ الدُّسْتُوْر ٧ یَنَایْرِ ١٩٠٨

والصحافة هذه القوة العاملة أصبحت من مستلزمات الرهى وضرورات الحياة  
لأدبية ، فلا يحلو منها إلا مجتمع ناقص لم تتوفر فيه شروط الاجتماع ، ولا يعلم  
مادا كان يكون حال مصر وماد كان يحل محل هذه النهضة العالية والحماسة  
السياسية المثوبة بين جميع الطبقات المصرية ، إذ لم تشر فيها الجرائد إلى الآن .

وما يدل على اعتقاد العالم إلى هذه القوة أنه لم يستقم أمره بدونها منذ بدأ يرقى  
ويقهم معنى الاجتماع ، وإما كانت تنقص أشباحاً محتلفة غير الشخ الذى تظهر  
فيه فى العصر الحاضر .

غاية الشعور هى تنسيه الشعور والحث على عمل الواجب ولفت الناس إلى ما  
يحقيق بهم من الأخطار سواء كانت من أثر العادات أو من مداواة الأعداء ، وقد  
تحققت هذه العاية بأساليب متباينة ووسائط تتناسب مع حالة العصور الأدبية  
فتمثلت أولاً فى الخطابة كأن يشعر العالم أو الأديب بنقص فى المجتمع الذى  
يعيش فيه ، أو بحاجة مواطنيه إلى الجهاد وغيره من مقومات الحياة فى تلك الأزمان  
فيحشد الخموع إلى ميادين البلد ويدعى عليهم خلاصة أفكاره فيحرمهم إلى العمل  
بها بما للحظنة من قوة التأثير فكانت الخطابة عندهم بمقام الصحف السياسية ما

ثم تمثلت فى التدريس فكان يؤدى وظيفة المحلات العلمية عندها ، ويبدو أن  
بتعدى العلوم والآداب إلى السياسة ، لا فى قضية تتماس فيها السياسة بالعلم أو  
بصطر فيها المعلم إلى إبداء رأيه فى شئون مملكته لتلامذته وقد كان يسهم أساء  
لموئك والأعداء ، أى الدين تفهم دروس السياسة المصروحة بالعلم .



ولم يعر عن الخطابة شعب من الشعوب خصوصاً العرب ، على أنهم ما كانوا  
يعرفون فى جاهليتهم طريقة التدريس لقلة معلوماتهم فتوفرت عزائمهم إلى الخطابة  
فيرعوا فيها وأعطوها قسماً من الإتقان وأقاموا لها النوادى والجامع على مثال ما كان  
عند أممى اليونان والرومان وقد فاقوهم فى بلاغة المعامى وسلامة العابير

وما جاء الإسلام اتسعت دائرة معارفهم وحركت عقولهم المعصلات الشرعية  
لأول مرة ، ثم العلمية بعد أن تقدموا وعربوا كتب حكماء اليونان وغيرهم من  
أساطين الحكمة فى الأمم القديمة ، فاهتدوا إلى التدريس وبث الأفكار بوسطته ،  
وكانوا يرحلون إلى مدرسين من قطر إلى قطر ، من قارة إلى قارة ، حتى تصرع  
لهذه العمل كثير من العلماء الأخلاء ، واجتمعت عندهم بذلك دعائم الصحافة

كما هي عند بقية الأمم ، ورححوها بأن دينهم يعيهم على التمكن منها فإن الإسلام قرر مبادئها ووصف مودحها وصف أعظم معاصريها

فقال الكتاب العرير : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ .

وقال النبي ﷺ : (إن من أشد الناس عدائاً يوم القيامة من اتقاء الناس لشبهه) وقال ( إن لرجل ليتكلم بالكلمة يرمى بها جلساءه يهوى بها في نار جهنم) ولا ريب أن هذا أوضح تعريف للصحافة ، فما هي على أكمل حالاتها إلا دعوة إلى الخير وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر يتفرع لها جماعة اختصاصيون سماهم القرآن أمة ومن أهم مودحاتها عند العصريين أن لا تكون أداة تحريف يهدد بها الأعداء ، أو فرشاة محاملة ومحابة بتقرب بها إلى الملوك والأمراء ، بل تكون عند صميم صاحبها وعقده ، وهذا مخصوص في الحديث الشريفي بحيث تصقل على الصحافة أكثر مما على الأفراد

فلو وجدت المصاح في زمن عدم الإسلام الأولين ، أو لو وجدوا هم في زمن المطابع لما نأخروا عن الائتمار بأمر الله وتوقفوا إلى استخدام الصحافة بمعناها المعروف . ومثل أمملك رجلاً عادلاً عاملاً يريد أن يهدي الناس إلى ما فيه خيرهم كيف يهتدى إلى ذلك ويعمم مبادئه بين الناس بغير الصحافة وعنده معدتها ، وبين يديه القرآن الكريم ولأحاديث الشريعة يقتبس من أديانها لا شك أن أول ما يحطر سأل به إنشاء صحيفة سياسة يطلع عليها الناس عامة ليكون بمعها أعم ، وفائدتها أتم

وعبر ذلك ، فمن مبادئ الإسلام إلقاء خطبة أسبوعية في كل مسجد على جموع المصلين ، وقد قالوا : إن صلاة الجماعة تقدر بسبعين صلاة يؤديها المصلي مفرداً ، وذلك ترعناً في سماع هذه الخطب ، ودعوة للناس إلى حضورها للاعتناء بها فيها ، وما هذا إلا بمثابة صحيفة أسبوعية تصدر من كل مسجد مشتملة على النصائح والتوجيهات فلا يفتصها ، لا الطبع أما الشر فهي حاصلة عليه

فمرى أن الإسلام أشار إلى الصحافة بمعناها الحقيقي ، وأن صحافة الإسلام لا تختلف عن الصحافة العصرية إلا في أنها غير مطبوعة ، أو أنها حسب اصطلاح الصحفيين كانت في تلك العصور وفي ذلك الدور تمثل للطبع في هذا العصر

\* \* \*

## الاقتصاد السياسى فى الإسلام (١)

الاقتصاد السياسى عمن يبحث عن تكوين الثروة العامة فى المملكة ، وكيفية تصنيفها حتى تعود بالربح على المملكة التى نشأ بها وهو بهذا لا يعتد بحسبه بعض الناس أنه إن جاء فى مصلحة ملكة على يحيى فى مصلحة الأخرى ، أو كان فى مصلحة فرد فلا يكون فيه منع لفرد آخر ، والخليفة أنه عدم ينفع كل من تمت سطرياته وأحسن استعمالاتها ، فمتى كان البائع ملماً به عارفاً بأسراره عرف كيف يروح تجارتها ويستمتع بأرباحها ، ومتى كان الشرى كذلك وقف عند الحد الذى يتجاوز مصلحته فلم يتورط فى الشراء إلى ما يتعدها وبهذا يحفظ التوازن بين الاثنين

ولا فرق بين لاقتصاد المولى والاقتصاد السياسى إلا فى أن الأول يتعلق بالأفراد يمحسون فيه على ما يسعد حالهم وحال متصليين بهم والثانى يتعلق بالحكومات تضى فيه على ما يسعد حالها وحال رعييتها

والأول يكلف الأفراد أنفسهم بأنفسهم وهم مقادون إلى ذلك بدعى حاجة الشخصية ، والثانى يكلف به الحكومات من قبل رعاياها ، ورعاياها هم أولئك الأفراد ، والصلة بين العنصرين متينة تكاد تجمع بينهما علماً واحداً ، إذا كان الأمر كذلك فعلم لاقتصاد قديم جداً عمل به الناس منذ تعرفت ما حى كسبهم ، وقد عرفوه عملاً وعلماً ، إذ لا يعقل أن واحداً يتحرر أو يصنع إلا وهو متيقن من فائدته فى ذلك ، وأن آخر يشتري أو يستعيص ما لم يكن فى حاجة إلى ما يشتريه أو ما يستعيص به ، غير أنه كان على أكمل أنواعه بالنسبة لتلك العصور حين اخترعت النفود ومير الناس قيم الأشياء بالنسبة لبعضها من جهة وبالنسبة للذهب والفضة من جهة الأخرى ، فتوحدت مطالبهم واتجهت نفوسهم إلى أمر واحد وهو فسء الذهب والفضة ، فابتدعوا بذلك الأساليب وانحسروا الفرائق ، وفصموا كل ما يؤدى إلى ذلك العرص من أقرب الطرق ، وبيعوا كل ما يحون دونه من العوائق ، فحصل من مجموع أفكارهم فى هذا المصدد علم يشبه عمن الاقتصاد العصرى من بعض الوجوه

(١) الدستور ٨ ديسمبر ١٩٥٧

احتراع العقود وخذ المطالب وشغل الافكار على اختلاف مآرعيها شيء واحد ليس يعسر على الناس اجمعين إذا انجحت أفكارهم إلى ذلك الشيء أن يحصوه ويحسوه للناس كأحسن ما يكون ، وقد فعلوا فأصبحت الأموال وطرق توزيعها ووسائل استثمارها معروفة عندهم تمام العلم . ولا أظن أن التاجر في القرن العشرين أحكم في معاملاته وتعميماته من التاجر في القرن التاسع أو العاشر مثلاً ، بل ربما كان هذا أحكم لبعده عن البصار ، والمجربة التي تحقق نتاج هذا القرن ، هذا بالنسبة للأفراد أما الأمم فلم ينته إلى الاستفادة من علم الاقتصاد على صورة واضحة قائمة على دعامة ثالثة إلا حوالي القرن السابع عشر ، وذلك لا يجمع أن يكون في القرون الأولى استمداد من تحارب الأمر ما يمكنه به تسيير أعمالها على شيء من الضغط والحكمه ، ولا يمنع أيضاً أن يكون هدفها وكتابها قد بحثوا في هذا الباب فظهر لهم من بحثهم بعض قواعد وقضايا اتحدوا الملوك والولاة قوانين يراعونها في تدبير ممالكهم قال ابن خلدون في مقدمته . (فيما استديم الرخص في سلعة أو عرص من مأكول أو ملبوس ولم يحصل للتاجر حوالة لأسواق هدف الربح والسماء يقول تلك المدة وكسب سوق ذلك الصنف فقعد التجار عن السعي فيها وهتدت رءوس أموالهم واعتبر ذلك أولاً بالربح فإنه إذا استديم رخصه يفسد به حال المحترفين بسائر أطواره لقلة الربح فيه وندارته أو فقده فيقعدون المدة وكسب سوق ذلك الصنف فقعد التجار عن السعي فيها وفسدت عن السماء في أموالهم ويعودون عن الإتيان على رءوس أموالهم وتفسد أحوالهم ويتبع ذلك فساد حال محترفين بالطحن والخمر وسائر ما يتعلق بالزراعة من الحث إلى ضرورته مأكولاً ، وكذا يفسد حال الخدم إذا كانت أروافهم من السلطان على أهل الفلاح رعباً فإنها تقل حباياتهم من ذلك)

وقال (اعلم أن التجارة محدودة الكسب بتسمية المال بشراء السع وبيعها بالعلاء إما كانت السلعة من دقيق أو رز أو حيوان أو قمح ، وذلك القدر الثاني يسمى ربحاً ، والمحاول لحدث الربح إما أن يحتزن السلعة ويتحين بها حوالة الأسواق من الرخص إلى العلاء فيعظم ربحه وإما بأن ينفذها إلى بلد آخر تنفق فيه تلك السلعة) إلى أن قال . (ويمكن حصر التجارة في كمتين - شراء الرخيص وبيع العالي) وقال أيضاً : (الرخص المفرط يجحف بمعايش المحترفين بذلك الصنف الرخيص وكذلك العلاء المفرط وإي معاش الناس وكسبهم في التوسط وسرعة حوالة الأسواق ، وعلم ذلك يرجع إلى القواعد المعتمدة بين أهل العمران ، وإي يحمي الرخص من الرزيع لعموم الحاجة إليه) .



وقال (إن احتكار الررع لنحيز أوقات العلاء مششوم يعود على فائدته بالثلف والخسران) هذه آراء ابن حلدون في الثروة ومدى استعمالها لو حثنا تنتقدها لما أمك ان بأحد عليه أكثر مما أخذو على أول من وضع علم الاقتصاد في القرن السابع عشر، بل لرأينا أنفسنا مصطربين في بعض القبط إلى اللئء عليه لتقريره قواعد لا تزال مرعية في هذا العلم إلى الآن .

بأحد عليه قوله . (وينتج ذلك فساد حال المحترفين بالطحن والخبر وسائر ما يتعلق بالزراعة من الحرث إلى صيرورته مأكولاً) ، لأنه متى رخص القمح أو غيره من لباح الأرض كثر الإقبال عليه واشتره من لم يعتد شراءه فيشأ عن ذلك أن المطاحن والمحابر يروح عملها ويرداد عدد الواردين عيها لا كما يقول هو أنها تكسد حالها وتفسد أعمالها . ومع ذلك فقد أصاب في قوله عن صايعي المحارث والفسوس وقاصعي الخشب المستعمل في تلك الآلات ، فإنهم تبور صباعتهم ريشما تتحدد مهمة الفلاح ويعوص ما حسر وأصاب أيضاً في تقرير مبدأ الصايع من الأفراد واشتر كهم في الصر والنمع ما دموا مجتمعين في صعيد واحد يتبادلون التجارة ويتجادبون المنافع بينهم . وبأحد عليه قوله في تعريف التجارة . (هي شراء الرخيص وبيع العالي) - لأنه قول ينطبق على التاجر فقط ولا يشمل غيره ، والتعريف العصري أكمل وأعم وهو : (بالمبدية تدفع ما تستعى عنه وتأخذ ما أنت في حاجة إليه) ولكنه كان في معرض التكلم عن الصانع صناعة صناعة فربما لم يصرف فكره إلى التعميم . إلا أنا إذا أردنا إصافه فلا يسعنا إلا الإعجاب بقوله هذا (الرخص المفرط يحذف بمعش المحترفين بذلك الصنف وكذلك العلاء المفرط ، ومع معاش الناس وكسبهم في المتوسط) فهو لا يتعدى ما ثبت عندنا لأن من أنه لا تستقيم حالة السوق إلا بتساوي المعروض وانطلوب ، والاقتصاديون لم يقرروا على هذا المبدأ إلا بعد حدال عيف شب بينهم ، وكان كل منهم يذهب فيه مذهباً ، وإن حلدون قد سبقهم في تقريره كذلك معجب بقوله : (إن احتكار الررع لنحيز أوقات العلاء مششوم يعود على فائدته بالثلف) فقد طهر أن الاحتكار أصل الغلاء ، والعلاء يعرر بالعقول ويذهب بها مذهب الصلال ويجرها إلى الخطأ في أحكامها وهذه أزمة مصر لم تحدث إلا من ارتفاع أسعار الأرض ارتفاعاً لا أساس له وإقبال الناس على اقتناء الأراضي فلا تدبر أو حساب .



## الاقتصاد السّياسي في الإسلام<sup>(١)</sup>

٢

تلك آراء كاتب . أما الملوك فكانو يعرفون من علم الاقتصاد مثل ما يعرفه هذا أو أكثر . قال المأمون (الناس أربعة ذو سيادة أو صاعه أو تجارة أو زراعة فمن لم يكن منهم كان عيالاً عليهم)

وهذا التقسيم هو لماثر الآن بين الناس ، وهذا كان أول مؤسسى علم الاقتصاد أجهد نفسه وأعمل فكره حتى قال : إن الأرض منبع الثروة وأن غير المصالح عالية عيه . فقد قال المأمون قبله : إن الناس سادة وصناع وتجار وزراع ومن ليس كذلك فهو عيال عليهم فكان قومه موافقاً لأحر رأى من آراء القرن العشرين عن توزيع العمل .

أما الإسلام من حيث هو شرع ودين فقد ألم بكثير من قواعد الاقتصاد ، وجمع وأفردت له الأبواب والفصول لصح أن يكون هدياً يسترشد به فى مشكلات لاقتصاد ومعصلاته . وقد كلف الدائمين به بصروض وواحشات إذا عموا بها كان من أثرها فى معاملاتهم أن ينظم السوق ويترتب سير الأعمال برئياً يقلل من شكوى المملوكين ، ويخفف من تعب الملهوكين ، ويبطل العش الذى يصيب أحر العامل ، ويربى حظ الخامل ، ويدخل بين الناس فيصصم عراهم ويفسد عليهم أعمالهم فإذا نظروا إلى الإسلام وقوانينه لاقتصادية فإلى سطر إلى ورعين : وارع ، رشادى يقود الناس إلى ما فيه صلاح دينهم ، ووارع ناظمي يحدد لهم أوبة بعد أخرى من العش والخدع ، ويلفتهم إلى بقاء الدمه وصهارة النفس وطلب ما يستحقونه على عملهم بلا طمع ولا رهد ، ومتى نظلت التجاره المعشوشة لم تكسد النجارة المتقنة ، ولم يحسر عامل على عمله ، أو يأخذ بئع فوق حقه ، أو يمس شارٍ فى ماله ، وهذا بهاية ما يصل إليه الانتظام فى الأعمال .

وسائل إحداث الثروه فى الإسلام هى التجارة والصناعة والزراعة . قال تعالى :

(١) الدستور ٩ ديسمبر ١٩٥٧

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ لِيُدْبِقْكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتُجْزِيَ أَعْمَالَكُمْ بِأَمْرِهِ وَلِتُبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أى أن فى رسالة الرياح ما يبشركم بنزول المطر وهو دم الريح فيسبح ويثمر ويكون لكم من جاء ما تحملون به الفلث (وهو ابن الصبغة) إلى الجهات الأخرى تستعوا من فضله (التحارة) ولعلكم تراقبون الله فى أعمالكم فتشكروه على ما وفقكم إليه بما فيه هائذتكم . ولا يذهب قارئ إلى أن هذا حصيص بالعرب ، فإن العرب لم يكن من عاداتهم حمل تجارتهم فى السفن بل كانت سفنهم الحمال يركبونها ويحملون عليها رحالهم . كذلك لم تكن معاشهم تتوقف على الريح ، فإن بلادهم حفراء حفراء ، أو هى واد غير ذى ررع كما قال القرآن الكريم ، فكبروا يشيرون الرق للتنازل أكثر بما يشيرونه للاستمطار ، وكانوا ينتظرون المطر للاستقاء أكثر مما ينتظرونه لرى المروح والمراع فأمره تعالى عدم لعموم خلقه لا لفئة معينة منهم .

وقال ﷺ : (سافروا نعيموا) وهو أمر يصبر فى أول الأمر أنه تحصيل حاصل لأن العرب كانوا يسافرون بلا تكليف من أحد ، وكانوا يسافرون للتجارة أيضاً ، فما معنى هذا الأمر؟

ولكن الإسلام وقد جاء مبطلاً لكل ما كانت عليه الجاهلية . وكان ينتظر أن يبعثهم عن التحارة كما معهم من غيرها من ضرور تكسب كالميسر والأرلام بإقراره لهم عليها بعد أمراً جديداً وتكليفاً من تكاليف الإسلام ، كما أنه يعد تسيهاً للحامس الذى ركن إلى الكسل واستنام للحمول ، فيحفره إلى مسابقة انعامين فى ميدان الكسب والعمل ، ويفهمه أن هذا من وحيات الدين وموحيات السقين ، ويؤخذ من هذا التكليف أنه يرشدهم إلى استبدال ما يفيض عن حاجاتهم بما يحتاجون إليه من البلاد لأحسية ، والمبادلة من أهم قواعد الاقتصاد

أف رأس المال وهو رأس علم الاقتصاد فقد قال عنه النسي ﷺ (ترود من صحتك لسقمك ومن عماك ومن شباتك لهرمك) ويفهم من هذا حديث الشريف أنه لم يعين رأس المال بالذهب والعصه بل تركه على إطلاقه ، يجوز على كل ما يجى صاحبه من العدم ، فكما يصبح أن يقال ، ب السرويد من الصحة للسقم هو سوفر الصحة التى نلرم فى حالة المرض ، كذلك يصبح أن يقال ، به يكون سعيم الصب للعلاج به عند لرومه ، وكما يمكن أن يكون التروود فى حالة الغنى باقتصاد شىء من الدخل لأيام العور والصفة كذلك يمكن أن يكون تتعلم الصنائع والتدرب

عليها لتعيبه عن بسط يده بالسؤال إذا صافت به الحال ، وكما يجوز أن يترود الشاب لهرمه نادحار المال ، كذلك يجوز أن يترود بالعم والمعرفة ليستعملهما في جلب خير أوفر نفع أقل وهو العرص الذي أسس لأجله علم الاقتصاد

وبعد أن فصل لإسلام موارد الرزق والسبل المؤدية لها وبين استحالة تساوى الناس في العمل والكسب أراد تعزية الفقراء منهم مثلاً بجند الحسد إلى قلوبهم منقداً فقال : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ كدية عن تقسيم العمل بين الناس ، فلا يحسد أحدهم الثاني على ما سبق إليه من المنفعة لأنه تمييز تقتضيه طبيعة العمران .

ثم أقبل عليهم جميعاً يعلمهم كيفية إنفاق الثروة ، فقال ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُعْقِرُونَ قُلْ مَا أُنْفِقُ مِنْ خَيْرٍ ﴾ والخير هو ما ترتاح له الذمة ويرضى به الصمير ، وقال : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ ، وقال : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴾ ثم شملهم بصيحة عامة تنفع التاجر والصانع وصاحب المال ، وهي ﴿ أَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴾ وربوا بالقسطاس المستقيم \* ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تغتروا في الأرض مفسدين ﴾ ولو عمل الناس بهذه الوصية لألغيت أغلب من يشكو ساكتاً ، فالعامل الفقير يرضى بحظه لأنه غير مخشوس الأجر ، والتاجر يفتح بما يصدقه لأنه قبضة بصاعته ، والتجارى يسر لأنه موفى الكيل راحح الورن ، والثقة تتبادل بين الجميع لأن الغش مرفوع من بينهم ، والمعاملة تسرى على أحسن نط ، لأن الثقة في الوسط ، وهذه نتيجة لا يستطيع الوصول إليها يعلم من العلوم .

فإذا أصفنا إلى ما نقدم تحريمه من التحلى بالذهب على حن لا خطر في ذلك إلا استخدام أتعاب الناس فيما لا يجمعهم علماً أن الإسلام ينظر إلى كل ما يحيط بالناس في دينهم ودينيهم فأثته وشرح علاجه في القرآن ، وقد رأينا علم الاقتصاد يقررون أنه لا يصلح لعملة إلا الذهب والفضة ، ويددون عن استعمالهما في غير ذلك ، فمن رجع العالم ثلاثة عشر قرناً أم تقدم القرآن كل تلك القرون .



## الأزهر أحوج إلى اختيار مُدرّسيه منه إلى مالِ يواسيه (١)

الجامع الأزهر على قيد خطوة من الراكب والراجل ولكنه على بعد ألف سنة من المفكر وذلك لأنه لا يزال كما هو يبقى دروسه على النسق الذي كان يلقي به أفاضل دروسه في عابته وأسطور بين تلامذته ، وقد أغرى أساتذته بكل قديم حتى لو علموا كيف كان يعلم آدم أبناءه لعلوا عن حطتهم الحالية في التعليم إلى تلك الخطوة . وإيايؤسسا أن يكون الأزهر الشريف أثرا من الآثار لا حط له من الغرض الذي أسس لأجله ، لأننا نريد أن نكون مصر وطن الإسلام الثاني بحق ونريد أن نستأهل اللقب الذي أطلقه عليّ المسلمون في الشرق والغرب وهو أننا حمصة العلم الإسلامي وأعلام الدين وأقطاب الشرق إلى آخر ما يقولون عنا .

أقيم الأزهر لغرضين أولهما أن يحفظ ما عساه أن يندثر من آداب اللغة العربية وثانيهما أن يهدي الناس إلى أقوم السبل في أمر دينهم ، فهل هو قائم بهذه المهمة كما ينتظر منه؟

كلا فإن الإنسان يتعلم الأدب ليكون كاتباً أو شاعراً ونحن لا نكاد نطبق أصابع اليدين على شعراء الأزهر وكتابه ريتفقه أحد في الدين ليعرف الناس في أمور معاشهم على ما يقضى به نصوصه وأحكامه وم عهدنا في الأزهر بين من تصدى لتطبيق آية من القرآن على مشروع معاصر مفيد ولا رأيهم أتوا بشيء جديد غير ما أحلق جدته الزمن وأبلكه الأيام

فهل هكذا يكون الأزهر ؟؟ هل هكذا يكون المعهد الذي يؤمه طلاب العلوم الدينية من حيث شرق الشمس ومن حيث غرب ؟؟ هل هكذا يكون المدرسة التي تصمم بين جدرانها أكثر ما تصممه ثكنات الحرد في القطر المصري والسودان .

(١) نشره د. فقال بجريدة المستور ٢٨ ديسمبر ١٩١٨

لا والله ولو كان عبدة ما يطمح إليه مؤسسه أن يكون على هذه الحال لما استحق  
ما ومن المسلمين إلا أن يصفوه بالخرق والخمق وتدير أموال المسلمين فيما لا  
يحدى ، لا بالسداد والحكمة ولاقتصاد

نبهنا إلى ذلك مقرر مجلس الأزهر لأعلى في جلسته الأخيرة برئاسة  
الجناب لعالي الخديوي فقد تقرر فتح اعتماد جديد بحمسه وعشرين ألف  
حميه لإصلاح الأزهر ونحن على ثقة من أن هذا الاعتماد وما تقدمه إنما قرر  
سبة صرفه في وجوهه ولكن الذي يدهشنا أن لا يزال يرى الأزهر كما كان براه  
قبل عشرين عاماً مع ما يؤكد سمو الخديوي المرة بعد المرة من أنه لا يهم الآن  
بشيء قدر اهتمامه بإرجاع الأزهر إلى عهده الأول ، أيام كان مفخر العلم  
ومنتشق العرفان .

ولقد عذمت الحوادث أن الأزهر لا ينقصه المال ولا معدات التدريس وإنما ينقصه  
المدرسون الذين يحسون تلقين الدروس على النمط الذي يفهمه المتدثرون فأجلد  
رحمات المصححين في مساعدهم إلى إبقاء من يصلح ومن لا يصلح من العلماء في  
مراكزهم التي كانوا يشغلونها من قبل ورحمنا أن الأزهر سيبقى كما هو اليوم إن لم  
يسدركه المصلحون من هذا الباب فقد غلب شكوى الطلاب من المدرسين وكيفية  
إلقاء الدروس وهما القائلين بالإصلاح تنفيذ برامجها حتى الاثنى عشر عرفة  
التي شئت حديثاً لم يتناول لإصلاح منها إلا اثنتين وهما الثانية عشرة وحادية  
عشرة وبقي العشرة الأخرى على «طرز القديم في التدريس والمرتبات والمدرسين  
وكل ما يتعلق بذلك ، على شكوى الطلاب من كل طئ وم سمعنا طائناً أو عالماً  
يشكو فلة المال أو قهارة المرتبات

فحير للمجلس الأعلى أن يشدب الأزهر من أمثال هؤلاء . وإن أدركتهم الشفقة  
بهم فليعين لهم دجلاً يعيشون منه ، ولا يزال صائغ هدراً ، وخير أن تخسر عشرة  
آلاف حميه في معاشات العلماء المتقاعدين من أن تحسر كل اعتماد تفتح من لأن  
إلى يوم الدين

هذا ما نشير به لأن على المجلس ولما عودة إن شاء الله إلى هذا الموضوع .



## الجامعة المصرية والأزهر الشريف لا يهمهم أن يكون الغلب

في البلاد المصرية لأن جامعتان متناظرتان . أولهما على وشك الدحول إلى  
ميدان المظاهرة وهما الجامع الأزهر والجامعة المصرية .

ووجه الشبه بينهما أن دروسهما متقاربة وإن ظهرت أبعاد ما يكون شبيهاً ببعضها فإن  
كل ما في الأزهر علوم كلامية سواء كانت مطلقاً أو بلاغة أو غير ذلك ، وكذلك الجامعة  
فليس يتكلف مدرسوها أن يحملوا أداة من أدوات المعامل لشرح الدرس عليها اللهم إلا  
للبهم والكتاب فالأول مدرس الآداب اليونانية والعربية ، والثانية مدرس أدب الإنكليز  
والفرنسيين وغيرهم من الأمم المتحضرة الحديثة والأول يعتد عن إلحاق العلوم العصرية  
بعومه بأنه ديني لا يجوز أن يشتغل إلا بالعلوم الدينية والثانية تعتد عن ذلك بحداته  
عهدا وعدم انتظام معلماتها وهما عنصران متناقضان عن جرم واحد

ولقد أمّلت لأمة المصرية في الأول وترقت منذ عهد بعيد تحقيق أملها ولا يزال  
في صدرها بقية رجاء في حصول النفع منه ، وهي تهتم الآن بوضع ثقتها في  
الجامعة بولا أنها لم ترمها حتى الساعة ما يحملها على ذلك

من السبهي أن أيهما كان الأسبق إلى إدخال العلوم الساعية فيه كان له العور  
على منافسه فليحضر أعيان ساعة أو مدة أو حصة ثم يفتحها عليهما وهما على ما  
تحب وتحب البلاد المصرية فماذا ترى ؟

أما الأزهر فإنه سيكون جامعة للعلوم الدينية بأنواعها وأدب اللغة العربية  
مروءها يضاف إلى ذلك الرياضة والفلسفة الحديثة والكيمياء والطبيعة والفلك  
والساريج والطب والهندسة بعمدها الشامل وبالإحمال كل ما تشتمل عليه دوائر  
المعارف عند الإفرنج بالإسكولوبيديات

وأما الجامعة فإنها ستتوسى كل تلك العلوم ، إلا العلوم الدينية الإسلامية فإنها  
ستقصها لا محالة إذ ليس في الموعدين من قبها إلى أوروبا من أرسل بقصد التوفر  
على هذه العلوم وإتقانها ولو كان فيه من هذه وجهته لم يصح أن يوقع إلى أوروبا إلا إذا  
كث العرض من رساله أن يشتغل بالسياسة لا بالحصيل

ولأزهر على هذا التقرير سيخرج من ميدان المناظرة فائزاً مستحقياً لكل ما يوجد  
ثقة الناس به !!

ولكن إذا سدنا العرصيات حائاً وأحدنا بالواقع الممثل أمام أعيننا رأينا عكس النتيجة  
التي قدمناها ، وذلك لأننا اشترطنا أن يكون لتفصيل بينهما راحقاً إلى سبق أحدهما  
الأخر في توصيع نطاق دروسه ، والذي يبدو لنا ولكل من يستطيع استخدام بصره  
وبصيرته أن الجامعة ستسبق الجامع فبما هي ترسل الإرساليات خارج القطر وببما هي  
تطلب العلم ولو بالصبر ، يحشم الأزهر مكانه إلى جانب سيدنا الحسين وهو لا يريد بل  
ولا يحدث منه الخروج قيد شرعاً وضعه له الأقدمون لأنه يعتبر خروج الإنسان عن  
حد الذي وضعه له أجداده وأسلابه بمثابة خروج الملك عن الدائرة التي رسمتها له القدرة  
الإلهية ، وهذا بعض الله له رحلاً طويلاً الباع يمد يده إلى ما وراء العصور الوسطى فيشله  
من ظلماتها إلى هذا العصر المير كان به ولا فهو سكيت كل ميدان ، فربح كل رهان

يقول قائل كيف يتدركه رجل وقد حاول الرجال إصلاحه فأخفقوا وجمعوا  
على تهديبه فما اتحدوا حتى تفرقوا ، كيف يكون في حاجة إلى رجل واحد وت  
تري أمامك رجالاً كلما فوموه من جانب تداعى من الجانب الآخر ؟؟

الأمر من البساطة بحيث لا يحتاج إلى روية أو إمعان نظر فحين نقول إنه في  
حاجة إلى رجل واحد ؛ لأن رجلاً واحداً بيده كل ما يره الناس كفيلاً لإصلاح  
الأزهر في وسعنا أن يرسل على نفقة الأوقاف إرسالية علمية نصفها من حلقة  
المدارس ونصفها من طلبة مدرسة دار العلوم أو مدرسة دار الفضاء الشرعي ويحضر  
هؤلاء في جامعات أوروبا ما يناسب إدخاله إلى الأزهر ، يثقفون العلوم الحية الضرورية  
ولا بأس بالمطلق الحديث لا ذلك المطلق السالي الذي سوى بين الإنسان والأعجم  
فجعله في حاجة إلى مقصور وأفسد على متعلميه ملكة الحكم فأصبحوا ولا طاقة  
لهم بتصور السديهي وهو أن العرب إنما ارتقى بالعلوم العصرية وأن الشرق لا يستظر أن  
يسرركه إلا إذا نهج نفس طريقه وعدل عن تلك السبل المكباء .

مثل هؤلاء إذا عادوا إلى الأزهر بعد سنين معدودة أعوه عن بعض أساتذته  
خاليين الذين لا يصدقون لتدريس وحفظوا عليه مربيته التي كادت تمحى  
وتقدموا به إلى حيث يقارن بأكر جامعات في العالم ، ولا مجال أن ذلك يستدعى  
من البهقات أكثر مما يستدعيه هذه الاعتمادات التي توافرت أسازها واعدت  
أسماءها وكلها اسم على غير مسمى وطهارة بلا نظافة وقول بلا عمل



## كتاب 'جديد عن الرسول' (١)

«من رأى فريق من كبار المفكرين أن انصرة السي ترم بها البلاد اليوم فترة إمعان في التفكير وأن مناقشة المسائل السياسية العليا يسعى أن تتأخر بضعة أيام أو أسابيع حتى تتبين الغايات التي تصل إليها لموضوعات ، من هذا الفريق من كبار المفكرين لأستاذ العقاد .

وقد أراد الأستاذ الكبير أن يطق هذا الرأي فرعب أن تكون أولى مقالاته في هذه الآونة على صفحات «السياسة» مقالة تتصل بأوثق الصلات بالشئون الفكرية وليس من شك أن لأسناد العقاد قد أتح لقراء العربية بهذا الاتجاه فرصة حرموا منها طويلاً» المحرر .

لما ألف الدكتور هيكل باشا كتابه عن «حياه محمد» وألفت كتابي عن «عصره محمد» لم يقع هذا التأليف موقع الاستحسان عند فريق من أدعياء الأدب والثقافة لأن موضوع محمد كما رعموا موضوع قديم لا يحوز لأساء العصر لخاصة أن يحضروا به ولا يحسن بأنصار «التقدم» أن يرجعوا إليه .

وحقيقة الأمر أن هؤلاء الأدعياء لا يسكرون الكتابة في تاريخ السي ﷺ لأنها كتابة قدمة أو كتابة محرمة على أساء القرن العشرين ، ولكنهم يسكرونها لأنهم يصيقلون بكل ناحيه روحيه في تاريخ الإنسان ويعلمون أنها عقبه قدمة تعرضهم في مسيلهم الذي يساقون فيه ويندفعون إليه بوحى من سادتهم المحضين وراءهم من دعاء المذاهب المادية وأعداء كل ربيع أو عظيم في الصمائر والأرواح وهم يكشفون أنفسهم كلما أنكروا الكنانة عن «علام الإنسانية وهداتها ونشروا بالكنانة في موضوع واحد لا يحوز لأصحاب لأقلام عندهم أن يتجاوزوه - وهو موضوع الطعام والشراب ، كأنهم الطعام والشراب 'حدث الأشياء في العالم الإنساني ونهاها لسابقان بلاسان منه إيعالاً هي القدم إلى أقدم عصور الأحياء والحشرات

(١) السياسة ١٥/٤/١٩٤٦

أما العظمة الروحية التي تسكن في الكفاية عن الهداة وأنظار الإصلاح والإرشاد فهي موضوع خالد لا تمضي حدته في زمن من الأزمان ، ولعل الشرفيين عامة والمسلمين خاصة لم يكتبوا عن محمد ﷺ في هذا العصر الحديث بعض ما كتبه عنه الأوروبيون والأمريكيون ولا يزالون يكتبون إلى هذا العام

ومن مصداق ذلك كتاب حديد عن «الرسول» طبع في مدينة نيويورك سنة ١٩٤٦ ولم ينقص على ظهوره هناك شهران .

ومعنى ذلك أن لمطابع الأمريكية التي تحيط بها شوغل العالم كله في الآونة الحاضرة لا ترى في تدث الشواغل ما يصرفها عن تزيح سني يدين به الشرقيون ولا يدين به الأمريكيون ولا تحسب أن القرء في الغرب يصون على هذا الموضوع اجلس ساعات أو أيام يفقونها في الاطلاع عليه ، وهم قائمون قاعدون في معترك السياسة الدولية ومعترك المشاكل الاقتصادية ومعترك حياة العصرية بكل ما تتسع له هذه الحياة من المطالب والممارعات

هذا الكتاب الحديد عن محمد ﷺ هو كتاب «الرسول» The Messenger الذي ألفه الكولونيل بودلي صاحب كتاب «الريح في الصحراء» وكتاب «الصحاري المرحية» وعمرهما من الكتب في الموضوعات الشرقية وقد اختار اسم الرسول عنواناً لكتابه هذا لأنه الاسم الذي يوصف به محمد في كل بدء للصلاة ، حين يهتف المؤدبون في الآفاق أن «لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله»

وقد يكفى هذا الكتاب للتبويه به أنه «رد عملي» على أولئك «المتحيين» الذين يريدون أن يحصروا النفس الأدمية في أصيق الحدود وأسفل الدركات ، ويحاولون أن يحددوا مسامع الشرقيين باسم الحصار الحديثة ومطالب العصر الحديث ، ولكنه في الواقع يستحق التبويه به لغير هذا السبب ولأسباب كثيرة إذ كان طريف التأليف طريف المصادر طريف النواحيث إلى العناية به والتأهب له قبل إبرازه في حيز الكلمات والصفحات .

فالكولونيل بودلي صاحبه رحل و فر الخط من معارف الحصار الأوربية والحيثين السياسية والعسكرية تعلم في أبتون وسندهرست وعمل في الهند واشترك في الحرب العظمى ، وساهم في مؤتمرات فرساي واصلع على احتيايا الدولية من وزراء الحجب والأسداد فتقلت على صميمه مساوئ السياسة وأوصارها وبرمته الكأبة

وأقصى بلدت نفسه إلى صديقه لورنس المعروف في السادية العربية فأشار عليه بأن  
يعتبرن أورة ويأوى إلى بلاد يعيش فيها على القطرة كبلاد العرب وأطراف  
الصحراء . فعمل نصيحة صديقه وراح يتنقل في الصحراء العربية رهاء سبع  
سنوات ، وهذا الكتاب الأخير بعض ثمرات هذه السنوات

وكتاب «الرسول» طريف في مصادره كمن هو طريف في أساليب تأليفه لأن  
صاحبه لم يعول فيه على المراجع الكتابية بل على المراجع الشفهية - يتبعها حيث  
عاش الرسول ﷺ وتتفهم من وحى المكان ومن السواد إلى بذاهة العروبة في  
مواطنها الأولى غير متوسع في الاطلاع ولا متعرض لمواطن الخذل والخلاف . وقد  
اكتفى من الكتب بالقرآن الكريم ثم بما تيسر له من المصنفات بعد الفراغ من تكوين  
رأيه وتصوير شعوره وحياله . فآثر الإحساس بحياة الرسول على التعمق في أهوال  
القاتلين عنه من المسلمين وغير المسلمين .

ولا يستطر القارئ من صاحب كتاب الرسول أن يؤمن بالإسلام كما يؤمن به  
المسلمون . لأنه على ما يبدو من كلامه ينظر إلى الأديان جميعاً نظرة المستقل عن  
الشعائر والرسوم التي هي مآثر الخلاف بين دين ودين  
، لا أنه حسن النية في تقدير فضائل الرسول والرد على ما يقديه من مكبرى دينه  
أو مكبرى جميع الأديان .

فهو يحلل الأوربيين الذين يتعرضون لرواح السي أو لجهاده بالسيف على سبيل  
الأسياء كما وصفهم العهد القديم ، ولا سيف سيرة دود وسليمان

وهو يقول لندين يطالعون القرآن مترجماً إلى اللغات الأوربية ويعجبون من  
إعجاب المسلمين به أن القرآن كتاب حتى لم يوضع لدمصالحة وترجمة انصراف  
وإلى للتبشير والإيحاء والتذكير ولن يندوقه انطلع المتصفح كما يتدوقه السامع  
المصليخ إليه بظاهر حسه وباطن نفسه ، لأنه يتطلب لإيمان وبتحدث إلى  
المؤمنين .

وأشار إلى وصف اختة كما جاء في القرآن الكريم فقال : «إد القديسين  
المسيحيين قد وصفوا بعيم السماء يمثل هذا الوصف في القرن الرابع بعد  
المسيح ، فقد القديس أفريم في أورشليمه «إسى قد نظرت إلى مدبر  
الصالحين في العيم برأيتهم مصمحين بالعطر الركي تتأرجح منهم الطيور

وتعتقد عليهم أكاليل الرياحين والشمرات . فمن عفا عن معاقرة الخمر على الأرض نشوت إليه الخمر من كروم السماء ، ومن عصم نفسه عن الشهوات تلقته الحسنان في أحضانها الطهور لأنه ترهب ولم يجرع نفسه بأحضان الغصة الأرضية .

وأشار إلى وصف جهنم كما جاء في القرآن فقال : إنها لا تشبه اللعنة الأبدية التي أعدت للكافرين في رأى اليهود والمسيحيين لأنها لا تبيس البارلين بها من العفوان واستحقاق الجنة بعد التكفير عن خطاياهم بالعذاب

وبهذه الية الحسنة نظر في حياة النبي ﷺ وفي دعوته وفي لمقابلة بين العقيدة الإسلامية وغيرها من العقائد الكتابية . فلم يكتب كما يكتب المسمم المؤمن بالدعوة لمحمدية ولا كتب كما يكتب لمنكر يتحامل الذي يتعصب لديه ويتعمد المدح والإجحاف .

وإذا حار أن يرتب المؤلف الواحد في درحات متتاليات فصاحب كتاب الرسول قد كان شاعراً سائحاً ومموراً فناظراً في الأدب بنظرة المتصوف الحديث ، فعب الشعر فيه على التاريخ وعلب التاريخ الشعرى فيه على لتحميم والاعتقاد .

وجاء كتابه بعد هذا كله في أوانه ليضع بعض الشرقيين على الأقل بأن «تاريخ محمد» شيء خالد يشتمل به أصحاب الشو عن في وقت يمتلي فيه الحاضر بما سقى كل قديم ، لو كان سيات كل قديم ، يلقى بكرامة الأديبين .

\* \* \*

## الثَّقَافَتَانِ (١)

من مباحث اليوم في دوائر الثقافة الإنجليزية مسألة الثقافة الإنسانية في العصر الحاضر ، وأصبح من ذلك أنها مسألة الثقافتين التي يحشى منها على الثقافة الإنسانية ، ويريدون بهما ثقافة العموم والصباغات من جانب وثقافة الآداب والفنون من جانب آخر . وكنتاهما دفعة إذا لم تنفرد بالفكر الإنساني كل الانفراد ، ولكنها ناقصة الصنع بل وشككة أن تصير إذا حجبت عن الفكر ما عداها من مميزات التهذيب والتقوم .

أثار هذه المسألة في الأيام الأخيرة الأديب (سير شارل سوي) في محاضرة من محاضراته المسموعة القيمة ، ولخص فيها مشكلة الإنسان المتعلم في القرن العشرين ، فإن اتساع ميادين المعرفة مع شسوع التخصص في حدوده الضيقة شعر الإنسان كما يقول شطرين ، وجعله نصف إنسان لا يكتفى به في حسن الفهم وحسن التقدير وحسن التصرف ، وقد عزله عن العطرة التي تعتمد على العرف السليم ولم يعوصه عنها ما يعنيه ويهديه ، لأنه أعطاه النظر من ناحية واحدة ، وهو أحظر الأنظار .

ولم نسمع في هذا العام محاضرة كان لها من الصدى ما كان لهذه المحاضرة منذ إلقائها إلى اليوم ، أو محاضرة تلاحق التعقب عليها كما يتلاحق من تعقبسات الصحافة والإداعة والأندية الفكرة في موضوعها ، وهو موضوع الثقافتين

قال لأديب حور شارب في إداعته إنها أحظر بحث عن التعليم تناولته الباحثون منذ صدر تقرير هاداو Hadaw قبل ثلاثين سنة

وقال ناقد الملحق الأدبي لصحيفة لنيمس : إن الصراع بين القوتين ليس من الأمور المزهود فيها ، بلولا الصراع لما أمكن سريان الشريرة الكهربائية ، ولولا لما

تحركت السيارة التي تركها ، فإذا وجد فراغ بين نوعين من التعليم فليس من  
الخطم أن يتحول ذلك إلى صرر أو حسارة ، وبعى الواجب أن يأتى الفراغ فى  
الموضوع الملائم وبالقدر المطلوب

ثم عاد الناقد المطلع إلى مسألة الفرع بين الثقافتين العدمية والفبية فى العصر  
الحاضر فقال إنها فى حق من المشكلات احسام يحفعها إلى حين أن الإنسان  
انهدب فى زمانا - سواء كان من العلميين أو الفيين - لا يكتفى بنصيه من  
العلم أو الفن ولا يستعنى عن شاعل من شوعل الرياضة البدنية أو من شوعل  
الموسيقى كالعزف على آلة من آلاتها والاستماع إلى أدوارها المحفوظة فى قوالبها  
المسجلة ، أو الاستماع إلى طرائف الإذاعة فى مختلف الموضوعات .

إلا أنه ينتمى على الرغم من هذ العراء الموقوت لو تعالج هذه المشكلة بما يجمع  
المائدة من كلتا الثقافتين ويكمل البقاء لشدطرين الإنسانين فى بية واحدة لا  
تشتكى الريع والاحراف فى بطرتها إلى ديبها

وقال الفيسوف الرياضى الكبير برتراند رسل من كلمة بشرتها مجلة  
اساحلة Encounter إن القطيعة بين الثقافتين لم تسع فى الأرمة الماضية  
ما بلعته الآن ، إذ كانت لفطرة بين العدوتين قائمة على طول أر على قصر ،  
وبكنها فى الحقبة الأخيرة بوشك أن تنقسم فلا تلتقى إحداهما بالأخرى ، ولا  
تسلم الثقافة من كلمة الادعاء والحدقة ، كما يحدث دائماً عند اشعور  
بالنقص والرعية فى مداراة الجهل والسذاجة .

ويرى بعض المعقبين أن العلة ناشئة من تراكم الفصول والحشو على مواد الثقافة  
جريباً مع التقليد والعادة ، فلو أعيد النظر فى برنامج التعليم لم يتعدر إصلاح اخطأ  
ونصفية المصول وإفاء البقية الصاخة من ثقافة العلم وثقافة الفن التى لا يصعب  
تحصيلها على اتعلم ، مع إعطاء التخصص حقه فى عصره

والذى نراه من حمية ما طالعماء من مساحت هذه المشكلة أن العلة فيها عند  
العربيين راجعة إلى مسب أصيل لم يتدئ فى هذا القرن العشرين ولم تأت نه  
الدرسة العلمية أو الحركة الصناعية فى هذه السنوات منذ أربعين أو خمسين سنة

إن نعمة فيما نرى راجعة إلى قسمة الثقافة عند القوم إلى ثقافة إلهية وثقافة  
إنسانية ، وراجعة قس ذلك إلى قسمة لإنسان بين هذا العالم وبين العالم

السماوى ، وإلى المقابلة بينهما كما تتقابل ملكة السماء وملكة العالم الديوى ، أى ملكة الشيطان

فمن قبل هذا انعصر عصر العلم والصناعة - كان الأوروبيون يقسمون الثقافة إلى قسم العلوم اللاهوتية وقسم العلوم التى سموها بالإسائبة تمييزاً لها من علوم اللاهوت وما يلحق بها من دراسة تعبر عن عديها ، وقد سرى هذا التقسيم منهم إلى الشرق مع سريان الحضارة إلينا من بلادهم ، فسمعنا بينما من يتحدث عن العلوم الدينية والعلوم انديوية .

فالتدين الإسلامى بأمر المسلم بالنظر فى انسموات والأرض ليعلم كل العلم عبداً واحداً يطعمه المتعلم لدينه ودينه ما يؤدى إليه النظر فيهم وفيما بينهما ، ويأمره بأن ينظر فى سريرة الإنسان وفى أحوال الأمم فلا يفوته لعدم بالإنسان المرد ولا بالجماعات البشرية .

وأثر هذا الإحساس «بالوحدة الذهبية» أن تتم ثقافة المتعلم ويسلم العقل من داء انقسام الثقافى الذى يفصل بين روحه وبدنه وبين دينه ودينه

وأثره فى تاريخ التفكير أن يرى تلك لثقافة الواحدة فى العالم العقيد القديس الأديب ، مع اشتداد الطلب أو بالوزارة أو بسياسة الأمور العامة ، ولا يرى له نظيراً فى الأرملة الحديثة ، ولم يره من قبل نظيراً فى الأرملة العابرة ، لأن الثقافة فيها طبيعتها كانت تحصر بين حدودها التى لا تتفرق أو لا تدعو إلى التخصيص ، لقلة محصولها فى مختلف العلوم

ولم تتأثر قواعد هذه الثقافة النامة بانتقال المسلمين إلى البلاد العربية ، بل هى أثرت هناك فى تلاميذها من الغربيين فرفعت أمامهم أمثلة مادرة من «الإنسان المثقف» كما ينبغي أن يكون .

من أمثلة أبو بكر بن زهر الذى يقول فيه صاحب بفتح الطيب «هو عين ذلك البيت وإن كانوا كلهم أعياناً عماء ، ورؤساء حكماء وزراء» .

ويقول فيه صاحب الطرب من أشعار أهل المغرب «كان شبح الوير أبو بكر من زهر عكب من اللغة مكين ، ومورد من الطب عذب معين ، وكان يحفظ شعر دى الرمة وهو ثلث لغة العرب ، مع الإشراف على جميع أقوال أهل الطب والمبرلة العلواء عبد أهل المغرب ، ومع سحر السب وكثرة لأموال والشب»

وصاحب هذه المعارف والرناسات هو الذي يقول من الشعر في شوقه إلى طفله الصغير

ولى واحد مثل فرخ القطا

صغير تحتلف قلبي لديه

بأت عه دارى فيا وحشتا

لذاك الشحيص وذاك الوحيه

تشوقسى وشوقسته

فيبكى على وأبكى عليه

وهو الذي يقول وقد نظر في مشيبه إلى المرأة

إنى نصرت إلى المرأة إذا جليت

فأنكرت مقلماى كل ما رانا

رأيت فيها شبيخا لست أعرفه

وكت أعهد فيها قبل ذاك فتى

فقت ' أين الذي بالأمس كان هنا

متى ترحل من هذا المكان متى ؟

فاستضحكت ثم قالت وهي معجبة :

إن الذي أنكرته مقلتك أنى

كانت سليمى تنادى يا أحمى وقد

صارت سليمى تنادى اليوم يا أبنا

وهو الذي يقول في إحدى موشحاته :

سَلِّمِ الْأَمْرَ لِلْمُقَضِّبِ

فَسَهْوُ لِنَفْسِ أَمْع

وَاغْتَمَحَ حِينَ أَقْبَلَا

وَحَسْبُهُ بِدَرْتُهُلَا

لَا تَقُلْ بِالْهَمِّ مَسْرُومَ لَا

كُلْ مَسَاهَاتٍ وَانْقَصِ

سَيْسَ بِالْخَسْرَةِ يَرْجِعْ

ومثل هذا الشعر يستث بقائه في عدد النجبة من شعراء عصره وشعراء كل عصر، لو أنه تخصص لشعر ولم يرد عليه فصلاً من أفصل العلم أو الحكمة أو



الرناسة . وبكده راد عليه من كل فصل ما يسلكه بين خاصة أهله ، ولم يفرصه عليه وأحب من واحبات المصعب ولا حاجة من حاجات النفس إلى امدد والمصلحة ، بل ترك من المصلحة مقدار ما استغنى من حكمة وأدب : متعة لا يبدل فيها هذا الشخص من يجهل كيف يكون متاع الأرواح والأنساب .

ولقد كان هذا الموسع في المعرفة من نصيب السيوت والأسر ولم يكن من نصيب ناعة فيها يعنونه فئة المصنف السارة بين أسانها ، فليس بالندر بينهم أن يتعاقب على السور ثلاثة أحيال يميرون بينهم باسم لأب والاس والحديد ، لأنهم كلهم في شهرة العلم والسور سواء

\*\*\*

إن «الثقافة التامة» على هذه السنة مستطاعة في كل زمن ، مستطاعة في زماننا هذا على الوجه الأمثل مع وفرة علومه وتعدد ألوان الثقافة فيه ، لأنه كما تعددت فيه ألوان الثقافة تعددت فيه وسائل نشرها وتقريبها ولوصول إليها في مصادرها ، فمن لم يتسع وقته للاطلاع على المطولات لم يصبق به الوقت عن الإلمام بالموسيط أو الوجيز في ضروريات المعرفة ، ومن فاته الاطلاع لم يفته الشهود والاستماع ، ومن فاته كل ذلك لم تفته مرحلة الصحف ومناقشة العارفين ومتابعة الأحرار مع السؤال والاستفسار وليس المطلوب بالبداهة إلعاء التخصص ولا الوقوف بالمعرفة الخاصة دون الغاية من الاستقصاء . فإن الإجابة في عمل الإنسان المثقف لا تنال بغير هذا الاستقصاء إلى غاية مداه المستطاع . ولكن يتقاسم التخصص هو الذي يوجب على صاحب العلم والمن أن يتطرق من قيوده ولا يعلق عليه أبواب علمه وقته ، فلا سبيل إلى إتقان شيء من الأشياء وراء الحذران المحكمة والأبواب المقفلة ، ولا يعرف الحسن من يراه في وجه واحد ، أو يعرف سكنى الدور من لم يخرج قط من داره ، أو يعرف عقله من لم يعرف عقولاً أخرى لا مشابهة بينها وبينه

فمن أحل التخصص يعرف ما حوله ، وقوام الأمر من المعرفة الصحيحة في عصر «التخصص» أن يعرف كل ما يعرف من علم واحد ، ولا يجهل الصلة بينه وبين سائر العلوم ، فلا نلتقي بأصحابها لقاء العرباء من عالم آخر ، وما هو في الحقيقة غير العالم الذي نعيش فيه .

وزينة الثقافة ، بل ضرورتها القصوى ، ألا يكون ادرك عاكداً في ناه وأمياً في سائر الأبواب ، فإن هذه الأمية في نقصها وسوء معيتها أجبرنا نحو من أمية لجاهل بالألف والباء

\*\*\*

## عَوْدٌ إِلَى الثَّقَافَتَيْنِ (١)

عرضنا في إحدى مقالاتنا مجلة (الأهر) لمشكلة الثقافتين عند الأمم العربية ، والمقصود بها مشكلة الاتصال بين ثقافة العلم وثقافة الأدب . واتسع الهاوية فترة بعد فترة بين تفكير العلماء وتفكير الأدباء وأصحاب الآراء النظرية ، مما يذري بصابه « الشخصية الإنسانية » في هذا العصر بداء كداء الفصام ، ويجعل الإنسان الشئ على إحدى هاتين الثقافتين دون الأخرى كأنه نصف إنسان .

وقد كانت هذه المشكلة مدار البحث في سلسلة المحاضرات الفلسفية التي ألقاها الكاتب - العلمي الأدبي - الأستاذ سنو Snow في شهر مايو الماضي ، فثارت حولها صحة من النقاش والنقد والتعقيب لم تنقطع إنى هذه الأيام ، لأن المشكلة - على ما هو طاهر ليست من المشكلات التي ينتهي الفصل فيها سلسلة من المحاضرات ، أو بطائفة من الآراء تشر ثم تطرى بعد أسبوع أو شهر ، ولا مباح فيها من إتباع القول بالعمل على منهاج متفق عليه ، فإن لم يبلغ التفاهم عليه مبلغ الاتفاق فلا أقل من أن يكون صالحا للتنفيذ والتقرير .

وقد عاد الأستاذ (سنو) إلى بحثه في مقال نشرته مجلة Enconter في عددها الصادر في شهر فبراير الماضي ، أراد بمقاله هذا أن يلم أطراف المناقشة ويعقب عليها بخلاصة رأيه بعد عرض أقوال المواقين والمخالفين من الساحتين قد رُ . بعده في مشكلة الثقافتين ، وقد جمعهم إلى طوائف ثلاث موقفين هي الرأي والتمسح ، وموقفين هي الرأي مخالفين في النتيجة ، ومخالفين يعارضون بطرته كل معارضة في وصف المشكلة ويرون أن العصر الحديث كان عصر القديم في تعدد الثقافات ، مع اختلاف الموضوع والمقدار .

ولا يعنيها هنا تفصيل أسباب الخلاف بين راء المواقين والمعارضين : فذلك شرح بطول ولا علاقة له بالاحبة التي نحول إليها البحث من أمر الثقافة الإسلامية .

(١) مجلة الأهر ، أبريل ١٩٦٠

ولكننا نحترئ بالإشارة إلى رده انجمل على المخالفين ، ثم بالإشارة إلى الحل الذي يقترحه لعلاج مشكلة من الوجهة العامة

فالمخالفون يقولون إن الحال لم تتغير في جوهرها من أيام عصر النهضة إلى اليوم هلو تلاقى عالم فقيه وشاعر فنان قليل القرن السادس عشر لما كان بينهما من التفاهم والتقارب أكثر مما يكون بين علماء العصر الحاضر وأدبائه أو مفكره الطريين

وحواب الكاتب على هؤلاء أنه لا يسلم بأن المسافة بين الفريقين كانت على هذا البعد منذ ثلاثة قرون ، ولا يقول : إن العلم والأدب كان قريبين متلاقين في القرن السادس عشر ، ولكنه يقول : إن القنطرة بسبب كانت موحودة مستقرة وهي اليوم تتهدم شيئا فشيئا وتوشك أن تزول ، وأنه على أية حال لا يريد أن تقام القنطرة وتظل قائمة لن يعمرها ، ولا يعمر أحد عن عبورها إذا أراد

أما حل مشكلة الثقافتين من الوجهة العامة عند الكاتب فهو تعميم التصنيع في مجتمعات الحديثة ، ولابد - على رأيه - من الاحتياط من الدائنة الهمجية وبين تصنيع المجتمع وتعويد الناس جميعاً أن يعيشوا معيشة الحضارة العلمية ، فيصير المثقف العلمي حقيقة واقعة يراولها الناس في البيوت والأسواق وفي ميادين الرياضة البدنية والنفسية ، وفي حينها تحول الإنسان بين العمل الصالح والبهو البريء ، لا يضطارهم إلى استخدام الآلات .

والكاتب ، فيما يعتقد ، مصيب من الحاسب الذي يطر إليه ، وهو حاسب (الإنسان العربي) وارث العلم والأدب في البلاد الأوروبية أو الأمريكية من القرون الأولى بعد الميلاد .

فقد عاش هذا الإنسان على الدوام في ميدان متقابلين من عالم الثقافة ، ميدان الروح وميدان الجسد ، أو ميدان ملكوت السماء وميدان ملكوت الأرض ، وكان الانحصار بين اميدان بعيد الأمد يكاد ينتهي إلى عالمين متناقضين أحدهما مدعون منسود هو هذا العالم المشهود ، والآخر مقدس مطلوب ولكنه عائب وراء لحواس بل وراء العقول التي تتصرف في الأمور الانديوية

وليس الانحصار بين العلم والأدب في القرن التاسع عشر وما بعده إلا غير ثا منقولاً من ذلك الماصل القديم ، ولا على في هذه الحالة عن تقرب القواعد قبل تقرب البناء الذي يقوم عليها .

ولهذا لا عسى عن سؤال يجاب عليه قبل انبحث في الحلول العمة  
لمقترحة ، سواء منها من الكتائب الإنجليزية وحل غيره من المفكرين العلميين  
والنظرين

هذا السؤال هو ما الرأى فى «الشخصية الإنسانية» على أى وضع من الأوضاع  
الاجتماعية فى العصر الأخير عصر الصناعة وحضارة العلم الحديث أو عصور  
الزراعة والعلاقات الاقتصادية على اختلافها ؟

هل «الشخصية» الإنسانية هى موضع التربية والتثقيف وعرضهما ومدارهما فى  
جميع الاحوال ، أو أن موضع التربية والتثقيف وعرضهما ومدارهما شىء آخر لا  
يبالى مصير هذه الشخصية ؟

إن للإسلام لا مشكلة فيه من حبة الشفافة على أنواعها ، لأن «الصغير  
الإنسانى» هو المسئول دس وأخرى عما يعمل الإنسان وما يعلمه وعما يدين به فى  
نحوه وما يدين به بينه وبين غيره .

والتربية فى الإسلام هى تهذيب هذه «الشخصية» ، وتزويد قواها الفكرية  
والمعنوية بما بكل ما يصلحها للعلم والعمل .

وكل تربية يباليها الإنسان فهى امتداد لقوه من قواه ، سواء منها قوة البدن وقوة  
الروح ، وإنما تعرف قيمتها بحيران القوه التى تمدها وتريدها ونهيتها للعمل فى الحياة  
الخاصة أو الحياة الاجتماعية العامة

فالتربية الصناعية تجعل للإنسان يذ أقوى من يده أو قدماً أقوى من قدمه ، أو  
بصراً أقوى من بصره ، أو سمعاً أقوى من سمعه ، وهى تربية ضرورية نافعة لا غنى  
عن تعميمها بين الناس فى المجتمعات الحديثة ، ولا غنى لهذه المجتمعات عنها فى  
عصر الصناعة والمخترعات .

هذه التربية الصناعية قوة تمنح الإصبع قدرة على أن يحرك الحبال بالصعط على  
رر صغير ، وتمنح العين قدره على النظر ، المجاهر والمناظير إلى دقائق الخفاء وإلى أفاق  
السماء .

ولكن هذه القوى جميعاً لن تلعب فى القيم الإنسانية مبلغ القدرة التى ترفع  
ضميره ، وتوليه من الشعور والفكر وسيلة توسع أمامه آفاق الحياة ، ونسب بين يديه

كأن أعظم من الكون الذى يعيش فيه حسده ، ووجوداً أتم من الوجود الذى يلاسه بأعضائه السنية ولو بلغت غاية مداها من بسطة وامتداد .

إن «زراً» يصعته الإنسان بإصبعه قد تمنحه قوة ألف بصع أو آلاف من لأصابع تحسب بالملايين ، ولكن «الشخصية الإنسانية» لا تتوقف عليه ، وقد تصعه للإنسان شخصية أخرى فيعمل به كل عمله المطلوب ، فيس من الضرورى أن يكون صانع الرز هو المستفع به أو هو المتعلم لتركيبه واستخدامه ، ولا شأن له فى إتمام «كياه الإنسانى» ولا فى الارتفاع به إلى ما هو أهل له من مراتب الكمال .

لو كس القدرة الروحية إذا عرف بها الإنسان مرياً الخير والجمال ، وتذوق بها محاسن الحياة الفكرية والعاطفية تتوقف على «الشخصية» التى تستطيعها ولا تصعها لها شخصية أخرى كما تصع الأزوار والمجاهر والمناظر

وهذا هو الفارق بين تربية وتربية ، وبين إنسان مثقف وإنسان ناقص الثقيف ، يآ كان نظام المجتمع وأياً كان خطه من التصنيع .

فإد وجب التصنيع فلأنما يجب لتمكين الإنسان من الانتفاع بصناعات عصره وتوزيع منافع الصناعات بين جميع أبناء المجتمع على سة الإنصاف والتعاون فى المصلحة والخير ، ولكن المجتمع الذى سيصع الأزور والمجاهر والمناظر لأنائه لا يعطيهم كل شىء ولا برودهم بمقومات الحياة التى يحتويها كل ضمير سه وبين الله وبين الناس ، ولا يستطيع أن يعول فيها على معمل من معامل التصنيع يتكامل بتوريد الصمائر لأنائه كما تكمل المعامل بتوريد هذه الأداة أو ذلك المخترع المصنوع .

ولر تتم فى مجتمع من المجتمعات ثقافة عالية جديدة بأن تسمى ثقافة ، ساد عالم تكن ثقافة شاملة يتم بها قوام «الشخصية الإنسانية» بريئة من داء الفصام موهورة الحفظ من الصمير والحسد ، ومن العنم والأدب ومن مطالب الأذواق ومطالب العقول .



## الروحانية بين الأنبياء الثلاثة (١)

لأديان الثلاثة لإسرائيلية ومسيحية وإسلام ، ظهرت كلها بين السلالات السامية وكان أنبياءها جميعاً من الساميين .

والإجماع معقد على هذا بين المؤرخين كافة ، يعنى تنسب موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام إلى هذه السلالة ، يشد عنهم «فرويد» العالم النفساني الإسرائيلي المشهور ، فهو ينسب موسى إلى الجنس المصري القديم وبعض الباحثين يقولون إن الجنس المصري القديم مصدر من الأصول الأوربية

ويشد عنهم في أمر المسيح أولئك الدعاة الخرمانيون الذين يعتسفون الأسباب لكل عظيم فيردونه إلى الأصل الخرماني أو السلالة الآرية على التعميم فهؤلاء الدعاة يزعمون أن صهاب المسيح المتواترة أقرب إلى الملامح الآرية الشمانية ، ويضطرون من جهة أخرى إلى الملامح الفكرية أو الأدبية فيزعمون أن الروحانية التي تظهر في أقوال السيد المسيح كمر وأرفع من طاقة «السلالة السامية» انتهى يحسبونها مقصورة على الماديات ملموسة ولطال الأرضية القريبة .

وكلا القولين - قول فرويد وقول الدعاة الخرمانيين - لا يؤيده دليل قاطع ولا يتعدى الأخذ بالطنون .

فمن المستبعد أن يكون موسى مصرياً ثم تجتمع له رعاة الإسرائيليين من جميع القبائل والبطون في الديار المصرية ، ومن السخف أن يكون المسيح «آرياً» تطبيقاً لقاعدة يخترعها دعاة الخرمانية ، ثم يسندونها بالبطون ويعودون فيسندون البطون تلك القاعدة المخترعة .

وعلى هذا يصبح أن معقد لإجماع - كأصح ما انعقد في مسألة من المسائل - على أن البيئة السامية هي السئة التي ظهرت فيها الأديان الثلاثة ، وأن موسى وعيسى ومحمداً جميعاً من سلالات الساميين .

لهذه المربة الخمسية دلالة عامة! وهل نشأت الأديان الكبرى الثلاثة بين أساء

الحسن السامى لسبب عصى يحص هذه السلاله ، أو لسبب عصى يرجع إلى  
طبيعة العقيدة الدينيه ؟

تلكم فى ذلك المتكلمون فأثبتو وأنكروا كما يحسون أو يكرهون فمن قائل إن  
العقل السامى بفطرته مستعد للاعتماد غير مستعد للتفكير أو الخلق الفنى  
والظنرات الفلسفيه المجرده ، ومن قائل إن العقيدة الدينيه نفسها طور من أطوار  
الرعمامة العصريه التى تطور فيها لساميون إلى مداهم الأقصى ، قبل أن يحرق  
الأريون الشماليون من نظام القبيلة الأولى

ولا يتسع المقام للتقصى فى أقوال المنبتين والمكرين ، فحسبنا أن نقف فى أول  
الطريق على بر الأمان ، فنقول إن العقائد الدينيه ظهرت فى السلالاب الساميه  
يوم كانت تطهر فيهم جميع المعارف الكوبيه والنهضات الثقافيه ، فلا محل  
لتحصيل الأدبان هنا بالعنصر السامى أو اتحاد هذه الخصصه دليلاً عصرياً من تلك  
الأدلة الكثيرة التى تحتلط بالعصبيات

كانت الدول الكبرى كنها قائمه فى الرقعة العربيه من القرة الآسيويه ، وهى  
الرقعة التى أهام فيها الساميون مذ مئات الأجل فشاعت المعارف الكوبيه من  
هذا انوطن القدم ، ومن يحصر لأمر يومئذ فى ظهور العقائد دون غيرها من  
النهضات أو الفتوح فى عالم الروح

\*\*\*

نحن لاسكر الفوارق العصريه ولاستتحف بأثارها فى اختلاف لأمزجة  
والأحلاق وتساير المشارب والميول ، ولكننا لاسحب أن نعزو إلى الفوارق العصريه إلا  
الذى يثبت ثبوتاً قوياً أنه راجع إليها فلا نقول إن «العقائد» صديقه ساميه إلا رد  
تبين أن الأريين بمعزل عن العقائد ، وإن الساميين لايمتدرون بعيرها ، وإن المسألة  
محصورة فيهم على مدى العصور ولست مسألة عصر ومناسبة رمائية أو مكايه

كذلك رجع إلى الروحانية بين الأديان نشأته فلا نجعل انعصريه حكماً فيها  
قبل أن نستعد العوامل الأخرى جميعاً ، وإن حار أن يذكر لاسعداد العصى بين  
عوامل شتى يحسب لها حسابها فى هذا الموضوع .

فالذى يقال مثلاً إن السيد المسيح - عليه السلام - كان صاحب دعوة روحانية  
لا تشتعل بشئون الدنيا ولا بانطال العملية التى تحتاج إلى وضع انظم وفرص  
الشرائع ، وأن علة ذلك فى رأى بعض الباحثين أن المسيحية تشابه العقائد الآرية

التي جعلت الدين للروح والصمير ولم تجعده لمطالب حسب أو مطالب حياة  
الاجتماعية والنظم السياسية .

وهذا الذي يقع فيه الخلاف الكثير

واهتمام السيد المسيح - عليه السلام - بالخائب الروحي من الدين لم يصرفه أولاً  
عن الخواص الأخرى التي تناولتها سائر الأديان ، ولم يكن لعارق عصرى بين الدين  
حوظوا بالدعوة المسيحية والدين حوظوا بالدعوة الإسلامية أو الدعوة الموسوية .

واهتمام السيد المسيح بالخائب الروحي ليس معناه - من الوجهة الأخرى - أن  
هذا الخائب لم يزل حظه من الاهتمام في دعوه محمد أو دعوه موسى - عليهما  
السلام - وإنما معناه أنه جانب من الخواص الكثيرة التي عسى بها الإسلام خاصة ،  
وكان لها سهم في العداية من وصايا الأنبياء الذين ظهروا في سبى إسرائيل .

وقبل أن نحصر الأمر في عنة «الاستعداد العصري» نعود إلى العلل الخلفية  
فنسأل - ألم تكن هنالك عمل أخرى جعلت رسالة السيد المسيح أقرب إلى  
الروحانيات منها إلى العمليات والشئون الدنيوية ؟

فإذا سألنا هذا السؤال لم نستطع أن نقول - إن السامية أو الآرية هما الحد  
الفاصل في هذا الموضوع

فقد كانت هنالك علل كثيرة خلقة أن تقصر الدعوة المسيحية الأولى على  
مواضعها الأخلاقية التي أوشت أن تقتصر عليها

من تلك العلل أن يسي إسرائيل كانوا أصحاب شريعة دينية مفصلة في شئون الحقوق  
والعاملات قبل أن تتجه إليهم دعوة السيد المسيح ، وكانت آداب الفاتمين على تلك  
الشريعة هي موضع العهنة أو موضع الحاجة إلى الإصلاح ، فلا جرم تتجه إليهم الدعوة من  
هذه الناحية ولا تتجه من ناحية التشريع الفصل في شئون الحكم وشئون المعيشة ، بل كان  
من قول السيد المسيح الصريح أنه لا ينقص الناموس وبكنه يثبت ويركبه

ومن تلك العلل أن السيد المسيح ظهر في بلاد يحكمها الرومان وتولى إدارتها  
ولئت القوم الدين شتهروا بالنظم والشرائع وتبوير الأوامر والقوانين ، وما لم تكن  
الدعوة المسيحية ثورة سياسية معررة بقوة الحيد والسلاح فلا سبيل في بدايتها إلى  
تفصيل الشرائع وانتزع سلطان الحكم من أيدي القضاة عليه ، وإنما السبيل  
الأوحد أن تتصلح الأخلاق والصماتر بالعظة والهداية الروحية على السنة التي  
حتمها السيد المسيح ويحتمها في مكانه كل دعو إلى دين جديد يتدرج إلى دعوه  
بالإنقاذ لا بالسلاح والصراع .



وهذه العلة كفيه لتعليل الصبغة الروحانية التي علبت على المسيحية ، ولها لأقرب إلى تعليلها من الرأى القائل بأقسام المسيحية من العقائد الهدية أو الأرية في حملتها ، لأن هذا الرأى يلحظ إلى إقدمة فاصل من ساميين وساميين ، ولا يبطل الاعتراض الذى يرد فى هذا الصدد حين يسأل السائل ومادا كانت الدعوة المسيحية صابغة إذ ، هي فرصت الشرائع بغير حكومة وبغير ثورة مسدحة وبغير موافقة من أصحاب الأمر بين الرومان أو بين إسرائيل ؟

أما الإسلام فلم يكن معقولا أن ينحصر فى المواقظ الروحانية دون غيرها ، لأن العرب لم يسبو بشرية عامة مفصلة قبل الإسلام تعنيهم عن تشريع جديد ، ولأن الإسلام قد تولى الحكم كما تولى الهداية النبوية ، فلا ماص لها من إقامة الحدود وسان الحقوق وتقرير الحكم فى كل شأن من شئون المعيشة تتولاه الحكومات .

وكذلك موسى عليه السلام فى قيادته للقبائل الإسرائيلية ، لأنه كان فى مقام الرعيم الذى يسوس تلك القبائل بالشرائع ابرعية فى زمانه والشرائع التى اقتضاها حروجه من دبر مصر إلى ديار كان فيها لى إسرائيل موطن قديم . فاهتم بتسجيل الشرائع المصرية والإسرائيلية والموسوية ، واهتم إلى جانب ذلك بمصالح قومه ، لأن العمل الأكبر الذى تصدى له إنما هو إنقاذ احواله فى العصر والمعقيدة ، فهو عمل «وطني» مقدم فى زمانه على الوصايا الاسمية العامة التى تشمل الأمم كلها كما تشملها كل بصيغة أخلاقية أو موعظة روحية

وهذه العلة كافية أيضا لتعليل الصبغة العممية التى علبت على الدعوة الموسوية فأصبحت شيئاً غير المسيحية فى الروحانية أو النبوة الاسمية التى تحاطب جميع الأمم كما يحاطب لى إسرائيل ولا حاجة فى هذا المقام إلى التفرير بين ساميين وآريين ، أو التفرير بين صفة من السلالة السامية وطائفة أخرى ، إذ لو كان موسى آرياً وكان أبناء إسرائيل آريين لما سلك غير مسلكه معهم فى شئون التشريع والمصالح الوطنية أو للمصالح العنصرية

وبعود فصولنا لانسكر الصوارق بين العناصر والأقوام ، ولكنا نسكر الصوارق التى يفرصها بعض الباحثين المتعصبين بغير دليل ولا قرينة راجحة ، ونحب أن نقيم البحث فى أسرار العقائد وأسرار مجاها فى زمانها ومكانها على العلل الكونية التى جرى عليها نظام الوجود ، لأن الأسرار الإلهية التى توحى بها الأديان لن تناقص المعقول من سنن الكون وهطرة الأشياء

\* \* \*

## الإسلام والخصارة الإنسانية

الإسلام دين إنسانى عام ، أو دين عامى كما يقرب فى اصطلاح العصر الحديث ، يحاطب الأمم جميعاً فلا يفرق بين أمة وأمة بفارق الجنس أو اللون أو اللغة ، فكل إنسان فى جوانب الأرض أهل لأن يأوى إلى هذه الأخوة الإنسانية حيث شاء وحين يشاء

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ .

﴿ وَرَسُولًا لِّلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ .

هكذا أعلنها القرآن الكريم دعوة عامة منذ ألف وأربعمائة سنة . وهكذا أعلنها النبى - عليه السلام - وحلفاءه الراشدون وتابعوهم الأتباع فى صدر الإسلام ، ولم يمض ربع قرن من التاريخ الهجرى حتى قامت بيئات الواقع على حقيقة هذه الدعوة الإنسانية الإسلامية ، فدان بالدين الجديد أناس من جميع الأقوام والسلالات ، ولم تنقص على الهجرة ثلاثة فرون حتى كان فى عدد المسلمين ساميون وأريون وحاميون وطورانيون ، عرب وفرس وترك وهنديون وصينيون وأهريقيون من السود والأثيوبيين

هذه هى السمة العلمية الواقعية على «عمومية» الدين ، وهى بية بصرى بها الإسلام بين الأديان الكتابية وغير الكتابية ، ويسعى أن ينظر إليها من وجهتها الصحيحة لمعرفة حقاً أنها مربة قد انقرد بها لإسلام .

إن ديناً من الأديان الأخرى لم يكسب أمة ذات كتاب عريقة فى الخصارة ، وإنما كانت الأديان مقصورة على العصبية القومية أو على تحويل الوثنيين الذين درجوا على عبادة الأصنام وما يشبهه لأصنام من رموز القوى الطبيعية

فالموسوية قصرت دعوتها على العبريين أو اليهود ، وما قدم المكابيون بيكرها فبائل السادة على قبول الشعائر اليهودية كانت هذه القائل وثنة معرقة فى لجهالة ، وكان لمكابيون يؤمنون بالله «يهوا» منكا نجب له الطاعة على رعاياه ،

وكانوا من أهل هذ يسمون أمراءهم رؤساء كهان ولا يسمعون لهم بلعب الملك وشارته ومراسمه ، فإكرام القبائل على قبول سلطان «يهوا» إنما كان عندهم عبارة الخصوص السياسى الذى يلزم الأحاب والعرباء كما يلزم أبناء الأمة وأهل السلالة .

والرهمية ظلت دينة قومية عصرية حتى خرحت منها السحلة البودية ، فبحجت فى تحويل الوثنيين إليها فى الصين واليابان ، ولم تحول إليها قط أمة ذات كتاب .

والمسيحية حولت إليها الرومان وغيرهم من الغربيين أو الشرقيين ، ولكهم كانوا جميعاً من الوثنيين الذين وقفوا عند خطوات الدين لأولى ، ولم يحاوروها إلى عقائد أهل الكتاب .

أما الإسلام فقد حول إليه على خلاف ذلك أعرق الأمم فى الحصار وفى الإيمان بالعقيدة الكتابية ، فأسلمت فارس وأسلمت مصر ، وهما على التحقيق أعرق أمم العالم يومئذ فى تاريخ الحضارة ، وأولاهما كانت تؤمن بالله والنوم لآخر والحساب والعقاب وعلنة الخير عى الشر وخلود الروح ، وثابتهما كانت تدين بالمسحاة وتحمل لواءها فى العالم القديم .

هذه المرة يسمرد بها الإسلام بين جميع الدانات ، وهى آية العالمية والصلاح لدعوة الأمم جمعاء ، سوء منها الأمم المعركة فى الحصار والدين أو الأمم التى لم تلغ بعد مبلغ الارتقاء فى التحضر والاعتقاد .

إن هذه الحقيقة حليقة أن تذكر على الخصوص فى عصرنا الحديث ، لأنها سمعت فيه أساساً من المبشرين يعترفون بعلنة الدعوة الإسلامية فى أواسط انقارة الأفريقية ويسمون أنها نجحت حيث لم يبححوا ، وشاعت معبر تشير حيث يحققون بعد السشير سوات ، ولكنهم يعتدرون لأنصهم معذر يقبلونه ولا يقبله أنواع وهو موافقة الإسلام للقبائل المتأخرة بطبعته وأنه قريب المأخذ عند «البدائيين» من سلالات القارة السوداء ، وليس أصبح تصيد هذا العذر من تدث حقائق التى أنشأها التاريخ ، أو من تلك المرة التى يسمرد بها الإسلام بين الأند ، ودخلت فى دعوته أعرق الأمم حصاراً بعد خلاصها من الوثنية الأولى عدة قرون ، ولم يحصل ذلك قط فى تاريخ دين

وبرداد هذه الحقائق ثبوتًا ووضوحًا كما رجعت إلى تاريخ الدعوة الإسلامية بين  
البلاد الآسيوية ، فإنها لم تعتمد على القتال ولم تعتمد على الشئير بقدر اعتمادها  
على انقدوة الحسنة والأمنة العملية ، فلا تذكر الوقائع الحربية إلى جانب العدد  
الذى دأب بالإسلام من أهل الهند والصين والملايا ، وعديهم يحومثنى ملئون ،  
وكن ما يرويه التاريخ عن القتال بين المسلمين وغيرهم هي تلك الأرحاء فيما حدث  
بعد أن أصبح المسلمون معدودين بالملايين ، وإنما هو في جميع الأحوال قتال سياسة  
وليس بقتال إكراه على الدين .

إن الوقائع العملية هي الشهادة للإسلام بالصحة الإنسانية لعالمه ، ولا حاجة  
بالدين إلى شهاده أخرى متى ثبت له من تاريخه الأول أنه يصم إليه شعورًا من  
جميع السلالات والعقائد ، ومن جميع الأصوار في الحضارة والمعيشة المدنية ، وأن  
كتابه يحاطب الناس كافة ، ويوحى الرسالة إلى كل سامع

هذه الخاصة الإنسانية باقية هي صميم الإسلام يوحى بها الحضارة العصرية  
كم واحده بها حضارت العصور الأولى ، وهي أنتى صبحت تلك الحضارات  
بالصحة الإسلامية ، وهي لتي جعلت تاريخ العالم من القرن السادس للميلاد  
إلى القرن الخامس عشر تاريخ لعصر الإسلامى ولأداب الإسلامية ، ولم  
ينفصل اتريخاها بعد ذلك ؛ لأن الإسلام فقد «خاصته» التى لارمته هذه  
قرون ، ولكنهم انفصلا لأن المسلمين تحلفوا عن لركب ، و«صحبوا» غير  
مسلمين» إلا باللقب والعنوان .

يقول المؤرخ «تويسى» : إن المسلمين يوحون حضارة العصر بتربعتين  
متناقضتين : إحداهما يسميها الزعة الهيرودية ويسبها إلى هيرود ميث اليهود  
الذى قابل حضارة الرومان بمشابهة الرومان فى السكر والملس والمعيشة ، والأخرى  
زعة العلاء ويسبها إلى سالك إسرائيل الذين كانوا يصرون على القديم ويسكرون كل  
محالفة للمعادات والخوراثات .

ولو أراد الأستاذ «تويسى» أن يتوسع فى الأمثلة لعظم القول على الصبغة  
الإنسانية فى مواجئة كل حديث ومقاسة كل تعبير

فالهوادة والتشدد طبيعتان فى النفس البشرية تترران فى كل عصر وتتقابلان أو  
تتفاضلان أمام كل دعوة ، وقد ظهرت هاتان الطبيعتان فى طوائف المسلمين منذ

الصدر الأول للإسلام ، فكان منهم أبو ذر الغفاري المتقشف المتسك كما كان منهم الصحابة الذين أقبلوا على معيشة الحضر واليسار ، وقال المسعودي عن بعضهم : «إن الثمن الواحد من متروك الزبير بلغ بعد وفاته خمسين ألف دينار ، وأنه خلف ألف فرس وألف أمة ، وأن غلة طلحة من العراق بلغت ألف دينار كل يوم ، وأن عبد الرحمن بن عوف كان على مربط ألف فرس وله ألف بعير وعشرة آلاف من الغنم ، وأن منهم من بنى دورًا بالحجاز والشام والإسكندرية » . إلى آخر ما روى من أخبار تغلب فيها المبالغة على التقدير الصحيح .

ونحن في العصر الحاضر نعرف الرخصة والهوادة كما نعرف الشدة والصرامة ، ونواجه الحضارة الأوروبية بالنزعتين معًا أو نتوسط بينهما تارة مع المحافظة وتارة مع التجديد ، ومن لم يتوسط منا تشبث بالمحافظة حتى الجمود أو اندفع مع التجديد حتى أصبح كالمنبت عن الطريق ، وأحسب هذه النزعات جميعًا كانت على اختلافها الذي نشهده اليوم في تاريخ كل دعوة ومواجهة كل تغيير ، فهي طبيعة الناس لا تتبدل ولا تختلف مع الأزمنة بغير الصور والأشكال ، وحبنا أن نرى في الإسلام متسعًا لها مع الحضارة العصرية كما اتسع لها مع الحضارات الأولى ، فإنما يغنى المسلمين من الإسلام أن يظل كما كان عقيدة إنسانية عامة ، وأن يكون الإنسان مسلمًا حقًا حين يتشدد ومسلمًا حقًا حين يترخص ، فلا يقطعه الإسلام عن زمنه ولا عن مزية من مزايا حضارته ومعارفه وصناعاته ، ولا يكون المسلم الحق غريبًا مع حضارة الغرب الحديث وهو لم يكن غريبًا مع حضارة الفراعنة والفرس والروم .

لقد كان الإسلام عقيدة «إنسانية» ودعوة عالمية يوم تفتحت الأسباب بين الأمم وتمزقت الأنساب بين بني آدم وحواء ، فالיום والدعوة الإنسانية على كل لسان خالق بالإسلام أن يجعلها في كل قلب وأن ينفذ بها إلى كل ضمير .



# فهرس الكتاب

٣	مقدمة .....
٥	مولد الفلسفة الإسلامية .....
١٣	المسلمون والمؤتمر الإسلامى .....
١٧	براهين الإيمان عن طريق براهين الشكوك .....
٢٢	هذه هى الأخلال .....
٢٧	دور من أدوار التاريخ فى الكتابة عن الأندلس الإسلامية .....
٣٤	الاختراعات بين العلم والدين .....
٣٨	الموفق الموفق الإمام المصلح الشيخ محمود شلتوت .....
٤٣	المادية تنهدم .....
٤٧	إفلاس مذهب (لا طاقة للمادية الشيوعية بالبقاء) .....
٥١	نحذى الإله ومعناه .....
٥٥	رماد ولا نار .....
٦٢	الإنسانية من ماضيها إلى مصيرها .....
٦٧	العالم العربى اليوم .....
٧٢	ديموقراطية رعاوية فى شمال الصومال .....
٧٦	أسبانيا المغربية .....
٨٠	فى مطالع الأعوام : نظرة إلى التنجيم فى العالم المتملن .....
٨٥	الحج قبل الإسلام وبعده .....
٨٩	أفغانستان وانتشار الإسلام فى الهند .....

٩٢	..... العلية الجديدة فى نيجيريا
٩٧	..... مراكز مستقلة
١٠٢	..... الدعوات الإسلامية والإسلام ووحدة الجماعة
١٠٦	..... أطلس العالم العربى والشرق الأوسط
١١١	..... خاتم الأنبياء
١١٥	..... ديانات العالم السبع العظمى
١١٩	..... كلام عن الإسلام والعرب فى كتابين حديثين
١٢٤	..... الصحافة فى الإسلام
١٢٧	..... الاقتصاد السياسى فى الإسلام - ١
١٣٠	..... الاقتصاد السياسى فى الإسلام - ٢
١٣٣	..... الأزهر أحوج إلى اختيار مدرسيه منه إلى مال يواسيه
١٣٥	..... الجامعة المصرية والأزهر الشريف
١٣٧	..... كتاب جديد عن الرسول
١٤١	..... الثقافتان
١٤٦	..... عود إلى الثقافتين
١٥١	..... الروحانية بين الأنبياء الثلاثة
١٥٤	..... الإسلام والحضارة الإنسانية

# مؤلفات عماد الأحب العربي

للكاتب الكبير

## عباس محمود العقاد

- |   |                                       |   |
|---|---------------------------------------|---|
| ١ - الله .                                    | ٢٧ - مسارة .                          | ٥٢ - يوميات (الجزء الأول) .                 |
| ٢ - إبراهيم أبو الأنبياء .                    | ٢٨ - الإسلام دعوة عالمية .            | ٥٤ - يوميات (الجزء الثاني) .                |
| ٣ - مطالع النور أو طوابع البعث لعمدة .        | ٢٩ - الإسلام في القرن العشرين .       | ٥٥ - حلم السوء والقبوه .                    |
| ٤ - عقيدة محمد ﷺ .                            | ٣٠ - ما يقال عن الإسلام .             | ٥٦ - مع محافل الجزيرة العربية .             |
| ٥ - عقيدة عمر .                               | ٣١ - حقائق الإسلام وأبطال خصومه .     | ٥٧ - مواقف وفدا في الأدب والسياسة .         |
| ٦ - عقيدة الإمام علي بن أبي طالب .            | ٣٢ - التفكير فريضة إسلامية .          | ٥٨ - دراسات في المذهب الأدبية والاجتماعية . |
| ٧ - عقيدة خالد .                              | ٣٣ - الفلسفة القرآنية .               | ٥٩ - آراء في الآداب والفنون .               |
| ٨ - حياة المسيح .                             | ٣٤ - الديمقراطية في الإسلام .         | ٦٠ - بحوث في اللغة والأدب .                 |
| ٩ - ذو النورين عثمان بن عفان .                | ٣٥ - أثر العرب في الحضارة الأوروبية . | ٦١ - خواطر في الفن والفن .                  |
| ١٠ - عمرو بن العاص .                          | ٣٦ - الثقافة العربية .                | ٦٢ - عين وفن ولغة .                         |
| ١١ - معاوية بن أبي سفيان .                    | ٣٧ - اللغة الشاعرة .                  | ٦٣ - فنون وشجون .                           |
| ١٢ - داعي السماء بلال بن رباح .               | ٣٨ - شعراء مصر وبيئاتهم .             | ٦٤ - قيم ومعايير .                          |
| ١٣ - أبو الشهداء الحسين بن علي .              | ٣٩ - أشعلت سجدتهم في اللغة والأدب .   | ٦٥ - الأدب في الأدب والنقد .                |
| ١٤ - فاطمة الزهراء ولقائهم .                  | ٤٠ - حيلة قلم .                       | ٦٦ - عبد القلم .                            |
| ١٥ - هذه الشجرة .                             | ٤١ - خلاصة اليومية والشعر .           | ٦٧ - رند ورحيل .                            |
| ١٦ - إبليس .                                  | ٤٢ - منتخب ذوى المقامات .             | ٦٨ - ديوان يلفظ الصباح .                    |
| ١٧ - جحا الضاحك الضحك .                       | ٤٣ - لا شريعة ولا استعمار .           | ٦٩ - ديوان وبعج قلهدة .                     |
| ١٨ - أبو نواس .                               | ٤٤ - الشيوعية والإنسانية .            | ٧٠ - ديوان أشباح الأصيل .                   |
| ١٩ - الإنسان في القرن .                       | ٤٥ - الصهيونية العالمية .             | ٧١ - ديوان وحى الأربعين .                   |
| ٢٠ - الفلك في القرن .                         | ٤٦ - أسوان .                          | ٧٢ - ديوان دنيا الكروك .                    |
| ٢١ - حقير الإصلاح والتعليم الإمام محمد عبده . | ٤٧ - لنا .                            | ٧٣ - ديوان حابر سبيل .                      |
| ٢٢ - سعد زغلول زعيم الثورة .                  | ٤٨ - عقيدة الصديق .                   | ٧٤ - ديوان أحاسير مغرب .                    |
| ٢٣ - روح عظيم للهاثما غاندى .                 | ٤٩ - فضيلة بنت الصديق .               | ٧٥ - ديوان بعد الإحاصير .                   |
| ٢٤ - عبقار حسن الكواكبي .                     | ٥٠ - الإسلام والحضارة الإنسانية .     | ٧٦ - حرائر وشياطين .                        |
| ٢٥ - رجعة أبي العلاء .                        | ٥١ - مجمع الأحياء .                   | ٧٧ - ديوان أشجان الليل .                    |
| ٢٦ - رجال عرقهم .                             | ٥٢ - للحكم للطلق .                    | ٧٨ - ديوان من دواوين .                      |
|   |                                       | ٧٩ - حشر في البرزخ .                        |
|   |                                       | ٨٠ - ألبون الشعوب .                         |
|   |                                       | ٨١ - قرون العصور ما كان وما سيكون .         |
|   |                                       | ٨٢ - فتاة والأديان .                        |

احصل على أي من إصدارات شركة نهضة مصر (كتاب / CD)

وتمتع بأفضل الخدمات عبر موقع البيع [www.enahda.com](http://www.enahda.com)

